

خراب أورشليم

واحتراق الهيكل الثاني

المؤرخ اليهودي يوسيفوس

تعريب

د. بولا ساويرس

خراب اورشليم الثانى، واحتراق "الهيكل الثانى"

بقلم المؤرخ اليهودى يوسفوس

(ح ٣٧-١٠٠م)

تعريب مع تقديم وحواشى

د/ بولا ساويرس

إسم الكتاب: خراب أورشليم الثاني واحتراق "الهيكل الثاني"
المؤلف: المؤرخ اليهودي يوسيفوس

تعريب: الأب الدكتور/ بولا ساويرس

الطبعة: الأولى الألكترونية

الناشر: مشروع الكنوز القبطية

بمباركة الأب الدكتور بولا ساويرس يتشرف مشروع الكنوز القبطية بأن يكون الناشر الألكتروني الرسمي لأعمال الأب بولا ساويرس على الإنترنت.

على أن يكون الأقتباس الأكاديمي من الكتب هو بحسب النسخة المنشورة على مشروع الكنوز القبطية.

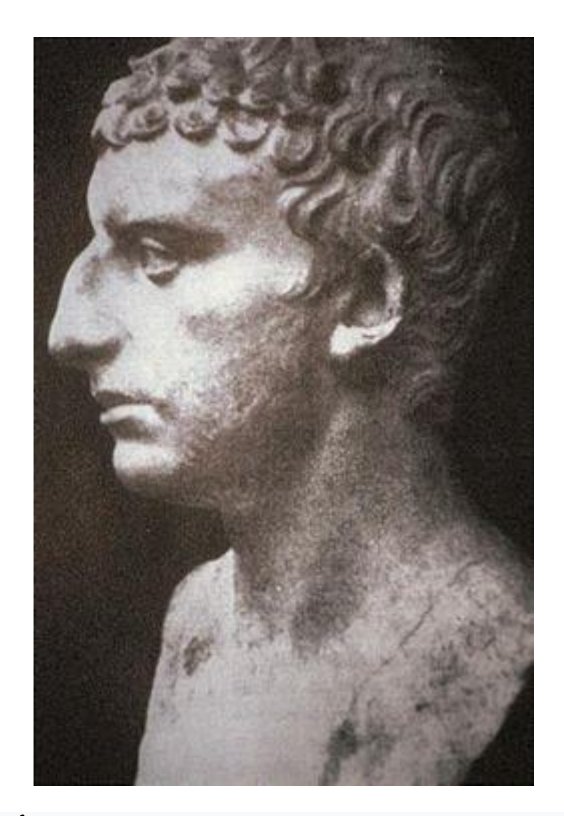
اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ

(لو٢١:٣٣)

- «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً » **مت ٣٧:٢٣،٣٨ ، لو٣٤:١٣**

- وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْهَيْكَلِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: «يَا مُعَلِّمُ انْظُرْ مَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ وَهَذِهِ الأَبْنِيَةُ؟»
فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَتَنْظُرُ هَذِهِ الأَبْنِيَةَ الْعَظِيمَةَ؟ لاَ يُتْرَكُ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ» **مر١٣: ١، ٢**

- «إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضاً حَتَّى فِي يَوْمِكِ هَذَا مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ. وَلَكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ. فَإِنَّهُ
سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ وَيُحْدِقُونَ بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ» **لو١٩: ٤١-٤٤**



تمثال نصفى رومانى من القرن الميلادى الاول، قيل أنه للمؤرخ اليهودى يوسفوس. محفوظ

Ny Carlsberg Glyptotek, Copenhagen, Denmark

تـوطـئة

كان من المفترض ان تنشر هذه الترجمة فى سنة ١٩٨٢م، ولكن أحد الاباء الاساقفة وهو عزيز علىَّ جدا عندما عَرضتُ عليه المسودات الأولى لمراجعتها والتقديم لها، ما أن قرأ العنوان حتى نظر إلىَّ مبتسما وقال: صحيح أن هذا العمل عملٌ تاريخى بحت، وصحيح ان المؤلف الأصلى يهودى الجنس والعقيدة، ولكن وقت نشره غير ملائم بتاتا. فلا يُعقل أن تسعى الدولة على الصعيد السياسى نحو تطبيع العلاقات مع اسرائيل، ثم يخرج كِتاب من الكنيسة المصرية بعنوان "خراب أورشليم واحتراق الهيكل" حتى ولو كان هذا تاريخ قديم !!!. وهكذا حُبِسَت الترجمة الأُولى فى الدرج منذ ذلك التاريخ.

ولكن الآن، وقد مضت عقود على التطبيع .. ولأن التاريخ العام والمسيحى (بفروعه المتنوعة) وزنتى الخاصة التى ينبغى ألا أطمرها، وأوشكت شمس حياتى على المغيب واقترب قارب تغربى من الميناء الأخير حيث لا عاصف ولا ريح، رأيتُ إعادة ترجمة هذا العمل- ليس على المستوى الشعبى والمختصر.كما كان فى الثمانينات- ولكن بأسوب اكاديمى وتوثيق للمعلومات الواردة به، مع تغذيته بالحواشى والتوضيحات اللازمة والمُلاحظات الضافية والتعليقات المناسبة. ونشره بموقع الكنوز القبطية لإثارة شهية الباحثين والدارسين، بل والقارىء العادى.

القاهرة، ٢٠١٨م

مقدمة المعرِّب

لم تحظ المكتبة العربية بترجمة كاملة لأعمال هذا المؤرخ الكبير. وكل ما عرفه القارىء العربى منها هى تلك الشذرات التى قرأها هنا وهناك فى كتابات الكُتاب نقلا عنه. وفى الواقع هناك بعض العذر فى عدم ظهور ترجمة عربية شاملة لكل اعمال يوسفوس، ذلك ان اعمال هذا المُؤلِف إن تُرجِمت كلها إلى اللغة العربية سوف تستغرق مجلدات عديدة من الحجم الكبير، الأمر الذى تحُول دون تحقيقه صعوبات جمة. إذ يكفى ان تعلم ان الترجمة الانجليزية لأعماله تشمل مجلدًا من ٩٨٩ صفحة من القطع الكبير ومطبوع بخط صغير. فضلا عن ان بعض كُتبه وهى تتحدث عن تاريخ بنى اسرائيل تعتمد على الاسفار المقدسة للعهد القديم وهذه يمكن الرجوع إليها فى كتب أخرى.

وفى الحقيقة، عندما أردتُ أن أتصدى لنشر كتابات هذا المؤرخ تحيرتُ كثيرا من أين أبدأ. هل أبدأ بعمله عن فترة ما بين العهدين والتى تغطى زمنيا أحداث نحو أربعمائة سنة قبل الميلاد. أم بفترة ما بعد الميلاد وهى تشمل خراب أورشليم واحتراق الهيكل، وتشتت اليهود، وهى أحداث نحو سبعين سنة بعد الميلاد.

وأخيرا، رأيتُ عزيزى القارىء أن أقدِّم لك هنا جزءً من الفترة الثانية كضربٍ من التشويق والتذوق، وكشاهِد تاريخى على أن السموات والأرض تزولان أما كلمة واحدة تخرج من فم السيد المسيح فلا تزول. وأن ما نطق به عن اورشليم[1] باكيا لم يكن نبوة نبى، ولا "تكهن عِلمى" من باحث، بل كان رؤية بصر مُسبَقة - من العالِم بكل شىء - لِما هو عتيد أن يحدث بعد صعوده بالجسد بأربعين سنة. على أمل أن أعود إن شاء الرب وعِشتُ فأُعِد لك فترة ما بين العهدين بالترتيب الزمنى الذى عرضها هو

١ - انظر: **مت ٣٧:٢٣،٣٨ ، لو٣٤:١٣**

به، خاصة وأنه كانت له تعليقات وملاحظات تاريخية وجغرافية وعامة على نحو يُوضح النص الكتابى للقارىء العادى.

إن أعمال يوسفوس غزيرة فى الواقع. فعلى سبيل المثال بينما هو يسرد تاريخ شعب اسرائيل يزودنا أيضا بمعلومات عن اسفار العهد القديم تضىء لنا بعض جوانب نص ما من نصوص الكتاب المقدس وكيف فهمه اليهود. ومن هنا جاءت أهمية نشر هذا الجزء من عمل يوسفوس المُسَمَّى بـ "حروب اليهود". إذ يساعدنا كتاب يوسفوس هذا على فهم الكثير من النقاط الخاصة بالمبانى اليهودية المُقَّدَسة التى كانت موجودة فى زمانه: كيف كانت وعلى ما كانت تحتوى، ومدى فخامتها، مُقدِّما تفسيرا رمزيا لها شيقا. وأيضا، كيف كانت تُمارَس الطقوس اليهودية آنذاك بما يُضىء لنا فهم بعض فقرات العهد القديم.

كما سنجد فى هذا الجزء الذى اخترناه لك تأملات كاهن يهودى على الأحداث العصيبة التى ألَّمَت باليهود غاية فى التشويق، وصالحة للتأمل فيها فى كل زمان ومن قِبل كل انسان. وفى تعليقاته على مجريات الأمور التى شاهدها بعينيه وسمعها بنفسه من أصحابها قد تختلف معه فى الرأى ولكنك نظل تحترمه وتُثمن جهده.

وأيضا أعجبنى فى كتابة يوسفوس لكتابه هذا أنه كان يُحلل دوافع كل طرفٍ أولا من منظور واحد من هذا الطرف ذاته، ثم كواحد من الطرف الآخر. فكان فى تحليله لآراء العدو اليهودى – وهو داخل المعسكر الرومانى- يُبرز نقاط القوة لدى اليهود بأقصى جهد ممكن. ثم يتكلم – وهو أيضا داخل المعسكر الرومانى- عما يخاف منه الرومان، بل ونقاط ضعفهم بكل صراحة. وفى هذا، أظهر دون قصدٍ مسبق منه، ولكن ربما كمحلل ومؤرخ وهو ينظر إلى مجرى الأحداث بعد انتهائها تماما بعين طائر من أعلى، يد الله التى كانت تتمم ما سبق أن نطق به السيد المسيح عن مدينة أورشليم وهيكلها المُقَّدَس، منذ أربعين سنة سابقة لهذا الحدث.

يوسفوس

اسمه باليونانية تيطس فلافيوس يوسفوس **Titus Flavius Josephus**. أما اسمه العبرى - كما ذكر هو بنفسه فى مقدمته لكتابه المعنون "حروب اليهود"- فهو "يوسف ابن متياس"[٢]. وهو من جهة الأب "كاهن عبرانى" سليل أسرة كهنوتية، أما أمه فكانت تنحدر من نسل الحشمونيين الذين ملكوا على يهوذا حتى ٤٤م.

يرى الدارسون أنه قد وُلِد فى حوالى سنة ٣٧م[٣] بمنطقة الجليل، عندما كانت اليهودية إقليما خاضعا للسيادة الرومانية. وعاش إلى حوالى سنة ١٠٠م[٤].

وفى ريعان شبابه عندما كان فى التاسعة عشر من عمره بعد، انضم إلى شيعة الفريسيين التي كانت إحدى الأشياع الدينية الرئيسية لدى اليهود قبل دمار الهيكل.

وعندما اندلعت الحرب اليهودية/ الرومانية الأولى (٦٧-٧٠م) كان أول مَّن حارب ضد الرومان، حسبما سجل هو بنفسه فى مقدمته لكتاب "حروب اليهود". فقد كان حاكما للجليل وقاد القوات اليهودية المتمردة ضد الحُكم الرومانى فى هذه الحرب، إلى أن وقع فى الأسر سنة ٦٧م، بعد صمود مدينته يوتاباتا Jotapata (أو يودفات) الجليلية أمام الحصار الرومانى لمدة ٤٢ يوما أو ٤٧ يوما فى رأى آخر.

وعندما صار فسبسيان امبراطورا عتقه سنة ٦٩م، ومنحه الرعوية الرومانية، وأسبغ عليه الاسم الامبراطورى. ومن هنا الإضافة "فلافيوس تيطس" إلى اسمه. وانضم إلى حاشية تيطس ابن فسبسيان فى زحفه على اورشليم ودحره لقوات

٢- المقدمة، ١. ومن هنا لا يصح كتابته فى اللغة العربية "يوسيفوس" فمن المعروف لُغويا أن سائر الأسماء يُضاف إليها المَقطع (وس) فى اللغة اليونانية. فإذا ما حذفنا هذا المَقطَع فإنه سيكون – تبعا لهذا الشكل العربى الثانى- يوسيف وهذا بالطبع خلاف "يوسف" بالعبرية والعربية.

٣- أى بعد صعود السيد المسيح بقليل.

٤- أى أنه قد عاصر بالتأكيد مار يوحنا الحبيب وقرأ - وهو المؤرخ المثقف - الأناجيل وسمع الكرازة بالمسيح.

المتمردين هناك بزعامة الطاغية سيمون بن جيوراس Gioras، والطاغية يوحنا. ومن ثم كان شاهِد عيان لخراب مدينة اورشليم الثانى المهول، واحتراق هيكل هيرودس (الهيكل الثانى)، والبيت المُقَّدَس، ونقض أسوار أورشليم من اساساتها[٥]. ثم رافقه فى موكبه إلى روما حيث عاش هناك فى قصر وهبه له الامبراطور، وتفرغ للكتابة، ولا سيما تاريخ أمته.

حسب ما علمه من التراث والمصادر اليهودية المتوفرة له في ذلك الحين. وتحتوي هذه المؤلفات على تقارير مفصلة خاصة بشأن الأحداث التي شهدها يوسفوس بنفسه، ويعتبر معظم المؤرخين المعاصرون هذه التقارير ذات مصداقية ويستندون إليها في الأبحاث التي تتناول تاريخ الشرق الأوسط في القرن الميلادى الأول.

أعمال يوسفوس

لقد تمثلت أعماله فى:

١- "حرب اليهود"، أو "الحرب اليهودية"، أو "تاريخ الحرب اليهودية". وهذا العمل، يُقدِّر الباحثون تاريخ كتابته بسنة ٧٥ تقريبا[٦]. وهو باللغة اليونانية ومن المحتمل أن يوسفوس كتبه بالآرامية أولا، ثم ترجمه إلى اليونانية، غير أن لم تبق إلا النسخة اليونانية.

فى هذا العمل يُسَجِّل يوسفوس تاريخ الحروب اليهودية التى حدثت فى أيامه فى سبعة كُتب "تُعتَبَر" – كما يقول المترجم الانجليزى لعمله "أدق ما كُتِب عن هذه الحرب. وقد وصف الكثير من الأحداث بناءً على معلوماته الشخصية". وفى عمله هذا يُبين فى المقدمة كيف أن الكتابات التى كُتِبت فى أيامه عن الرومان تُعظِّم من شأنهم بشدة وتُبخِس من قدر اليهود للغاية، وتُقدِّم روايات غير دقيقة. وأنه لهذا

---

٥ -انظر: **لو ١٩: ٤١-٤٤**

٦ - هناك مَن يُقدِّر تاريخ كتابته بسنة ٧٨م.

السبب عمَد إلى ترجمة ما كُتبه التى كتبها لبنى وطنه بلغتهم، أى بالعبرانية، إلى اللغة اليونانية لفائدة البرابرة، أى لفائدة الأجانب غير اليهود وتعريفهم بتاريخ اليهود، ومَن هم. وفى الواقع يلمس القارىء العادى قبل الباحث مدى الموضوعية فى عمله هذا. ثم يتناول فى كتابه(٧) الأول من "كُتبه" السبعة "لعمله" هذا الأحداث التى وقعت ما بين استيلاء انتيوخس ابيفانس على أورشليم إلى موت هيرودس الكبير. وهى تغطى مدة ١٦٧ سنة. وينقسم إلى ٣٣ فصل. ويُغطى الكتاب الثانى أحداث ٦٩ سنة من موت هيرودس إلى ارسال نيرون لفسبسيان لإخضاع اليهود. ويتكون من ٢٢ فصل. ويُغطى الكتاب الثالث أحداث سنة واحدة وهى من حضور فسبسيان إلى أخذه لجمالا، وهو عشرة فصول. وأيضا يُغطى الكتاب الرابع سنة واحدة من حصار جمالا إلى قدوم تيطس لحصار اورشليم، وهو ١١ فصل. والكتاب الخامس يغطى نحو ستة شهور من مجىء تيطس لحصار اورشليم إلى الشدة العظيمة التى كان اليهود فيها، وهو ١٣ فصل. والكتاب السادس يغطى مدة حوالى شهر، من الضيقة العظمى التى وصل إليها اليهود إلى أخذ تيطس لأورشليم، وهو ١٠ فصول. ويُغطى الكتاب السابع مدة حوالى ثلاث سنوات، من استيلاء تيطس على اورشليم إلى فتنة القيراون، وهو ١١ فصل.

وقد كتب أعماله باللغة اليونانية بنفسه، لأنها كانت اللغة العامة والأكثر انتشار للثقافة والمثقفين، إلى جانب كتابتها باللغة العبرانية ذاتها، مما يدل على سعة عِلمه.

٧- دعنى أُذكِّر قارئى العزيز بما سبق أن قُلته فى مقدماتى لأعمال الآباء الأولين وهو أن كتاباتهم فى ذلك الزمان لم تكن تعرف تقسيماتنا الحالية للكتابة من: مجلد، وكتاب، وأبواب، وفصول، وفقرات. وإنما فى أغلبها كانت على شكل، مقال بتعبيرنا الحالى، مُقسَّم بصفة عامة إلى أجزاء كانوا يسمون كل جزءٍ منها "كتاب". وأحيانا يقسمون هذه "الكُتب" إلى فصول لا تتجاوز فى كثير من الأحيان فقرة بمفهومنا الحالى، وقد يكون سطرين أو ثلاث. لذلك يلزم الوعى بأننى حرصا على سهولة الرجوع إلى النص فى لغاته الأجنبية سأستخدم هنا ذات تعبيراته مع وعينا بمضمونها الخاص بها.

يقول عنه المؤرخ يوسيبيوس القيصرى "أنه خليق بنا أن نصدقه بسبب أمانته فى المواضيع الأخرى".

٢- عاديات اليهود" Antiquities of the Jews، أو "العاديات اليهودية" Jewish Antiquities، أو "آثار اليهود" Archeology of the Jews، أو " الآثار اليهودية" Jewish Archeology . ويًقدر الدارسون تاريخ كتابته فى حوالى سنة ٩٤م.

فى هذا العمل يَسرِد تاريخ شعب اسرائيل من ابراهيم حتى بداية الحرب مع روما فى عشرين كتابا. وذلك حسب التراث والمصادر اليهودية التى كانت متوفرة آنذاك.

٣- "ضد إبيون". وإبيون هذا كان لُغويا أو نَحَويا، وكتب كِتابا وقتذاك ضد اليهود. فأظهر يوسفوس أقدمية اليهود، ومُبينا أفضلية اليهودية. وأرى أن القديس كليمندس الاسكندرى قد اعتمد على، أو على الأقل اطلع على، هذا العمل فى كتابه "استروماتيس" أى المتفرقات[٨] فى بابه الذى يوضح فيه مديونية الفلاسفة اليونانيين لأسفار العهد القديم. ويًقدر الدارسون تاريخ كتابته فى حوالى سنة ٩٧م.

٤- "حياة فلافيوس يوسفوس" أو "السيرة الذاتية لفلافيوس يوسفوس" ويًقدر الدارسون تاريخ كتابته فى حوالى سنة ٩٩م.

ويُعلق أحد الباحثين على اعماله قائلا أتها تزودنا برؤية قيّمة ليهودية القرن الميلادى الأول، وبخلفية قيمة للمسيحية الأولى. وأقول أنا أن إشاراته إلى المسيحية والى السيد المسيح الذى لابد وأن يكون قد استمع إلى أحد تلاميذه قبل سنة ١٠٠م، لم تكن مباشرة باعتباره كان فريسيا. ومع ذلك، فإن اشارته عن "يسوع" التى ترد في

٨ - انظر ترجمته للمعرب على موقع الكنوز القبطية.

كتابه "العاديات اليهودية" تُعَد أول وأقدم اشارة إلى السيد المسيح كشخصية تاريخية وُجِدَت فى زمن معين ومكان معيَّن.

كما يُنسَب خطأً إلى يوسفوس عمل بعنوان "خطاب يوسفوس إلى اليونانيين بشأن الجحيم Hades". فهذا العمل كاتبه الحقيقى – كما أثبت الدارسون- هو هيبوليتس الرومانى Hippolytus of Rome وعنوانه الأصلى "ضد افلاطون، عن علة الوجود".

+++++

هذا الكتيب

فى كُتيبنا هذا اجتزأت الأجزاء الخاصة بإتمام ما نطق به رب المجد عن أورشليم وهيكلها، مما كتبه يوسفوس بنفسه فى "الحروب اليهودية". لذلك حافظتُ على أرقام "كُتبه" وعلى تقسيم المترجم إلى الإنجليزية للكتاب إلى فصول وفقرات مُرقمة لتسهيل الإشارة إليها والرجوع إليها فى مصدرها الانجليزى.

وأُحب أن أنوه إلى أننى قد اعتدتُ فى اعمالى السابقة على وضع الاضافات التى يستلزمها النص الانجليزى عند التعريب حرصا على السياق اللُغوى أو لتوضيح المعنى بين قوسيَن مُربعين هكذا [ ]. ولكن فى هذا العمل وجدتُ المترجم إلى الانجليزية قد استخدم هو هذا الشكل من الأقواس بصفة رئيسية وبكثرة. ولهذا وضعتُ على إضافاتى متى اضطررت إلى ذلك هامشا برقم ثابت فى سائر المواضع التى أضفتُ فيها كلمة ما.

"حروب اليهود"

الكتاب الأول

(ويشتمل على احداث مدة ١٦٧ سنة. من استبلاء انتيوخس ابيفانس
Epiphanes Antiochus *على أُورشليم إلى موت هيرودس الكبير)*

الكتاب الأول: الفصل الاول

(كيف أخِذ انتيوخس مدينة أورشليم، وسَلب ونهب الهيكل.وأيضا بشأناعمال المكابيّين: متياس ويوداس، وموت الثانى)

(١/١/١) فى ذات الوقت الذى كان فيه انتيوخس الذى كان يُدعَى ابيفانس فى نزاع مع بطلميوس[٩] السادس بشأن حقه فى كل اقليم سوريا، وقعت فتنة عظيمة بين الرجال المقتدرين فى اليهودية، وكانوا يقصدون الاستيلاء على الحُكم، إذ كان كلُ واحدٍ من أولئك الرجال ذوى الكرامة غير قادرٍ للخضوع لأقرانه. ومع ذلك، حاز أونياس Onias – أحد رؤساء الكهنة- السبق، وطرد أبناء طوبيا من المدينة. فهربوا إلى انتيوخس، وتوسلوا له أن يستخدمهم [مُرشِدين] لقواده، وأن يقوم بحملة على اليهودية.

ولما كان الملك يُعِّد لذلك من قبل، أذعن لهم. وهجم على اليهود بغتة بجيش عظيم، واستولى على مدينتهم بالقوة. وقتل جمعا عظيما ممن كانوا يُشايعون بطلميوس، وأرسل جنوده لينهبوهم بلا رحمة، وأفسد الهيكل أيضا، وأبطل الممارسة الدائمة لتقديم ذبائح الكفارة اليومية لمدة ثلاث سنوات وستة أشهر.

وهرب أونياس رئيس الكهنة إلى بطلميوس الذى وهبه مكانا فى منطقة هليوبوليس حيث بنى مدينة تشبه اورشليم، و[شيَّد] هيكلا مثل هيكلها، وسنتكلم عنه أكثر فيما بعد.

٩- أنا اعلم أن الشكل الدارج لهذا الاسم فى الكتابات العربية المصرية هو بطليموس، ولكننى اتبنى هنا الشكل العربى الذى قدَّمه الدكتور نصحى فى كتاباته عن العصر البيزنطى فهو أقرب تعريب للشكل الانجليزى لهذا الإسم. كما يكتب أيضا بتولمى أو بطولمى.

(٢/١/١) والآن، لم يكن انتيوخس راضيا لا بأخذه للمدينة على نحوٍ لم يتوقعه، ولا بغنائمه، ولا بالمذبحة العظيمة التى فعلها هناك، أجبر اليهود - وهو مغلوب من أهوائه الطاغية، ومتذكرا لِما عاناه أثناء الحصار - على التخلى عن قوانين بلدهم، وعلى إبقاء أولادهم بلا ختان، وعلى تقديم لحم الخنازير فى الذبائح على المذبح. تلك الأمور التى عارضها جميعهم، فأُعدِم الكثيرون من المُعتبَرين منهم.

ومارس باخيدس Bacchides أيضا الذى أُرسِل لحماية الحصن – إذ تلقى هذه الأوامر الشريرة، والتى تلاقت مع طبيعته البربرية – كل انواع الشرور الأفظع، فعذَّب أكثر المواطنين إجلالا رجلا رجلا، وهدد مدينتهم كل يوم بالخراب. إلى أن هيَّج أخيرا - بتطرفه فى أفعاله الشريرة- الفقراء للإنتقام لأنفسهم.

(٣/١/١) ونتيجة لذلك تسلح متياس ابن اسامونس Asamoneus - احد الكهنة الذين عاشوا فى قرية مودين Modin (؟؟؟؟) هو وعائلته، وكان له فيها خمسة ابناء. وقتل باخيدس بالخناجر، ثم هرب الى الجبال خوفا من كثرة حراس [الاعداء]. وتبعه جمع غفير حتى أنه تشجع ونزل من الجبال لمحاربة جنرالات انتيوخس. فضربهم وطردهم من اليهودية. ونتيجة لنجاحه هذا صار أميرا لشعبه بكامل رضائهم. ثم مات وخلفه فى الحُكم ابنه الأكبر يوداس.

(٤/١/١) وإذ افترض يوداس أن انتيوخس لن يهدأ، جمع جيشا من مواطنيه، وكان أول مَن يُبرم معاهدة صداقة مع الرومان، ثم طرد ابيفانس من البلاد عندما قام بحملة ثانية عليه، وألحق به هزيمة شديدة هناك. وإذ تحمس بهذا النجاح العظيم، انقض على الحامية التى كانت فى المدينة لأنها لم تكن قد أُزيلت بعد، واخرجهم من المدينة العليا وطرد الجنود الى [المدينة] السفلى التى كانت جزءً من المدينة ويُدعى القلعة. وعندئذ استحوذ على الهيكل وجعله تحت سلطانه، وطهَّر المكان كله، وسوَّر

حواليه، وصنع أوانى جديدة للخدمات المقدسة، وأحضرها إلى الهيكل لأن الأوانى الأولى كانت قد تنجست. وبنى أيضا مذبحا جديدا. وبدأ يقرب الذبائح.

(٢/٤/١) وعندما استردت المدينة نظامها المقدس مرة أخرى، مات انتيوخس وخلفه ابنه انتيوخس فى المملكة، وأيضا فى كراهيته لليهود.

(٥/١/١) وهكذا جمع انتيوخس هذا[١٠] خمسين ألف من المشاة، وخمسة آلاف من الفرسان، وثمانين فيلا، وزحف خلال اليهودية إلى الاجزاء الجبلية. فأخذ أولا بيت سورا Bethsura التى كانت مدينة صغيرة، ولكن فى مكان كان يُدعى بيت زخرياس حيث كان الممر ضيقا، قابله يوداس بجيشه. (٢/٥/١) ومع ذلك، وقبل أن تلتحم القوات فى معركة، رأى اليعازر اخو يوداس فيلا ضخما عاليا مُزينا ببرج كبير مُذهب وقوات عسكرية تحرسه، فظن أنه فيل انتيوخس نفسه، فاندفع نحوه وشق لنفسه طريقا بين قوات الأعداء حتى وصل الى الفيل. ولما كان الفيل مرتفعا جدا لم يستطع أن يصل الى ذلك الشخص الذى ظن أنه الملك. فأخذ يطعن بسلاحه بطن الوحش حتى سقط عليه وسُحِق تحته. وإذ لم يفعل أكثر من أنه حاول أمرا عظيما، أظهر أنه فضَّل المجد عن الحياة.

اما ذاك الرجل صاحب هذا الفيل فلم يكن سوى رجل خاص، [وتظاهر بأته] انتيوخس. وأن اليعازر لم يفعل شيئا اكثر، بهذا الهجوم الجرىء، سوى أنه أظهر أنه اختار الموت عندما كان لديه مجرد أملٍ فى أن يكون هذا العمل مسلكا مجيدا.

بل إن هذا الحدث غير المتوفع أعطى فألا لأخيه (يوداس) بكيف ستنتهى المعركة كلها.

١٠- أى الإبن.

وفى الحقيقة، حارب اليهود فى هذه المعركة بشجاعة لمجة طويلة، لكن قوات الملك إذ كانت فائقة فى العدد، وكان الحظ فى جانبها، حازت على النصر. وعندما قُتِل عددٌ كبير من رجاله، أخذ يوداس الباقين معه وهرب إلى قمة جوفنا[١١] Gophna.

وهكذا ذهب انتيوخس إلى أورشليم، ومكث هناك بضعة أيام لأنه احتاج إلى مؤونة ثم مضى فى طريقه، وترك حامية خلفه على نحو ما رآه كافيا لحراسة المكان، ولكنه سحب باقى جيشه ليقضوا شتائهم فى سوريا.

(٦/١/١) والآن بعد أن رحل الملك، لم يكن يوداس خاملا فقد جاء إليه كثيرون من شعبه. فجمع حوله

أولئك الذين هربوا من المعركة، وقام بمعركة مع جنرالات انتيوخس فى قرية تُدعَى "أداسا" Adasa. وإذ كان شديدا جدا على أعدائه فى المعركة، وقتل عددا غفيرا منهم، قُتِل هو نفسه أخيرا. ولم تمضِ أيام كثيرة بعد ذلك حتى وقع أخوه يوحنا فى مكيدة ضده بواسطة حزب أنتيوخس وقُتل بواسطتهم.

١١- جوفنا مدينة فلسطينية كانت تقع فى قسم بنيامين. وكان يوسفوس يعتبرها تلى اورشليم مباشرة فى الاهمية، ويضمها عادة باركاباتا. وقد استولى عليها فسبسيان فى حملته على فلسطين. وعندما زحف تيطس بجيشه عبر قيصرية والسامرة اجتاز من خلالها. وقد جعلها يوسيبيوس القيصرى اشكول الكتابية ودعاها "فاليس بوترى" وحدد موقعها بخمسة عشر ميلا من اورشليم على الطريق إلى نيابوليس(نابلس الآن). وهى الآن قرية بنفس اسمها القديم "جوفنا" واغلبها مسيحيون. [عن .Dictionary of Greek and Roman Geography, 1854]

الكتاب الخامس

(ويشتمل على مدة ستة أشهر تقريبا من مجىء تيطس لحصار أورشليم
إلى الشدة القصوى التى أصبح اليهود مُهددون فيها بالانحطاط)

الكتاب الخامس: الفصل الأول

(بشأن التحريض على الفتنة فى أورشليم، والبؤس المرعب الذى اُبتُلِيَت به المدينة من جراء ذلك)

(١/١/٥) وعندما بدأ تيطس يجتاز فى تلك الصحراء التى تقع بين مصر وسوريا على النحو السابق الإشارة إليه[١٢]، أتى إلى قيصرية عاقدا العزم على أن يُنظِم قواته فى ذلك المكان قبل أن يبدأ الحرب.

وفى الواقع، بينما كان يُساعد أباه فى الأسكندرية على تثبيت الحُكم الذى كان الله قد أسبغه عليه حديثا، خدث أن انتعشت الفتنة فى أورشليم وانقسمت إلى ثلاث فئات متناحرة. كل فئة تحارب ضد الأُخريتَين . وكانت كل زمرة تنقسم أيضا على نفسها. ولا شك فى أن هذا التجزىء فى مثل هذه الحالات الشريرة يمكن أن يكون أمرًا جيدا، وأنه من فِعل العدالة الإلهية. وأما بالنسبة للهجوم الذى قام به الغيورون على الشعب والذى أحسبه أنا بداية خراب المدينة فقد شُرِح من قبل على نحو وافٍ: من أين نشأ، وكيف كان، وإلى أى سوءٍ وصل. ولكن بالنسبة للفتنة الحالية، فإن المرء لا يُخطىء إن دعاها فتنة مولودة من فتنة أخرى، وأنها مثل حيوان مفترس ازداد جنونا بسبب افتقاره إلى الطعام الخارجى فبدأ يلتهم ذات جسده.

(٢/١/٥) لأن اليعازر بن سيمون- الذى كان سبب الانفصال الأول للغيورين عن الشعب، وجعْلِهم يعتزلون فى الهيكل- قد أظهر غضبا شديدا على أعمال يوحنا الوقحة التى كان يقوم بها كل يوم ضد الشعب لأن هذا الرجل لم يكف قط عن

١٢- فى كتبه السابقة من هذا العمل. أى فى أبوابه السابقة من هذا الكتاب. والتى حذفناها هنا رغبة فى الإيجاز.

القتل. ولكن السبب الحقيقى هو أنه لم يستطع الخضوع لطاغيةٍ خلاف نفسه. وإذ كان تواقا إلى استحواذ كل القوة والسلطان فى يده، انفصل عن يوحنا، وأخذ لمساعدته يوداس ابن خلكياس، وسيمون ابن ازرون اللذان كانا من أعظم الرجال قوة. وكان معه أيضا حزقيا ابن خوبار وهو رجل من البارزين. وكان كلٌ منهم يتبعه عدد كبير من الغيورين. فاحتل أولئك دار الهيكل الداخلية ووضعوا أياديهم على البوابات المقدسة، وعلى الواجهات المُقَّدَسة لذلك الدار. وإذ كانت لديهم وفرة من المؤن المخصصة للإستعمالات المقدسة تشجعوا ولم يتشككوا فى الاستفادة بها. ومع ذلك كانوا خائفين من جراء قِلة عددهم. وعندما وضعوا أياديهم هناك لم يتحركوا من المكان الذى كانوا فيه.

أما بالنسبة ليوحنا فقد حاز على ميزة كبيرة تفوق تلك التى لاليعازر إذ كان الحشد الذى يتبعه بقدرٍ لم يكن اليعازر يتمتع بمثله. ولكن أعدائه كانوا فوق رأسه. وإذ كان غير قادرٍ على أن يشن أية غارة عليهم بدون شيءٍ من الرعب، كان غضبه عليهم شديدا جدا لأن يدعهم فى راحة. فعلى الرغم من أنه قد عانى من الأذى من أليعازر وحزبه أكثر من منازلتهم، إلا أنه مع ذلك لم يكف عن الإغارة عليهم حتى أنه كانت هناك هجمات مستمرة من كلٍ منهما ضد الآخر، حيث كانت السهام تُلقى من بغضهم على بعض. وتتدنس الهيكل فى كل مكان بالقتلة.

(٣/١/٥) والآن، بعدما صارت المدينة العليا وجزء من [المدينة] السفلية تحت سلطان الطاغية سيمون ابن جيوراس Gioras - الذى استدعاه الشعب على أمل أن يُساعدهم فى هذه المحنة العظيمة التى كانوا فيها- أخذ يشن غارات عنيفة على يوحنا وحزبه لأنهم كانوا يحاربون من فوق أيضا، وكان موقعه تحتهم فى هجومه

عليهم. كما كانوا هم أيضا[١٣] أسفل أولئك الذين كانوا فوقهم. ولذلك حدث أن أُصيب يوحنا بسهولة بأذى وخسارة عظيمة لأنه كان يحارب فى كلا الجانبين. ونفس الميزة التى كانت لأليعازر وحزبه من فوق- حيث كان هو أسفلهم- كانت هى ذاتها التى له بالنسبة لسيمون حيث كان موقعه أعلى. لهذا السبب كان يصد بسهولة الهجمات التى تأتى عليه من أسفل بأسلحة ملقاة بأياديهم فقط. ولكنه كان مضطرا لصد أولئك الذين كانوا يرشقونه بسهامهم من الهيكل من فوقه بواسطة آلات حربٍ، لأنه كان لديه عدد ليس بقليل من تلك الآلات التى [تُستخدَم] فى إلقاء السهام والرماح والحجارة، والتى بواسطتها لم يستطع فقط أن يُدافِع عن نفسه ضد أولئك الذين كانوا يُحاربونه، ولكنه قتلَ أكثر من ذلك العديد من الكهنة الذين كانوا فى خدماتهم المقدسة. إنهم لم يقاوموا أولئك الذين فُتُنوا بكل أنواع العقوق، ولكنهم كانوا يسمحون لأولئك الذين يرغبون فى تقديم ذبائحهم[١٤] ولو أن ذلك كان بإرتياب وحذر بالنسبة للآهالى. فقد كانوا[١٥] يفتشون الغرباء – الذين رغم التصريح الذى تلقوه منهم- كانوا قساة معهم إلى حد بعيد. ولكى يدخلون[١٦] إلى الساحة، كانوا بذلك يصيرون ضحايا هذا الشغب. لأن السهام التى كانت تُلقَى بواسطة الآلات كانت تندفع بقوة حتى أنها كانت تمر فوق جميع المبانى وتصل بعيدا إلى المذبح والمزار نفسه وتستقر على الكهنة وعلى أولئك الذين كان يتصادف وجودهم فى خدمات مقدسة، لدرجة أن كثيرين من الأشخاص الذين أتوا إلى هناك بغيرة عظيمة من أقاصى الأرض ليُقرِّبوا ذبائحهم فى هذا الموضع الإحتفالى الذى كان يُعَّد مُقدَّسا من جميع البشر، سقطوا هم أنفسهم أمام ذبائحهم ورشوا بدمائهم المذبح الذى كان مُكرما من جميع

١٣- أى يوحنا وحزبه.
١٤- أن يقدموها.
١٥- أى مثيرو الفتنة
١٦ - أى الغرباء

الناس: يونانيين وبرابرة، واختلطت جثث الموتى الغرباء مع الأهالى، والنجسين مع الكهنة، وصارت دماء كافة الجثث تُشكِّل بحيرات فى الدار المقدسة ذاتها.

والآن، "أيتها المدينة التعسة، أى بؤس أعظم من هذا، كابدتيه من الرومان عندما جاءوا ليُطهروكِ بنارٍ من كراهيتك الأهلية، لأنك لم تعودِ بعد موضعا لائقا لله، ولا يمكنك بعد أن تستمرى فى الوجود بعدما صرتِ لحدا لأجساد شعبك، وجعلتِ البيت المُقدَّس نفسه جبانة فى حربك الأهلية هذه. ولكن ربما تصيرين أحسن مرة أخرى إن سَكَّنتِ فيما بعد غضب الله الذى هو مُوجِد خرابك". ولكن يجب على نفسى أن تكف عن هذه العواطف عملا بقواعد التاريخ حيث أن هذا ليس الوقت المناسب للنحيب الوطنى ولكن للسرد التاريخى. لذلك أعود إلى الأحداث التى تلت هذه الفتنة.

(٤/١/٥) والآن، كانت هناك ثلاثة مجموعات متنافرة فى المدينة، كل منها منفصل عن الآخر: أليعازر وحزبه، الذى حافظ على البكور المقدسة وجاء ضد يوحنا وكؤوسه. وكان أولئك الذين كانوا مع يوحنا، يسلبون وينهبون العامة ويخرجون بحمية ضد سيمون. وسيمون هذا كانت له مؤونته من المدينة فى مواجهة مثيرى الفتن.

ولذلك عندما كان يوحنا يتعرض لغارة من كلا الجانبين، كان يجعل رجاله يدورون ويُلقون سهامهم على أولئك المواطنين الذين يهجمون عليه من الأروقة التى كانت فى حوزته، بينما كان هو يواجه الذين يهاجمونه من الهيكل بواسطة آلات حربه. فإذا ما تحرر فى أى وقت من أُولئك الذين كانوا فوقه – الأمر الذى كان يحدث مرارا فى بعض الأحيان، بسبب تعبهم أو سُكرهم- كان يشن هجمات أكثر أمنا وبعدد كبير على سيمون وحزبه. وكان يفعل ذلك أيضا على أى جزء من المدينة مهما كان. وكان يحرق البيوت التى يكون بها حنطة ومؤن أخرى.

ونفس الأمر كان يفعله سيمون حيث كان هو أيضا يغير على المدينة عندما يخلد الآخرون إلى الراحة. كما لو كانوا يفعلون هذا عن عَمدٍ لخدمة الرومان بتدمير ما تمتلكه المدينة لمقاومة الحصار. وبهذا كانوا يقطعون أعصاب قوتهم الذاتية. ونتيجة لذلك، حدث أن احترقت كلَّ الأماكن التى حول الهيكل وصارت قفرًا مُهيئا للقتال فى كلٍ من جانبيه. واحترقت تقريبا كلُ الحنطة التى كان يمكن أن تكفى لحصار سنوات عديدة. وهكذا، أُخِذوا بواسطة المجاعة التى كان من المستحيل أن يتعرضوا لها لو لم يُمهدوا الطريق لها بمثل هذا الإجراء.

(٥/١/٥) والآن، إذ انهمكت المدينة فى حرب من كل جانب بين أولئك الخونة وحشود الأشرار، كان شعب المدينة بينهم مثل جسد كبير ممزق إلى قطع. وكان الرجال المسنين والنساء المُسنات بها[١٧] فى ضيقة من كوارثهم الداخلية إلى الحد الذى تاقوا فيه للرومان، وترجوا بشغف الحرب الخارجية لكى ما يتخلصوا من بؤسهم المحلى. وكان المواطنون أنفسهم فى ذعرٍ وخوف رهيب، ولم يكن لديهم أية فرصة للتشاور فى تغيير سلوكهم ولم يكن هناك أى رجاء فى اتفاق مع أعدائهم، ولا أية فرصة للتفكير فى الهرب فقد كان الحرس فى كل مكان، وكذا رؤساء اللصوص. وعلى الرغم من أن كل واحد من مثيرى الشغب كان ضد الآخر فى الأمور الأخرى، لكنهم مع ذلك اتفقوا على قتل أولئك الذين أرادوا أن يسالموا الرومان، أو أولئك الذين ارتابوا في أن لهم أى ميل للتخلى عنهم، كأنهم عدو مشترك[١٨]. إنهم لم يتفقوا فى شىءٍ إلا هذا: وهو قتل أولئك الأبرياء. وكانت أيضا ضجة أولئك المتقاتلين لا تكف نهارا وليلا، ولكن عويل النائحات فاقتها، ولم تكن هناك أية مناسبة لهن ليكففن عن العويل لأن فواجعهن تلاحقت واحدة بعد الأخرى. وعلى الرغم من الذعر الشديد، كن ممنوعات

١٧ - أى بالمدينة.
١٨ - للفئات المتناحرة.

من النواح الخارجى. ولكن فى انحصارهن بالخوف، حاولن إخفاء مشاعرهن الداخلية. فكُنَّ يتعذبن داخليا دون أن يجرؤن على فتح شفاههن والتأوه. ولم يُعطَ أى إعتبار لأولئك الذين كانوا ما زالوا أحياء حتى من أقاربهم. ولم يكن هناك أى اهتمام بدفن الموتى، فقد كان كل واحدٍ يائس من نفسه. لأن أولئك الذين لم يكونوا بين مثيرى الشغب، لم تكن لديهم رغبة كبيرة فى أى شىء إذ كانوا كأشخاص يتوقعون هلاكهم الآتى سريعا. أما مثيرو الشغب أنفسهم، فكانوا يدوسون- وهم يحاربون بعضهم بعضا - فوق جثث الموتى حيث كانت مكدسة فى أكوام فوق بعضها البعض. وإذ يستمدون غيظا جنونيا من الجثث التى تحت أقدامهم، يصيرون أكثر وحشية فوقها. وكانوا أكثر من ذلك ما زالوا يتفننون فى وسيلة أو أخرى تكون مميتة لأنفسهم. وعندما كانوا يعقدون العزم على شىء، كانوا ينفذونه بلا رحمة ولا يتركون أية طريقة للتعذيب أو البربرية. كلا، بل أن يوحنا قد أساء استعمال الموارد المُقدَّسة واستخدمها فى بناء آلات حربه.لأن الشعب والكهنة كانوا قد صمموا من قبل على ترميم الهيكل وتعلية البيت المُقَّدَس عشرين ذراعا علوا. وأحضر الملك أغريباس من لبنان، بنفقات كثيرة ومشقة عظيمة، تلك المواد الملائمة لهذا الغرض - أجزاء من الخشب الجيد جدا للنظر بسبب استقامتها وكبرها- ولكن الحرب اندلعت وتعطل العمل، فقطعها يوحنا وأعدها لبناء "الأبراج" إذ وجدها طويلة بما يكفى للغرض منها فى صد المقاومين الذين كانوا يحاربونه من الهيكل من فوقه، فأحضرها ونصبها خلف الفناء الداخلى فى مواجهة طرف الرواق الغربى حيث كان هناك فقط يمكن نصبها لأن الجزء الآخر من هذا الرواق كانت به درجات كثيرة على نحو لا يمكنهم أن يكونوا قريبين من الأروقة بما فيه الكفاية.

(٦/١/٥) وهكذا كان يوحنا يترجى أن يكون شديدا جدا بالنسبة لأعدائه بواسطة هذه الآلات المُشيَّدة بعقوقه، ولكن الله نفسه أظهر أن تعبه سيكون بلا فائدة له[١٩] وذلك بجلب الرومان عليه قبل أن يرفع أيَا من بروجه. لأن تيطس عندما أخذ جزءً من قواته معه وأمر باقى القوات أن يقابلوه فى اورشليم، زحف من قيصرية. وكان معه ثلاثة فيالق تلك التى رافقت أبيه عندما خرّب اليهودية، مع الفيلق الثانى عشر الذى كان مثل الآخرين متميزا ببسالته. وهكذا زحفوا الآن برشاقة أعظم لينتقموا لأنفسهم من اليهود متذكرين ما عانوه سابقا منهم. وقد أمر الفيلق الخامس من هذه الفيالق أن يُقابلوه عن طريق عمواس، والعاشر عن طريق أريحا. ثم تحرك هو بنفسه أيضا مع الباقى. وإلى جانب أولئك سارت أيضا القوات الإضافية المُساعِدة التى أرسلها الملوك، مع عدد جديرٌ بالاعتبار أتى لمساعدته من سوريا فصار الآن أكثر عددا من ذى قبل. وأولئك الذين اُختِيروا من هذه الفيالق الأربعة وأُرسِلوا مع موكيانوس إلى ايطاليا، شُغِلت أماكنهم بأولئك الجنود الذين أتوا من مصر مع تيطس وكانوا ألفين من الرجال المُنتخَبين من الجيوش التى بالاسكندرية. وقد تبعه أيضا ثلاثة آلاف مُنتخبين من أولئك الذين كانوا يحرسون نهر الفرات. وجاء أيضا تيباريوس الكسندر الذى كان صديقا له والأكثر نفعا بسبب صدق رغبته من جانب وفطنته من جانب آخر. وكان حاكما للآسكندرية من قبل ولكنه اُعتُبِر الآن مستحقا أن يكون قائدا عاما للجيش(تحت تيطس). وكان سبب ذلك هو أنه كان أول مَن أول مَن شجع فسبسيان على قبول السلطة الجديدة، وربط نفسه به بإخلاص شديد عندما كانت الأمور غير متيقنة بعد. وتبع أيضا تيطس فى حربه كمُشير نافع جدا له فى هذه الحرب، بعمره ومهارته فى مثل هذه الأمور، معا.

---

١٩ - لأنه إن لم يحرس الرب البيت فباطلا تعب الحراس. (قارن: مز ٢:١٢٧)

الكتاب الخامس: الفصل الثانى

[كيف زحف تيطس إلى أورشليم، وكيف كان فى خطر وهو يشاهد المدينة. والمكان الذى عسكر فيه]

(١/٢/٥) والآن، عندما شرع تيطس فى السير نحو بلد العدو، زحفت القوات المساعِدة المُرسَلة من الملوك أولا ومعها كل القوات الإضافية، ومن خلفها كان يليها أولئك الذين كان عليهم إعداد الطرق وتهيئة المعسكر، ثم أمتعة القادة، وبعد ذلك الجنود الآخرون المُسلَّحون بالكامل ليدعموهم. ومن بعدهم تيطس نفسه ومعه جسم آخر من المنتخَبين، ثم يأتى رماة الرماح، وبعدهم يأتى فرسان هذا الفيلق.

وكل هذا يأتى قبل مجىء الآلات. وبعدها يأتى التريبيون[٢٠] وقواد الكتائب مع حرسهم المختار. وبعد ذلك تأتى الرايات مع النسور، وأمام تلك الرايات قارعو الطبول الخاصة بها. ويليها الجسم الأساسى للجيش فى صفوفه. وكل فيلق ستة اعماق. ويأتى خَدَم كل فيلق بعدهم. وقبل أولئك الآخرين تكون أمتعتهم ويأتى المرتزقة أخيرا، وأولئك الذين يحرسونهم فى المؤخرة.

وقاد تيطس بحسب العادة الرومانية الجيشَ على نحو معقول، واجتاز السامرية إلى "جوفنا" Gophna [؟؟]، [وهى] المدينة التى كانت قد أُخِذَت قبلا بواسطة أبيه ثم صارت بها حامية جنود رومان. وبعدما بات هناك ليلة واحدة، واصل زحفه فى الصباح. وعندما سار نحو مسيرة يوم، نصب معسكره فى الوادى الذى يُسميه اليهود فى لغتهم "وادى الشوك"[٢١]. بالقرب من قرية تُدعَى "جباوت

٢٠- المدافِع عن حقوق العامة ومصالحهم عند الرومان. أى بمثابة النائب العام الآن.

٢١- يوسفوس، لأنه يكتب عمله باليونانية وبالطبع لغير اليهود فإنه يُترجم هنا معانى الأسماء العبرية لقرائه.

ساث" Gabaothsath التى تعنى "تل شاول"، وكانت تبعد عن أورشليم نحو ثلاثين غلوة[٢٢].

وهناك اختار ستمائة من الفرسان المنتخَبين وذهب ليُعاين المدينة وليُلاحظ مدى قوتها، ودرجة شجاعة اليهود. ومع ذلك عندما رأوه، وقبلما يأتون إلى معركة مباشرة، أبدوا خوفا وخضوعا. وقد عَلِم- وهو صحيح حقا– أن الشعب الذى وقع تحت سلطة مثيرى الشغب واللصوص كانوا تواقين بشدة إلى السلام، وكانوا خائفين لضعفهم الشديد فى أن يثوروا ضد الباقين، فلبثوا هادئين.

(٢/٢/٥) وبينما هو سائر ممتطيا جواده عبر الطريق الرئيسى الذى يُؤدى إلى سور المدينة، لم يظهر أىُّ شخص خارج البوابات. ولكنه عندما انحرف عن ذلك الطريق ومال نحو برج "بسفينوس" Psephinus وانحرفت زمرة الفرسان وراءه، قفز فجأة عدد هائل من اليهود[٢٣] من على الأبراج التى تُدعَى "أبراج النساء" التى كانت خلال تلك البوابة التى كانت فى مواجهة خرائب الملكة هيلانة Helena[٢٤]، واعترضوا حصانه، ووقفوا مباشرة فى مواجهة أولئك الذين كانوا ما زالوا يسيرون عبر الطريق، وعوَّقوهم عن اللحاق بأولئك الذين انحرفوا عن الطريق المستقيم. واعترضوا تيطس أيضا مع بعض الآخرين.

وكان من المستحيل له أن يتقدم لأن كل الأماكن كانت مملوءة بالخنادق حول الأسوار لحماية البساتين المحيطة، وبالبساتين المائلة الواقعة هناك، وبكثير من الحواجز. ورأى أنه من المستحيل أيضا أن يرجع إلى رجاله الذين خلفه بسبب

٢٢- مقياس للطول يساوى نحو ثُمن ميل أو ٢٢٠ ياردة.

٢٣- بالطبع من أفراد الفصائل المتناحرة واللصوص كما واضح توا من بقية الجملة، وليس من عامة الشعب المدنى الخائف من هذه الحروب.

٢٤- يلزم الانتباه وبشدة إلى أن الملكة هيلانة المذكورة هنا – وكما سيُبين يوسيفوس فى موضع لاحق مَن تكون- ليست هى الملكة أم قنسطنطين.

تجمهر أعدائه المُحتشدين بينه وبينهم والذين لم يعرف الكثيرون منهم، فى الحقيقة، أن الملك فى خطرٍ ومن ثم هربوا إلى خلف مفترضين أنه مازال بينهم. عندئذ أدرك أن المحافظة عليه رهينة بالكامل بشجاعته الخاصة، فالتفت بحصانه وصاح عاليا إلى أولئك الذين كان عليهم أن يتبعوه، وركض بعنف إلى وسط أعدائه لكى يفتح عنوة طريقا لرجاله.

ومن ثم ينبغى أن نَعلم أساسا أن كُلاًّ من نجاح الحروب والخطر الذى يتعرض له الملوك، هو من عناية الله. لأنه بينما كان عددٌ من السهام يُلقَى علي تيطس عندما لم يكن معه لا خوذة ولا درع (لأنه كما قلتُ لكم ذهب لا ليُحارب ولكن لكى يُشاهِد المدينة) فإن أيًا منها لم يمس جسده، ولكنها حادت عنه بدون أن تضره كما ولو كانت جميعا قد أخطأته عن قصد، وأحدثت فقط ضجة عند مرورها بجانبه.

وهكذا شطر بسيفه أولئك الذين جاءوا إلى جانبه، وقلب كثيرين ممن واجهوه مباشرة، وجعل حصانه يطأ الذين قلبهم. وصرخ الأعداء حقا من جسارة القيصر، وحث بعضهم بعضا للوثوب عليه. ولكنه استطاع مع ذلك الهروب منهم، وأن يقلعوا هم عنه فى عدد كبير. بينما حافظ أولئك الذين كانوا معه فى هذا الخطر على الالتصاق به، على الرعم من أنهم قد جُرِحوا فى ظهورهم وفى جوانبهم معا. لأن كلا منهم لم يكن له سوى أمل الهرب إذا استطاعوا أن يُساعدوا تيطس على شق طريق لنفسه حتى لا يُحاصره أعداؤه قبل أن يفلت منهم. وكان هناك على مسافة منه اثنان ممن كانوا معه، حاصر الأعداء أحدهما وقتلوه بسهامهم هو وحصانه أيضا. أما الآخر فقتلوه عندما قفز عن حصانه، وأخذوا حصانه معهم. ولكن تيطس هرب مع الباقين وأتى إلى المعسكر سالما.

ولهذا أثار نجاح اليهود فى هذه المعركة الأولى ذهنهم واعطاهم رجاءً بلا أساس. وجعلهم هذا الميل البسيط للحظ إلى جانبهم أكثر شجاعة في المستقبل.

(٣/٢/٥) ولكن الآن، بمجرد أن انضم الفيلق الذى كان فى عمواس إلى قيصر ليلا، حتى تحرك عندئذ نهارًا من هناك وأتى إلى مكان يُدعَى سيوبس Scopus، ومن هناك أمكن مشاهدة المدينة على الفور ومشاهدة الهيكل العظيم بوضوح. وهذا المكان كان فى الربع الشمالى للمدينة ويتصل به من هناك سهلٌ يُدعَى بالصواب اسكوبس [المُطَل]، ولم يكن يبعد عنها أكثر من سبع غلوات. وهنا أمر تيطس بإنشاء معسكر لفيلقين معا، ولكنه أمر بإنشاء معسكر آخر خلفه[٢٥] على مسافة أبعد بثلاث غلوات للفيلق الخامس لأنه فكَّر أنه أثناء السير ليلا ربما يكونوا متعبين ومن ثم يلزم أن يتوفر لهم غطاءً من العدو ويحصنون أنفسهم بأقل خوفٍ.

وعندما بُدِأ فى إنشاء هذه المعسكرات كان الفيلق العاشر الذى جاء من خلال أريحا قد وصل توا إلى هذا المكان حيث كان بعض الرجال المُسَلَّحين قد اصطفوا من قبل لحراسة الطريق الذى يؤدى إلى المدينة والتى كانت قد أُخِذت من قبل بواسطة فسبسيان. وقد أُعطِيَّت الأوامر لهذه الفيالق بأن تعسكر على مسافة ستة غلوات من أورشليم عند جبل يُدعَى جبل الزيتون والذى يقع فى مواجهة المدينة من الجانب الشرقى، وينفصل عنها بوادى عميق يفصل بينهما يُدعَى [وادى] قِدرون Cedron.

(٤/٢/٥) ولمَّا كانت الأحزاب العديدة فى داخل المدينة تتطاحن بصفة مستمرة مع بعضها البعض، فقد أدت هذه الحرب الأجنبية التى أتت عليهم بغتة على نحو عنيف إلى توقف نزاعهم ضد بعضهم البعض. وعندما رأى مثيرو الشغب بدهشة الرومان وهم ينصبون معسكراتهم العديدة، بدأوا يفكرون فى نوع من الاتفاق الأخرق، وقال بعضهم لبعض: "ماذا نفعل نحن هنا، وماذا نقصد عندما كابدنا بناء ثلاثة أسوار حصينة، آ لنحبس أنفسنا خلفها حتى لا يمكننا أن نتنفس بحرية، بينما

٢٥= أى خلف المعسكر السابق مباشرة.

الأعداء يبنون بآمان مدينة فى مواجهتنا ونحن قابعين خلف أسوارنا، ونتفرج فقط على ما يفعلونه بأيادينا الخاملة ودروعنا المهملة، كما لو كان ذلك على نحو ما لخيرنا وميزتنا. نحن فقط كما يبدو(هكذا صرَّحوا) شجعان ضد أنفسنا، بينما الرومان محظوظون بأخذ المدينة بدون سفك دم بسبب فتنتنا".

وهكذا، شجعوا بعضهم بعضا عندما اجتمعوا معا، وحملوا أسلحتهم فى الحال وركضوا إلى الفيلق العاشر، وهجموا على الرومان بغيرة عظيمة وبصياح شديد بينما كانوا يُحصنون معسكرهم. وكان أولئك الرومان فى مجموعات مختلفة لكى يُنجزوا أعمالهم المتعددة. ولهذا السبب، كان عددٌ كبيرٌ منهم قد وَضع أسلحته جانبا، لأنهم ظنوا أن اليهود لن يتجرأوا على الهجوم عليهم، وافترضوا أن فتنتهم ستُبددهم. ولهذا اضطربوا على حين غرة وترك بعضهم الأعمال التى كانوا يقومون بها، وتفرقوا فى الحال، بينما هرع كثيرون إلى أسحتهم لكنهم ضُرِبوا وقُتِلوا قبل أن يمكنهم العودة إلى أعدائهم. وازداد عدد اليهود أكثر وأكثر لتشجعهم بنجاح أولئك الذين قاموا بالهجوم الأول. وإذ حازوا مثل هذا الحظ، بدوا لأنفسهم وللأعداء معا أكثر مما كانوا عليه حقا. إن الأسلوب غير النظامى لقتالهم جعل الرومان أيضا - الذين اعتادوا دوما على الحرب بمهارة بأسلوب نظامي، ومحافظين على صفوفهم، وإطاعة الأوامر التى تصدر إليهم- فى موقف [صعب]. ولهذا السبب، أُخِذ الرومان على حين غرة، واضطروا إلى إفساح المجال للغارات التى شُنَّت عليهم. ولما أفاق الرومان من المباغتة، التفتوا إلى اليهود ووضعوا حدًا لمهمتهم وجرحوهم، حيث أن طياشتهم جعلتهم قليلى الحذر. ولكن لمَّا تكاثر اليهود المهاجمين أكثر فأكثر اضطرب الرومان ومالوا إلى الهرب وتركوا المعسكر. وبدت الأمور كما ولو كان الفيلق كله فى خطر، ما لم يكن تيطس قد أُعلِم بالحالة التى هم فيها فأرسل لهم مددًا فى الحال. وأنبهم على جبنهم وأرجع الذين هربوا، وتوسطهم هو بنفسه وهجم على اليهود بجحافل مختارة كانت معه فقتل

عددا معقولا وجرح أكثرهم وأجبرهم جميعا على الفرار، وجعلهم يركضون بعجلة إلى أسفل الوادى.

وعانى اليهود بشدة من انحدار الوادى، لكنهم تغلبوا على ذلك، ثم رجعوا ووقفوا فى مواجهة الرومان وكان الوادى بينهم. وهناك قاتلوهم، واستمروا هكذا فى القتال حتى الظهر. ولكن بعد الظهر جعل تيطس أولئك الذين جاءوا لمساعدة الرومان معه، وجعل أولئك الذين يخصون الكتائب يمنعون اليهود من القيام بأية هجمات أخرى. ثم أرسل باقى الفيلق إلى الجزء العلوى للجبل لتحصين موقعهم.

(٥/٢/٥) وقد بدت مسيرة الرومان هذه لليهود على أنه هروب. وما أن اعطى المراقب الذى كان على السور إشارة بتلويح ردائه، حتى خرجت جمهرة جديدة من اليهود بجرأة قوية يمكن للمرء أن يُقارنها بركوض الحيوانات المفترسة الأكثر رعبا. والحق يُقال، أنه ولا واحدٍ من أولئك الذين قاوموهم استطاع أن يُقدِّر ضراوة هجماتهم، ولكنهم كما ولو كانوا قد ألقت بهم آلات، مزقوا صفوف الأعداء إلى أجزاء، فلجأوا إلى الفرار والركوض إلى الجبل، ولم يبق سوى تيطس وحده ومعه قليلون آخرون فى وسط هذا المرتقى. وأولئك الآخرون الذين كانوا أصدقاءه استهانوا بالخطر الذى كانوا فيه، وخجلوا أن يتركوا قائدهم فحثوه بإخلاص أن يتراجع عن أولئك اليهود الذين يتوقون إلى الموت وأن لا يواجه مخاطر مثل هذه إزاء أولئك الذين ينبغى المكوث أمامه وأن يتبصر فيما كان عليه حظه، وألا يهجم على العدوفجأة وهو يشغل موضع جندى عادى. وهذا لأنه جنرال فى الحرب وسيد المسكونة الذى تعتمد عليه المحافظة على الشؤن العامة. ولكن تيطس لم يُصغِ إلى مثل هذه الإغراءات، بل واجه الذين هجموا عليه وضربهم على وجوههم وأجبرهم على التقهقر وقتلهم. وهجم أيضا على عدد كبير كانوا يرتقون التل وطرحهم إلى أسفل. وبينما كان أولئك الرجال مندهشين من شجاعته وقوته، إلا أنهم لم يهربوا مع ذلك

مباشرة إلى المدينة ولكنهم تفرقوا على جانبيه وكبسوا على الهاربين إلى التل. ولكنه ظل مع ذلك يهاجم أجنحتهم حتى وضع حدًا لضراوتهم.

فى نفس الوقت حدثت فوضى ورعب لأولئك الذين كانوا يُشيِّدون معسكرهم على قمة التل عندما رأوا أولئك الذين كانوا أسفلهم يهربون لدرجة أن باقى الفيلق تشتت عندما ظنوا أن هجمات اليهود عليهم لم تُصَد، وأن تيطس نفسه قد هرب لأنهم فهموا أنه لو كان باقيا لمَا هرب الباقون. هكذا كانوا محصورين من كل جانب بالهلع والذعر. وتشتت البعض فى طريق والبعض الآخر فى طريق آخر، إلى أن رأى بعضهم قائدهم فى وسط العمليات ذاتها. ولمَّا تيقنوا بشدة منه صاحوا معلنين الخطر الذى فيه كل الفيالق، وجعلهم الخجل يرجعون ويوبخون بعضهم بعضا أنهم صنعوا ما هو أردأ من الهرب بالتخلى عن قيصر. لذلك استخدموا أقصى ما فى قوتهم ضد اليهود، ومالوا عن المنحدر المستقيم وألقوا بهم أكواما إلى قاع الوادى. عندئذ قاتلهم اليهود وهم يتقهقرون. ولمَّا كان للرومان ميزة الأرض إذ كانوا فوق اليهود، لذلك طردوهم جميعا إلى الوادى، وكبس تيطس أيضا على الذين كانوا قريبين منه، وأرسل الفيلق مرة أخرى لتشييد معسكرهم، بينما واجه هو والذين كانوا معه من قبل العدو ومنعه من القيام بأية أضرار أكثر، لدرجة أنه إذا سُمِح لى ألا أُضيف أى شيء بدافع التملق، أو أُنقِص أى شىء عن حسد، ولكن أن أقول الحق الصريح – [فإننى أرى] أن قيصر قد أنقذ الفيلق بأكمله مرتين عندما كان فى كارثة، ومنحه فرصة هادئة لتحصين معسكره.

الكتاب الخامس: الفصل الثالث

[كيف انتعشت الفتن من جديد فى داخل أورشليم، ومع ذلك كان اليهود ينصبون أشراكا للرومان. تيطس يتوعد جنوده لإندفاعهم الطائش]

(١/٣/٥) ولمَّا كفت الحرب التى من الخارج لبعض الوقت، انتعشت الفتنة فى الداخل. وفى عيد الفطير الذى كان قد حلَّ الآن، إذ كان اليوم الرابع عشر من شهر اكزنتيكس Xanthicus [نيسان] الذى يُعتقَد أن اليهود قد تحرروا فيه قبلا من المصريين، فتح اليعازر وحزبه بوابات هذه [الدار الداخلية] للهيكل، وسمح للشعب التواق إلى عبادة الله بدخوله. ولكن يوحنا استغل هذا الاحتفال كستار لمقاصده الشريرة، وسلَّح رعاع حزبه الخاص، والذين كان معظمهم غير متطهرين، بالأسلحة المُخَبَأة تحت ثيابهم، وأرسلهم بحماس عظيم إلى الهيكل ليحتلوه. وحالما دخل أولئك الرجال المسلحون هناك، خلعوا ثيابهم فى الحال وظهروا بدروعهم. ونتيجة لذلك كان هناك هرج وانزعاج عظيم بشأن البيت المُقَّدَس. بينما ظن الشعب الذى لم يكن له شأن بالفتنة أن هذا الهجوم هو ضد الجميع بدون تمييز. وكان الغيورون يظنون أنه ضدهم هم وحدهم. لذلك ترك أولئك حراسة البوابات وقفزوا من ابراج الحراسة إلى أسفل قبل أن يأتوا وهربوا إلى المغائر السرية فى الهيكل، بينما وقف الشعب إلى جانب المذبح مرتعدا، وتدحرجوا على بعضهم بعضا أكواما فى البيت المُقَّدَس. وكانوا يُضربون بالعصى وبالأسلحة الحديدية بدون رحمة. وكان مثل هذا يحدث مع آخرين. وقُتِل كثيرون من المسالمين بدافع العداوة والكراهية الشخصية كما لو كانوا مقاومين لمثيرى الشغب. وعُرِف الآن كل الذين كانوا قد دبروا أية مكيدة من قبل واُقتيدوا إلى القتل. وعندما فعلوا بالأبرياء كلَّ أذى مرعب بوفرة، عقدوا مع المذنبين هدنة وسمحوا لأولئك الذين هربوا للمغائر بالخروج.

واستولى اتباع يوحنا هذا على زمام الهيكل الداخلى هذا، وعلى كل شبه آلات حرب فيه، وعندئذ تجرأوا على مواجهة سيمون. وهكذا انخفضت جماعات الفتنة من ثلاثة فرقاء إلى جماعتين متنافرتين الآن.

(٢/٣/٥) ولكن تيطس، وهو عازم على أن ينصب معسكره بالقرب من المدينة أكثر من اسكوبس، وضع كثيرا من فرسانه المنتخَبين ومشاته بقدر ما رآه كافيا فى مواجهة اليهود ليصدوا هجماتهم عليهم، بينما اصدر تعليماته لكل الجيش بتسوية المسافة لغاية سور المدينة. وهكذا اقتلعوا جميع السياجات والاسوار التى أقامها السكان حول بساتينهم وحدائقهم. واقتلعوا كل أشجار الفاكهة التى تقع بينهم وبين سور المدينة، وردموا جميع الفجوات والشقوق، وأزالوا المساقط الصخرية بالأدوات الحديدية. وهكذا جعلوا كل المكان مستويا، من اسكوبس إلى خرائب هيرودس المتاخمة للبِركة المسماة "بركة الثعابين".

(٣/٣/٥) وفى هذا الوقت ذاته احتال اليهود على الرومان بالخدعة التالية. فقد خرج أكثر مثيرى الشغب جرأة من الأبراج التى تُعرَف "بأبراج النساء"، كما ولو كانوا قد طُرِدوا من المدينة من قِبَل أنصار السلام، واحتشدوا معا مرتعدين كما ولو كانوا خائفين من هجوم الرومان، وخائفين من بعضهم بعضا. وبدأ أولئك الذين كانوا يقفون على السور يصيحون بصوت مرتفع من أجل السلام، وبدوا كأنهم إلى جانب الشعب، والتمسوا الآمان لحياتهم، ودعوا الرومان ووعدوهم بفتح الأبواب لهم. وأخذوا يصيحون بهذا المنوال، وهُم يلقون الحجارة على شعبهم[٢٦] كما ولو كانوا يطردونهم بعيدا عن البوابات. وأولئك أيضا تظاهروا بأنهم قد اُستُبعِدوا بالقوة،

٢٦- أى اليهود الذين خارج الأبواب.

وأنهم يتوسلون إلى الذين على الأبواب لإدخالهم. وعندما كان يطردهم الآخرون إلى الرومان، كانوا يرجعون باستمرار. وبدوا كما لو كانوا فى فوضى عظيمة.

فظن الجنود الرومان عندئذ أن هذه الخدعة الماكرة من اليهود حقيقية، وأنه قد صار لهم حزب تحت سيطرتهم، ويمكنهم معاقبتهم كما يشاؤون، وآملوا فى أن يفتح لهم الحزب الآخر بواباتهم. فشرعوا فى تنفيذ مقاصدهم فى الحال.

ولكن تيطس نفسه ارتاب من سلوك اليهود المُدهش هذا، لأنه كان قد دعاهم إلى تسوية فى اليوم السابق بواسطة يوسفوس، ولم يستطع أن يتلقى أى ردٍ مدنى منهم. لذلك أمر الجنود بأن يمكثوا حيث هم. ولكن بعضا منهم – الذين كانوا فى مقدمة الأعمال عارضوه وامتشقوا أسلحتهم وركضوا إلى البوابات، بينما أولئك الذين تظاهروا بأنهم منبوذين اعتزلوا أولا. ولكن بمجرد أن صار الجنود بين أبراج البوابات من كل جانب، حتى ركض اليهود وحاصروهم وانقضوا عليهم من الخلف، بينما أخذ ذلك الجمهور الذى يقف على السور يُلقى عليهم كوما من الحجارة والنبال من كل نوع، فقتلوا عددا ملحوظا منهم وجرحوا عددا أكثر لأنه لم يكن يسيرا للرومان أن يهربوا بسبب أولئك الذين كبسوا عليهم من خلف، إلى جانب العار الذى صاروا فيه بسبب خطأهم، وشغلهم الخوف الذى كانوا فيه من قوادهم عن أن يُثابروا فى أخطائهم. لذلك حاربوا بحرابهم وقتا طويلا، وتلقوا ضربات عديدة من اليهود على الرغم من أنهم أعطوهم حقا ضربات أخرى. وأخيرا صدوا أولئك الذين حاصروهم، بينما كان اليهود يُطاردونهم فى تقهقرهم ويتعقبونهم ويُلقون عليهم سهامهم طوال المسافة إلى خرائب الملكة هيلانة.

(٤/٣/٥) وازداد أولئك اليهود بعدئذٍ غطرسة بحظهم الطيب، وتهللوا بدون أدنى لياقة لإنخداع الرومان بحيلتهم التى صنعوها، وأحدثوا جلبة بقرع دروعهم،

وكانوا يثبون فى فرح ويتهللون. بينما أُستُقبِل أولئك الجنود بالتهديد من ضباطهم، وبنقمة من القيصر نفسه [الذى خاطبهم هكذا]:

أولئك اليهود الذين يسلكون فقط بطياشتهم، يفعلون كلَّ شيءٍ بعناية وحذر. إنهم يدبرون الخِدع والكمائن، ويعطي الحظ نجاحا لحيلهم لأنهم مطيعون ويحفظون مسرتهم وإخلاصهم لبعضهم بعضا. بينما الرومان الذين تعودوا أن يحالفهم الحظ دوما بسبب حسن تنظيمهم وخضوعهم لقادتهم، قد أخفقوا الآن بسبب سلوكهم المضاد، ولعدم قدرتهم على غل أياديهم عن العمل الذى تورطوا فيه. وهذا هو أكثر ما يُوبَخوا عليه أنهم ذهبوا بدون أمرٍ من قادتهم، وفى حضور القيصر نفسه. وفى الحقيقة – يقول تيطس - إن شرائع الحرب تئن بشدة، وكذا أبى نفسه متى علِم بهذا الجُرح الذى أصابنا، حيث لم يفعل أبدا مثل هذا الخطأ السقيم، وهو الذى تدرج فى الحروب. إن شرائعنا فى الحرب توقع دوما عقوبة قاسية على أولئك الذين على الأقل يكسرون النظام، بينما فى هذا الوقت قد رأوا جيشا بالكامل تصيبه الفوضى. ومع ذلك أولئك الذين تغطرسوا سوف يُعادون حالا إلى رشدهم، فإنه حتى الذين ينتصرون من الرومان بدون تعليمات بالقتال يكونون تحت العقاب".

وعندما أفاض تيطس فى هذا الموضوع أمام القواد، بدا جليا أنه سيُطبق القانون ضد جميع المعنيين، لذلك غرقت أذهان الجنود فى اليأس إذ توقعوا الإعدام، وأن ذلك سيكون سريعا. ومع ذلك، التفت الفيالق الأخرى حول تيطس، والتمسوا منه أن يتعطف على زملائهم الجنود، وتضرعوا إليه أن يعفو عن طياشة قِلة منهم بسبب طاعة الباقين، ووعدوه بأنهم سيُصلحون خطأهم الحالى بحسن سلوكهم فى المستقبل.

(٥/٣/٥) لذلك نزل القيصر إلى رغباتهم، وبفطنة منه أيضا، لأنه حسب أنه من الملائم أن يُعاقَب بعض الأفراد منهم بحُكم حقيقى، ولكن معاقبة جمهرة عظيمة سوف لا ينتج عنها سوى الخزى. ولهذا صالح الجنود، ولكنه أمرهم بالسلوك بحكمة فى المستقبل. وتفكر هو فى نفسه فيما ينبغى أن يكون مع اليهود إزاء خدعتهم هذه.

ولما تمت تسوية المكان بين الرومان والسور- وهو ما تم فى أربعة أيام- وكان راغبا فى أن يُحضر أمتعة الجيش مع باقى الجمهور الذى يتبعه بأمان إلى المعسكر، أرسل الجزء الأقوى من الجيش ليواجه السور الذى يقع فى الربع الشمالى للمدينة والربع الغربى منها. وجعل جيشه سبعة أعماق، بمشاة من الأمام وفرسانٍ من الخلف، وكلُ منهم فى ثلاثة صفوف، بينما وقف رماة السهام فى الوسط فى سبعة صفوف. وهكذا إذ مُنِع اليهود، بهذا الحشد الهائل من الرجال، من القيام بشن هجماتٍ على الرومان، فإن الدواب التى تحمل المهمات التى تخص الفيالق الثلاثة، وبقية القوات زحفت بلا أى خوف.

أما تيطس نفسه فكان على مسافة غلوتين من السور عند ذلك الجزء الذى كان زاوية، وفى مواجهته كان البرج المدعو بسفينوس والذى يقع عند ميل السور إلى الشمال ويمتد إلى الغرب.

أما الجزء الآخر من الجيش فقد حصَّن نفسه عند البرج المدعو "هيبيكس" Hippicus، وكان يبعد أيضا على هذا النحو عن المدينة بغلوتين. وظل الفيلق العاشر فى مكانه على جبل الزيتون.

الكتاب الخامس: الفصل الرابع

[وصف أورشليم]

(١/٤/٥) كانت مدينة أورشليم محصنة بثلاثة أسوار فى تلك المناطق التى لم تكن تطوقها وديان غير مسلوكة، لأنه فى مثل هذه المناطق لم يكن هناك سوى سورٌ واحد. وكانت المدينة مبنية على تلين يواجه أحدهما الآخر، ويفصل بينهما وادى. وعند هذا الوادى كانت تنتهى صفوف البيوت المتصلة على كل من التلين. وعلى أحد هذين التليَن، كانت تقع المدينة العليا، وهى أعلى كثيرا وأكثر استقامة. ولهذا دعاها الملك داوود ابو سليمان - الذى بنى أولا هذا الهيكل- "القلعة" ولكنها تُدعَى منا "السوق العُلوى". ولكن التل الآخر الذى كان يُدعَى "أكرا" Acra ويُشكِّل المدينة السفلية فهو على شكل القمر عندما يكون هلالا. ومقابل هذا التل كان هناك تل ثالث ولكنه أكثر انخفاضا من أكرا، وينفصل عن التل الآخر بوادى عريض. ومع ذلك فى تلك الأوقات التى كان الحشمونيون يحكمون فيها، ردموا هذا الوادى بالتراب، وكانوا ينوون أن يصلوا المدينة بالهيكل، فاقتلعوا جزءً من ارتفاع أكرا وخفضوه إلى علوٍ أقل مما كان عليه لكى يصير الهيكل على نحو أفضل منه. أما وادى "بائعو الجُبن" كما كان يُدعَى، والذى كان يميز- كما قلنا عنه من قبل- تل المدينة العليا عن تل السفلية، فكان يمتد إلى سلوام. فهذا هو اسم الينبوع الذى كانت مياهه عذبة وبكمية وفيرة أيضا. ولكن من الخارج كانت هذه التلال محاطة بأودية عميقة، وبسبب الجروف التى كانت بها، كانت المدينة بعيدة المنال من جميع الجوانب.

(٢/٤/٥) والآن، بالنسبة لهذه الأسوار الثلاثة كان السور القديم صعب أن يُؤخَذ بسبب الوديان من ناحية وبسبب التل الذى كان مبنيا عليه من ناحية أخرى. ولكن إلى جانب تلك الميزة العظيمة وهى المكان الذى كان يقع عليه، كان أيضا بناؤه قويا. لأن داوود وسليمان والملوك التاليين كانوا غيورين جدا على هذا العمل. وهذا السور يبدأ من الشمال عند برج يُدعَى "هيبيكس" ويمتد بعيدا إلى مكان يُدعَى اكسيستوس Xistus، وعندئذ يتصل بدار الولاية، وينتهى فى الرواق الغربى للهيكل. ولكن إذا سِرنا فى الاتجاه الآخر غربا، فإنه يبدأ من نفس المكان، ويمتد خلال موضع يُدعَى بتسو Bethso إلى بوابة اسنس *Essens*، وبعد ذلك يتجه جنوبا منحرفا عند عين سلوام، ومن هناك يميل مرة أخرى نحو الشرق عند بِركة سليمان ويمتد بعيدا إلى موضع يُدعَى أوفلاس *ophlas* حيث يتصل بالرواق الشرقى للهيكل.

أما السور الثانى فيبدأ من البوابة التى يدْعونها "جينات" Gennath التى تخص السور الأول. وهو يُطوق فقط الجزء الشمالى من المدينة، ويمتد إلى برج انطونيا.

وكان السور الثالث يبدأ من برج هيبيكس ثم يصل إلى الربع الشمالى للمدينة وبرج بسفينس، ثم يمتد بعيدا إلى مقابل خرائب هيلانة. وهيلانة هذه كانت ملكة اديابين Adiabene وبنت إزاتس Izates. ثم يمتد إلى أبعد امتداد كبيرا ويجتاز مغائر مدافن الملوك، ثم يميل مرة أخرى عند برج الزاوية عند الخرائب التى تُعرَف "بخرائب فولر Fuller" ويتصل بالسور القديم عند الوادى الذى كان يُدعَى وادى قدرون.

لقد كان اغريباس هو الذى طوَّق الأجزاء المضافة إلى المدينة القديمة بهذا السور، فقد كانت غير محصنة من قبل. فإذ كانت المدينة تتزايد فى العمران، زحفت تدريجيا إلى ما وراء الحدود القديمة. وقد أُضيفَت إليها تلك الأجزاء التى كانت فى شمال الهيكل وإلى جانب التل، مما جعلها أكبر إلى حدٍ بعيد، وجعل هذا التل الذى

هو الرابع والذى يُدعَى بزيتا Bezetha يصير معمورا أيضا. وهو يُقابل برج انطونيا ولكنه ينفصل عنه بوادى عميق كان قد حُفِر عن قصد لكى يَحُول دون اتصال اساسات برج انطونيا بهذا التل، وبالتالى يَحُول دون توافر الفرصة للاستيلاء عليه بسهولة. ولهذا السبب يُوفر ارتفاعه الشاهق الأمن. وأيضا جعل عمق هذا الأخدود ارتفاع الأبراج ملفتا أكثر للنظر. وهذا الجزء المبنى حديثا من المدينة كان يُدعَى بزيتا فى لغتنا وتعنى باللسان اليونانى متى تُرجِم إليه "المدينة الجديدة". ولكن لمَا كان سكانها ما زالوا فى حاجة إلى غطاء، فإن والد الملك الحالى وكان بنفس الاسم مثله اغريباس، بدأ هذا السور الذى نتكلم عنه، ولكنه تخلى عنه بعدما وضع الأساسات فقط بسبب تخوفه من كلوديوس قيصر لئلا يشك فى أن سورا قويا مثل هذا قد بُنِى لكى يؤدى إلى بعض الابتداعات فى الشؤون العامة. لأن المدينة ما كان من الممكن أخذها لو أن هذا السور كان قد انتهى على النحو الذى بُدِأ به. فقد كان يُشيَّد من حجارة طولها عشرون ذراعا وعرضها عشرة أذرع، ولم يكن من الممكن تقويضها بسهولة بأى نوعٍ من الأدوات الحديدية، أو نقبها بأية آلة من الألات. وكان السور، أكثر من ذلك، عرضه عشرة أذرع[٢٧]. وكان من المحتمل أن يكون أكثر ارتفاعا من ذلك، ما لم يكن فقط قد فتُرت غيرة ذاك الذى بدأ فى بنائه. وبعد ذلك تم تسييجه باجتهاد عظيم من اليهود الى ارتفاع عشرين ذراعا، وكان فوقه شُرفات قِتالٍ من ذراعين، ومتاريس ثلاثة أذرع علوا. لدرجة أن الارتفاع الكلى كان يصل إلى ما يقرب من خمسة وعشرين ذراعا.

٢٧- الذراع وحدة قياس قديمة للطول تساوى حوالى ١٨ بوصة.

(٣/٤/٥) وكان عرض الأبراج التى فوقه عشرين ذراعا، وارتفاعها عشرون ذراعا. وكانت مربعة وصلدة مثل السور نفسه. وكان جمال الحجارة ونعومة الوصلات فيها ليست أقل، بأى حال من الاحوال، عن تلك التى كانت فى البيت المُقَّدَس نفسه. وفوق هذا العلو للأبراج الصلدة والذى كان عشرين ذراعا، كانت هناك غرف رائعة جدا، وفوقها غرف أعلى، وأحواض لتجميع مياه الأمطار. وكان هناك، أكثر من ذلك، سلالم خاصة للرياح، ودرجات عريضة للصعود.

وكان السور الثالث به تسعون من هذه الأبراج وكانت المسافات بين كلٍ منها مائتى ذراع. ولكن السور الأوسط كان به أربعون برجا. وكان بالسور القديم ستون. بينما كان محيط المدينة كلها ثلاثة وثلاثين غلوة.

والآن، كان السور الثالث كله رائعا، ومع ذلك كان أكثر روعة منه برج بسيفنس المرتفع فوقه عند الركن الشمالى الغربى حيث نصب تيطس خيمته الخاصة. فقد كان ارتفاعه سبعون ذراعا، وكان يُتيح مشاهدة [الصحراء] العربية عند شروق الشمس، ونفس الشىء فى أقصى حدود ممتلكات العبرانيين عند البحر غربا. وأكثر من ذلك كان مثمن الأضلاع. وفى مقابله برج هيبيكس، وبالكاد برجين آخرين شُيِّدا بواسطة الملك هيرودس على السور القديم. هذه الأبراج كانت من الكِبر والجمال والقوة بما يفوق كل ما كان موجودا فى المسكونة. فإلى جانب روعة طبيعتها، وروعة المدينة فى مناسبات أخرى، كانت قد بُنِيَّت على نحو غير عادى لإشباع الشعور الخاص، ولتكريس هذه الأبراج لذكرى أولئك الأشخاص الذين كانوا أعز مَن له، وعلى أسمائهم تسمت: وهم أخوه وصديقه وزوجته. فزوجته كان قد قتلها بسبب حبه[والغيرة] كما روينا من قبل، والآخران كانا قد فقدهما فى الحرب عندما كانا يحاربان بشجاعة. وهكذا دُعِيَّ برج هيبيكس على اسم صديقه، وكان مربعا وكلٌ من طوله وعرضه خمسة وعشرون ذراعا، وارتفاعه ثلاثون، ولم يكن فيه فراغ. وفوق هذا البناء الصلد الذى كان يتكون من حجارة عظيمة مترابطة معا، كان هناك صهريج

عمقه عشرون ذراعا، وفوقه بيتٌ من طابقين، ارتفاعه خمسة وعشرون ذراعا، وينقسم إلى أدوار عديدة. وفوقه أيضا شُرفات معارك من ذراعين ومتاريس من ثلاثة أذرع ارتفاعا، لدرجة أن الارتفاع الكلى للأشياء المضافة كان يبلغ ثمانين ذراعا.

أما البرج الثانى الذى دعاه على اسم أخيه فاسيلوس Phasaelus[٢٨] فقد كان طوله مساويا لعرضه وكان اربعين ذراعا، وارتفاعه اربعون. وفوقه رواق ارتفاعه عشرة أذرع، وكان مُغطى بمتاريس حامية للصدور ضد الأعداء. وقد بُنِىَ أيضا فى وسط هذا الرواق برجٌ آخر ينقسم إلى غرف رائعة ومكان للإستحمام لدرجة أن هذا البرج لم يكن يُعوزه شىء لكى يُصبح قصرا ملكيا. وكان مزينا بشرفات قتال اكثر مما سبق، وكان ارتفاعه الكلى تسعين ذراعا. وكان منظره يُشبه برج فاروس Pharus بالأسكندرية الذى يعرض نارً للسفن المبحرة ، ولكنه كان أكبر منه فى محيطه. وهذا كان قد تحول إلى بيتٍ كان يمارس فيه الطاغية سيمون سلطته المرعبة.

أما البرج الثالث فهو برج ماريامن Mariamne[٢٩] على اسم زوجته، وكان متينا وارتفاعه عشرون ذراعا، وعرضه مثل طوله عشرون ذراعا. وبناؤه العلوى كان أكثر روعة، ويحتوى على تنوع أكثر من البرجين الآخرين. لأن الملك رأى أنه من المناسب له أن يُزين ما هو لزوجته أكثر مما هو للرجال- فهما قد بُنِيا أقوى من هذا البرج الذى يحمل اسم زوجته. وكان الارتفاع الكلى لهذا البرج خمسون ذراعا.

(٤/٤/٥) ولما كانت هذه الأبراج عالية جدا، فقد ظهرت أكثر علوا بواسطة المكان الذى شُيِّدت عليه، لأن السور القديم جدا الذى شُيِّدت فيه كان قد بُنِى على تلٍ مرتفع، وكان هو نفسه على نحو حوالى ثلاثون ذرعا ارتفاعا، وكانت هذه الأبراج تقع فوقه. ولهذا السبب كانت تبدو أكثر ارتفاعا. وكان كِبر الحجارة أيضا رائعا، فهى لم

٢٨- كتبه البعض بالعربية فازيلس.
٢٩- كتبه أحدهم ماريمنا.

تكن من الحجارة الصغيرة العامة، ولا من تلك الحجارة الكبيرة التى يستطيع الرجال أن يحملوها، بل كانت من الرخام الأبيض ومقطوعة من الصخر. وكان كل حجر طوله عشرون ذراعا وعرضه عشرة أذرع، وعمقه خمسة أذرع. وكانت الحجارة متصلة بعضها ببعض[٣٠] بالضبط، لدرجة أن كل برج كان يبدو بالكامل مثل صخرة واحدة من الحجر نُحِتت هكذا طبيعيا، ثم قُطِعت بعد ذلك بأيدى الصُناع إلى شكلها وتكوينها الحالى. فقد كانت وصلاتها تظهر قليلا أو لا تظهر اطلاقا.

ولما كانت هذه الأبراج ذاتها على الجانب الشمالى للسور، كان للملك قصر فى الداخل متصلٌ بها. وهذا يفوق كل قدرتى على الوصف. لأنه كان ملفتا للنظر بشدة. فلم تعوزه تكلفة أو مهارة فى بنائه. وكان مسَوَّرا بالكامل إلى ارتفاع ثلاثين ذراعا، ومزينا بالأبراج على مسافات متساوية، وبشقق كبيرة وغرف ضيافة تسع أسِّرَة لمئة ضيف بالغرفة. وفيه تنوع حجارة لا يُعَبر عنه لأن كمية كبيرة من تلك التى كانت نادرة فى كل مكان جُمِعَت معا. وأسقفه كانت رائعة لطول عروقها، وفخامة زينتها معا. وكان عدد الغرف أيضا كبيرا، وتعدد أشكالها مذهلا. وكان أثاثها كاملا. والجزء الأعظم من أوانيها التى كانت موضوعة فيها كان من الذهب أو الفضة. وإلى جانب ذلك، كانت هناك أروقة ذات أعمدة مستديرة واحد تلو الآخر. وفى كلٍ من هذه الأروقة أعمدة مثيرة. ومع ذلك كانت كل الساحات المُعرَّضة للهواء من كل جانب خضراء. وكانت هناك أكثر من ذلك بساتين اشجار عديدة وممرات طويلة بينها بها قنوات وأحواض عميقة، وفى أجزاء عديدة تماثيل نحاسية تجرى من خلالها المياه. وكانت هناك أبراج حمام عديدة على طول القنوات. ولكنه لا يمكن حقا اعطاء وصف كامل لهذه القصور، فذكرها نفسه مصدر عذابٍ للمرء لأنها تضع فى ذهن الانسان [صورة لمدى] السعة

٣٠- أنظر: مز ١٢١ ط/ سبعينية. (مز ١٢٢ ط/ بيروتية).

التى كانت لهذه المبانى الغنية التى أضرم فيها اللصوص النار التى التهمتها. لأنها لم تُحرَق بواسطة الرومان، ولكن بواسطة المتآمرين المحليين، كما روينا حالا، فى بداية عصيانهم. وهذه النار بدأت ببرج انطونيا وامتدت إلى القصور، والتهمت الأجزاء العليا من البروج الثلاثة ذاتها.

الكتاب الخامس: الفصل الخامس

[وصف الهيكل]

(١/٥/٥) والآن، كان الهيكل، كما قلتُ توا، مبنيا على تلٍ متين. فأولا كانت الأرض عند قمته منبسطة وتكفى بالكاد للبيت المُقَّدَس والمذبح، لأن الأرض هناك كانت غير مستوية جدا ومثل جرف. ولكن عندما بنى الملك سليمان- وهو الشخص الذى بنى الهيكل- سورًا لها فى جانبها الشرقى، أُضيف عندئذ رواق واحد مؤسس على ركام مرفوع له. أما الأجزاء الأخرى للبيت المُقَّدَس فقد بقيت عارية. ولكن فى العصور التالية أضاف الشعب ركاما آخر فصار التل مستويا أكثر، وهدموا عندئذ السور من الجانب الشمالى وضموا قدرًا ما يكفى لتطويق الهيكل بكامله فيما بعد. وعندما بنوا الأسوار فى الجوانب الثلاثة من حوله ومن أسفل التل، انجزوا عملا أعظم مما يمكن أن يترجوه (وفى هذا العمل انقضت عصور طويلة، خلالها وبواسطة استنفاد الخزائن المُقَّدَسة التى كانت ما زالت تُدَّعم بالضرائب المرسَلة إلى الله من كافة ارجاء المسكونة). وقد طوقوا عندئذ الساحات العليا مع الأروقة، كما فعلوا أيضا بالمثل (فيما بعد بالدار السفلية) للهيكل. وكان الجزء الأدنى مشيدا على ارتفاع ثلاثمائة ذراع، وفى بعض الأماكن كان أكثر. ومع ذلك فإن العمق الكلى للأساسات لم يظهر، لأنهم أحضروا ترابا وردموا الوديان إذ كانوا راغبين فى تسويتها مع شوارع المدينة، لذلك استخدموا حجارة هائلة حجمها حوالى اربعون ذراعا. لأن وفرة النقود التى كانت لديهم آنذاك وحرية الشعب، جعلت محاولتهم هذه تنجح إلى درجة لا تُصدق. وما لم يكن ممكنا بالأكثر أن يُرجى اتمامه أبدًا، صار بالمثابرة وطول الزمن عملا كاملا.

(٢/٥/٥) والآن، بالنسبة للأعمال التى كانت فوق هذه الأساسات، فهذه لم تكن زهيدة لمثل هذه الأساسات. فجميع الأروقة كانت مزدوجة، والأعمدة الخاصة بها كان ارتفاعها خمسة وعشرين ذراعا، وتدعم الأروقة. وكان كلٌ من هذه الأعمدة من حجر واحد بالكامل، وذلك الحجر كان رخامًا أبيض. وكانت الأسقف مزينة بألواح الأرز المنقوشة على نحو مُلفِت للنظر. وقد أعطت الروعة الطبيعية، والصقل الممتاز، وتناسق المفاصل فى هذه الأروقة مشهَدًا رائعا جدا. ولم يكن الخارج مزينا بأية أعمال لنقاشٍ أو نحات. وكان عرض الأروقة (للدار الأكثر بُعدًا) ثلاثين ذراعا، بينما كان محيطها الكلى ستة غلوات، مشتملا فى القياس برج انطونيا. وكانت كل الساحات المُعرَّضة للهواء من حجارة من كل الأنواع.

وعندما تجتاز هذه الأروقة (الأولى) للهيكل إلى (الثانية)، كان هناك حاجز من الحجر العام ارتفاعه ثلاثة أذرع، وكان بناؤه أنيق جدا. أُقيمت عليه أعمدة على مسافات متساوية بين بعضها البعض، معلنة شريعة التطهير. بعضها باليونانية وبعضها باللغة الرومانية وهى "لا يدخل أجنبى إلى داخل ذلك القدس". لأن هذه (الدار) الثانية للهيكل كانت تُدعَى القدس، وكان يُصعَد إليها من الدار الأولى بأربعة عشر درجة. وكانت هذه الدار مربعة، ولها سور مميز بنفسه. وعلى الرغم من أن ارتفاع مبانيه كان من الخارج اربعين ذراعا، إلا أنه كان مختفيا بالدرجات. وكان هذا الارتفاع من الداخل ليس إلا خمسة وعشرين ذراعا، لأنه إذ كان مبنيا فوق الجزء الأعلى للتل بدرجات، لم يكن من السهل ملاحظة كل ما فى الداخل لأنه مغطى بالتل نفسه. ووراء هذه الثلاثة عشر درجة كانت هناك مسافة إلى داخل القاعة طولها عشرة أذرع. وكانت مستوية بالكامل. وكانت هناك أيضا مجموعة درجات أخرى تؤدى إلى البوابات، كل قطعة منها خمسة أذرع. وكان عدد البوابات على الجانبيَن الشمالى والجنوبى ثمانية، أربعة فى فى كلٍ من هذيَن الجانبيَن. وإثنان فى الشرق للضرورة. لأنه

لمَّا كان هناك قِسم مبنى للنساء فى هذا الجانب كمكان ملائم يعبدون فيه، كانت هناك ضرورة لبوابة ثانية لهن. وهذه البوابة كانت قد نُقرِت فى سوره مقابل البوابة الأولى. وكان هناك على الجوانب الأخرى بوابة جنوبية وبوابة شمالية من خلالهما كان هناك ممرٌ إلى دار النساء. لأنه بالنسبة للبوابات الأخرى لم يكن مسموحا للنساء أن يجتازوا منها. ولا عندما يدخلن من بوابتهن أن يتجاوزن سورهن. وهذا المكان كان مخصصا بالتساوى للنساء من بلدنا والبلاد الأخرى شريطة أن يَكُن من نفس الأمة[٣١]. ولم يكن فى الجانب الغربى من هذه الدار بوابة على الاطلاق، ولكن السور كان مبنيا بالكامل فى هذا الجانب. وكانت الأروقة المبنية بين البوابات، تمتد من السور إلى الداخل أمام الغرف، لأنها كانت مُدعَمة بأعمدة كبيرة وجميلة. وكانت هذه الأروقة مفردة، وباستثناء فخامتها لم تكن بحال من الأحوال دون أروقة الدار السفلية.

(٣/٥/٥) وكانت تسعة من هذه البوابات على كل جانب مغطاة بالذهب والفضة، وكذلك قوائم وعتبات أبوابها العُليا. ولكن كانت هناك بوابة واحدة - تلك التى كانت خارج [الدار الداخلية] للبيت المُقَّدَس- من نحاس كورنثى، وفاقت بشدة فى القيمة تلك البوابات التى كانت مغطاة بالذهب والفضة. وكل بوابة كان لها بابان ارتفاعهما ثلاثون ذراعا وعرضهما خمسة عشر ذراعا. ومع ذلك، كان هناك متسع كبير فى الداخل نحو ثلاثين ذراعا. وكانت هناك غرف على كل جانب، وكانت هذه فى طولها وعرضها مُشيَّدة مثل أبراج، وكان ارتفاعها أكثر من أربعين ذراعا. وكان يدعم هذه الغرف أيضا عمودان محيطهما اثناعشر ذراعا. أما بالنسبة لضخامة البوابات الأخرى فكانت تساوى بعضها البعض، ولكن البوابة الكورنثية التى تفتح فى الشرق مقابل

---

٣١ - أى يهوديات العقيدة.

بوابة البيت المُقَّدَس نفسه فكانت أكثر كِبرًا لأن ارتفاعها كان خمسين ذراعا و[ارتفاع] أبوابها أربعون ذراعا، وكانت مزينة بأكثر سِعة فكانت أكثر سُمكا، وبها طبقات من الفضة والذهب أكثر من الأبواب الأخرى.

وهذه البوابات التسع كان بها ذهب وفضة مسبوكان بواسطة الكسندر والد تيباريوس. وكانت هناك خمسة عشر درجة تخرج من سور النساء إلى هذه البوابة الأعظم، بينما تلك التى كانت تؤدى إليها من البوابات الأخرى كانت تقل عنها خمسة درجات.

(٤/٥/٥) وبالنسبة للبيت المُقَّدَس ذاته الذى يقع فى وسط (الفِناء الأوغل) الذى هو أكثر أماكن الهيكل قدسية، فكان يُصعَد إليه بإثنتى عشر درجة. وفى المقدمة يتساوى عرضه مع ارتفاعه وكل منهما مائة ذراع. على الرغم من أنه كان من الخلف أقل أربعين ذراعٍا. لأنه فى مقدمته كانت له كما يمكن أن يُنعَت أكتاف فى كلٍ من الجانبين، وهى تجاوز عشرون ذراعا أكثر. وكانت بوابته الأولى سبعين ذراعا علوا، وخمسة وعشرين ذراعا عرضا. ولكن هذه البوابة ليس لها أبواب لأنها تمثل المنظور الكونى للسماء ومن ثم لا يمكن أن يُستَبعَد من أى مكان. وكانت مقدمتها مغشاة بالذهب بأكملها. ومن خلالها كان الجزء الأول من البيت ذلك الأكثر إيغالا يظهر كله لمن فى الخارج. ونظرا لإتساعها كانت تسمح بظهور جميع أجزاء البوابة الداخلية لمن يراها، متألقة بالذهب. ولكن لما كان كلُ البيت منقسم عندئذ إلى جزئين فى الداخل، كان الجزء الأول فقط هو المتاح للرؤية. وكان ارتفاعه يصل إلى تسعين ذراعا علوا، وكان طوله خمسين ذراعا وعرضه عشرين ذراعا. ولكن تلك البوابة التى كانت عند طرف هذا الجزء الأول للبيت فكانت، كما لاحظنا توا، مغطاة كلها بالذهب وكذا كل الحائط الخاص بها. وكانت هناك أيضا كرمة ذهبية فوقها تتدلى منها عناقيد عنب بإرتفاع علو الانسان. ولكن لما كان البيت المُقَّدَس ذاته ينقسم إلى جزئين، فقد كان

الجزء الداخلى أكثر انخفاضا من مظهر الخارجى، وله أبواب ذهبية ارتفاعها خمسة وخمسون ذراعا وعرضها ستة عشر ذراعا، ولكن امام هذه الأبواب كان هناك حجاب مساوى فى ضخامته للأبواب. وبه ستارة من بابلية منسوجة بروعة حقا، ومطرزة بكتان أزرق جميل وأرجوان وقرمز. ولم يكن هذا المزيج من الألوان بلا تفسير سرائرى. فلقد كان نوعا لصورة [أى لأيقونة] الوجود. لأن الأرجوان كان على ما يبدو يرمز إلى النار. وخيوط الكتان الجميلة [ترمز] إلى الأرض. واللون الأزرق إلى الهواء، والقرمز إلى البحر. وكان إثنان منهما يستمدان رمزيتهما من لونهما. ولكن الكتان الجميل والقرمز لهما أصلهما الخاص لهذا الأساس. فالأرض تنتج الواحد، والبحر يُنتج الآخر. وهذه الستارة كان مطرزًا عليها أيضا كل ما هو مستيكى فى السماوات فيما عدا (الإثنى عشر) علامة الممثِلة للمخلوقات الحية.[٣٢]

(٥/٥/٥) وعندما يدخل أى زائر الهيكل، تستقبله أرضيته. وهذا الجزء من الهيكل، كان ارتفاعه ستين ذراعا، وطوله نفس الشىء، أما عرضه فكان عشرين ذراعا. ولكن هذه الستون ذراعا فى الطول كانت تنقسم أيضا إلى جزء أول طوله أربعون ذراعا، وبه ثلاثة أشياء رائعة جدا ومشهورة بين جميع البشر وهى: المنارة، والمائدة (لخبز الوجوه)، ومذبح البخور. السبعة سُرج تعنى الكواكب السبعة، لأنها كانت تنبع من الشمعدان. أما الإثنى عشر رغيفا التى كانت على المائدة فتعنى الدائرة الفلكية والسنة. ولكن مذبح البخور بأنواع بخوره الثلاثة عشر نوعا العطرة التى كان البحر

٣٢ - لاحظ هنا التفسير الرمزى وكيف كان معروفا فى القرن الأول الميلادى، ليس فقط لدى مار بولس الرسول ومار يوحنا الحبيب فقط، بل وفى الأدب اليهودى لدى فيلو اليهودى الأسكندرى، ولدى يوسيفوس المؤرخ اليهودى. وهما من رجال القرن الأول الميلادى(فالدارسون يرجحون وفاة يوسيفوس بحوالى ١٠٠م. وهى ذات الفترة التى كتب فيها مار يوحنا الحبيب رؤياه) وكلاهما قبل أُوريجنوس وكليمندس الأسكندرى.

يمدنا بها فتعنى أن الله هو مالك جميع الأشياء التى فى كلا جُزأى الأرض المسكونة وغير المسكونة، وأن جميع الأشياء مكرَّسة لخدمته.

وأما الجزء الأوغل من الهيكل فكان عشرين ذراعا، وكان هذا أيضا منفصلا عن الجزء الخارجى بحجاب. فى هذا الجزء لم يكن هناك شئٌ اطلاقا[٣٣]، إذ كان لا يمكن الوصول إليه أو انتهاكه أو رؤيته من أى أحدٍ، وكان يُدعَى قدس الأقداس.

أما عن جوانب الجزء السفلى من الهيكل، فكانت هناك منازل قليلة بممرات بين بعضها البعض. وكان هناك عدد كبير منها وكانت بارتفاع ثلاثة طوابق. وكانت هناك أيضا مداخل على كلٍ من الجوانب إليها من بوابة الهيكل. ولكن الجزء الأفضل للهيكل لم تكن به مثل هذه المنازل القليلة، لأن الهيكل هناك كان أضيق وارتفاعه أربعون ذراعا، وجسمه أصغر من الأجزاء السفلية. ولهذا، إذا جمعنا الارتفاع كله بما فيه الستين ذراعا من الأرضية فإنه يُقدَّر بمائة ذراع.

(٦/٥/٥) وأما واجهة الهيكل الخارجية فلم يكن يعوزها شىء فى مقدمتها، فقد كانت مدهشة لأذهان الناس ولعيونهم معا لأنها كانت مغشاة كلها برقائق من الذهب العظيم الوزن، والتى تعكس عند أول شروق الشمس فخامة نارية جدا، وتجعل أولئك الذين يُجبرون أنفسهم على النظر إليها أن يردوا أبصارهم بعيدا، تماما كما لو كانوا ينظرون إلى أشعة الشمس ذاتها. ولكن هذا الهيكل كان يظهر للغرباء عندما يأتون إليه من بعيد مثل جبل مغطى يالثلج لأن هذه الأجزاء التى لم تكن مطلية بالذهب كانت فائقة البياض، وعلى قمته كانت توجد نتوءات معدنية ذهبية بأطراف حادة لمنع أى تدنيس له بواسطة الطيور التى تعشش عليه. وكان من حجارته ما هو خمسة وأربعين ذراعا طولا وستة أذرع عرضا وخمسة أذرع ارتفاعا.

---

٣٣ - هكذا كتب يوسيفوس فلعل تابوت العهد كان مفقودا فى زمنه !!

وأمام هذا الهيكل كان يوجد المذبح. وكان مبناه مربع الشكل وطول ضلعه خمسون ذراعا وارتفاعه خمسة عشر ذراعا. وأركانه مثل قرون. وكان الوصول إليه عن طريق انحدار طفيف. وكان مُشكلا بدون أية أداة حديدية، بل لم تمسه أية أداة حديدية فى أى وقتٍ ما. وكان هناك أيضا جدار فاصل ارتفاعه نحو ذراع، مصنوع من الحجر الجميل لكى يكون مستحبا للبصر. وكان هذا يطوق البيت المُقَّدَس والمذبح، ويفصل الناس الذين يكونون بالخارج عن الكهنة. وأكثر من ذلك كان المصابون بالجذام أو السيلان ممنوعين من دخول المدينة كلها. وأيضا النساء، عندما يكونوا فى حالة طمث أو العادة الشهرية، يُمنعَن من دخول الهيكل. ولا حتى عندما يكونوا اطهارا من الطمث كان مسموحا لهن بتجاوز الحد المشار إليه سابقا. بل الرجال أيضا الذين يكونوا غير اطهار بالكامل، كانوا ممنوعين من الدخول إلى الدار الداخلية للهيكل. والكهنة أنفسهم، الذين لا يكونون أطهارا، كانوا أيضا ممنوعين من الدخول.

(٧/٥/٥) وكان كل الذين من نسل الكهنة ولا يستطيعون أن يخدموا بسبب عجز جسمانى فيهم، يأتون إلى داخل الحاجز مع أولئك الذين ليس بهم عجز جسمانى، ويكون لهم نصيبٌ معهم بسبب أصلهم، ولكن لا يستفيدوا بشىءٍ سوى الرداء الخاص بهم. لأنه ليس لأحدٍ إلا الكاهن الخادم تكون له ملابس مُقَّدَسة. وكان الكهنة الذين بلا أى لومٍ عليهم، هم الذين يصعدزن إلى المذبح وهم بملابس كتانية جميلة. وأولئك كانوا يُحجمون بصفة رئيسية عن الخمر خوفا من أن يتعدوا على بعض قواعد الخدمة الدينية[٣٤]. وكان الكاهن الأعظم يصعد معهم، حقيقة ليس دائما ولكن فى اليوم السابع وفى أوائل الشهور ومتى حلَّ أى احتفال يخص أمتنا الذى نحتفل به على مدار السنة. وعندما يقوم بالخدمة الدينية، كان عليه أن يرتدى زوجا

٣٤ - حرفيا يُقدِّس officiate

من السراويل تصل إلى أسفل حقويه، ثم رداءً داخليا من الكتان مع رداء أزرق بدون شق يصل إلى الأقدام وله شراريب. وكانت هناك أيضا أجراس ذهبية معلقة على الأهداب ورمانات متمازجة بينها. والأجراس تُشير إلى الرعد والرمانات تُشير إلى البرق. وكانت المِنطقة التى كانت تربط الرداء بالصدر مشغولة بخمسة صفوف من الألوان المتعددة: الذهبية والقرمز والأرجوان والكتان الصافى والأزرق. ومعها الألوان التى كانت ستائر الهيكل مطرزة بها كما ذكرنا سابقا. وكان نفس التطريز على الإفود، ولكن كمية الذهب التى فيه كانت أكبر، وكان عبارة عن قطعة قماش تغطى الصدر والمعدة[٣٥]. وكان عليه زران من الذهب كمثل درعان صغيران كانا يُزرران بهما الأفود مع الرداء. وكانت ترتبط بهذين الزريَن قطعتان كبيرتان من الجزع العقيقى الرائعيَن جدا، محفورٌ عليهما أسماء الأسباط الإثنى عشر لهذه الأمة. وعلى الجزء الآخر معلق اثنى عشر حجرا من العقيق الأحمر البرتقالى والتوباز[٣٦] والزمرد والعقيق الأحمر واليشب والياقوت الأزرق والعقيق المصنوع والجشت[٣٧] والليغور[٣٨] والجزع[٣٩] والبريل والزبرجد الزيتونى. فى أربعة صفوف، كل صف ثلاثة أحجار. وعلى كل حجر من هذه الأحجار محفور اسم من أسماء الأسباط الإثنى عشر[٤٠]. وعلى الرأس تاج[٤١] من الكتان الصافى يُحيط برأسه، ومربوط بشريط أزرق. وفوقه تاج[٤٢] آخر من الذهب منقوشٌ عليه الإسم المُقَّدَس [اسم الله]، وهو يحتوى على أربعة حركات. ولم يكن الكاهن الأعظم يرتدى هذه الملابس فى أوقات أخرى. ولكن العادة الأكثر

---

٣٥ - stomacher

٣٦ - حجر كريم متعدد الأشكال والألوان.

٣٧ - حجر كريم

٣٨ - حجر كريم

٣٩ - عقيق يونانى.

٤٠ - لاحظ، أن كل حجر من الإثنى عشر نوع معين.

٤١ - الكلمة الانحليزية المستخدمة هنا mitre وليس crown . وهى تعنى حرفيا "تاج الاسقف" ذو الشكل المثلث وليس المستدير.

٤٢ - هنا استخدم المترجم إلى الانجليزية كلمة crown .

وضوحا التى كان فيها فقط يرتديها هى عندما كان يدخل إلى الجزء الأكثر تقديسا للهيكل. وهذا ما لم يكن يفعله إلّا مرة واحدة فى السنة. وفى ذلك اليوم نراعى جميعنا حسب عادتنا صوما لله.

هذا هو كل ما يتعلق بالهيكل والمدينة، أما ما يخص التقاليد والشرائع المرتبطة بها فإننا سنتحدث عنها بأكثر تدقيق فى وقتٍ آخر، لأنه باقٍ منها أشياء كثيرة عظيمة مرتبطة بها لم تُمَّس بعد.

(٨/٥/٥) والآن، بالنسبة لبرج انطونيا. كان يقع عند زاوية رواقين من ساحة الهيكل لذلك الذى فى الناحية الشمالية وذلك الذى فى الناحية الغربية. وكان مشيَّدا على صخرة ارتفاعها خمسون ذراعا، وحولها جرف عميق. وكان من عمل الملك هيرودس الذى أظهر به شهامته الطبيعية. وأولا كانت الصخرة ذاتها مغطاة من أساساتها بحجارة ملساء للزينة من ناحية. ولكن من ناحية أخرى، إن أراد شخص ما أن يصعد [عليها][٤٣] أو ينزل، لا يكون قادرا على تثبيت قدميه عليها. ويلى هذا، وقبل أن تأتى إلى صرح البرج ذاته، سور ارتفاعه ثلاثة أذرع. وكان فى داخل هذا السور مبنى البرج ذاته بارتفاع أربعين ذراعا. وكان للأجزاء الداخلية له اتساع وشكل قصرٍ. فقد كانت تنقسم إلى كل أنواع الغرف ووسائل الراحة الأخرى مثل الساحات والحمامات وساحات شاسعة للمعسكرات لدرجة أنه، بتوافر كل وسائل الراحة التى تحتاج إليها المدن، بدا البرج أنه يتكون من عدة مدن، ولكن بفخامته بدا كقصرٍ. ولما كان المبنى كله يشبه برجا فقد اشتمل أيضا على أربعة بروج مميزة عند أركانه الأربعة. وكانت ارتفاعاتها خمسين ذراعا، بينما كان ارتفاع البرج الواقع فى الركن الجنوبى الشرقى سبعين ذراعا. ومن هناك كان يمكن مشاهدة الهيكل كله ولكن من الزاوية التى يتصل

---

٤٣ - قوس المعرب

[فيها] رواقُ الهيكل. وكانت هناك ممرات لوصول الحراس من خلالها إليه (لأنه كان يمكث دائما فى هذا البُرج فيلق رومانى) ويذهبون عدة مرات فى الأعياد اليهودية بين الأروقة بسلاحهم لمراقبة الشعب لكى لا يُحاول أحدٌ ما أن يقوم بأى شىء. لأن الهيكل كان قلعةً تحرس المدينة، مثلما كان برج انطونيا يحرس الهيكل. وفى ذلك البرج كان يوجد حرس هذه الأشياء الثلاثة. وكان هناك أيضا حصن مميز فى المدينة العليا، وهو قصر هيرودس. ولكن بالنسبة لتل بيزيتا Bezetha كان منفصلا عن برج انطونيا، كما أخبرنا حالا. ولما كان هذا التل المُقام عليه برج انطونيا هو الأعلى لهذه الثلاثة [تلال]، لذلك ضُمَّ إلى المدينة الجديدة، وكان المكان الوحيد الذى يعوق مشاهدة الهيكل من الشمال.

وهذا يكفى فى الوقت الحاضر للكلام عن المدينة والأسوار، لأننى عاهدتُ نفسى أن أصف ذلك بأكثر تدقيق فى مكان آخر.

الكتاب الخامس: الفصل السادس

[بشأن الطغاة سيمون ويوحنا. وكيف جُرِح نيكانور بسهم عندما كان تيطس يطوف حول سور المدينة، مما دفع تيطس إلى الإصرار على الحصار]

(١/٦/٥) والآن كان عدد مثيرى الفتن والرجال المولعين بالحرب الذين كانوا مع سيمون فى المدينة عشرة آلاف إلى جانب الإدوميين Idumeans. وكان لأولئك العشرة آلاف خمسون قائدا، وفوقهم جميعا سيمون الذى الذى كان الأعلى. وكان الإدوميون الذين أدانوا له بالولاء خمسة آلاف ولهم ثمانية قواد. ومن بين أولئك الذين كانت لهم شهرة أعظم كان يعقوب بن سوساس، وسيمون بن كاتلاس.

أما يوحنا الذى سيطر على الهيكل، فكان له ستة آلاف رجل مسلح تحت عشرين قائدا. وأيضا كان الغيورون الذين شايعوه وتخلوا عن معارضتهم له، الفين وأربعمائة، وكان لهم نفس القائد الذى كان لهم من قبل وهو اليعازر مع سيمون ابن آرينوس.

والآن، بينما كانت هذه الأحزاب تحارب بعضها البعض، كان الشعب هو الغنيمة لكليهما، كما قلنا من قبل، فقد كان ذلك الشِطر من الناس الذى لا ينضم إليهم في اعمالهم الشريرة يُنهَب بواسطة كل من هذه الأحزاب. وكان سيمون يسيطر على المدينة العليا، والسور العظيم إلى قدرون، وبمقدار ما كان السور القديم يميل عند سلوام إلى الشرق وينزل إلى قصر مونوبازوس Monobazus الذى كان مَلكا لاديابين Adiabeni فيما وراء الفرات. واستحوذ أيضا على ذلك الينبوع، وعلى أكرا التى لم تكن سوى المدينة السفلية، وعلى كل ما كان يوصل إلى قصر الملكة هيلينا أم موناباروس.

ولكن يوحنا كان يسيطر على الهيكل والأجزاء الملحقة به والطريق الكبير، وأيضا على أُوفلا Ophla والوادى الذى يُدعَى وادى قدرون.

وحيثما كانت هناك أماكن يتنازعون على ملكيتها، كانت تُحرَق بواسطتهم. وتركوا مساحات شاسعة بينهم تمكنهم من قتال بعضهم بعضا. لأن هذه الفتنة لم تكف حتى عندما عسكر الرومان بالقرب من اسوارهم ذاتها. وعلى الرغم من أنهم كانوا قد بدأوا يتعقلون فى بداية اقتراب الرومان إليهم، إلا أن ذلك لم يدُم إلا للحظة لأنهم عادوا إلى جنونهم السابق، وانفصلوا عن بعضهم بعضا وآثروا القتال، وفعلوا كل ما كان المحاصرون لهم يرغبون فى أن يفعلوه لهم. إنهم لم يُقاسوا قط من الرومان أسوأ مما قاسوه من بعضهم بعضا. ولم يكن هناك أىَّ بؤس تحتمله المدينة بعد اعمال أولئك الرجال يُمكن أن يُحسَب جديدا. بل كان معظمهم غير سعيدٍ قبل أن تنقلب المدينة، بينما كان الذين أخذوها أكثر شفقة. بل إننى اتجرأ وأوكد أن الفتنة قد دمرت المدينة، وأن الرومان قد دمروا الفتنة التى كانت أكثر قوة من الأسوار. حتى يمكننا أن نصف بعدلٍ لشعبنا سوء قدرنا، وأن الانتقام العادل لله أتى عليهم بواسطة الرومان. وليُقدِّر كل واحد هذه الأمور حسبما يُقدِّر هو الأحداث.

(٢/٦/٥) وبينما كانت الأمور فى دلخل المدينة على هذا النحو، كان تيطس يطوف حول المدينة من الخارج مع بعض الفرسان المختارين باحثا عن مكان ملائم يمكِّنه أن يكوِّن منه انطباعا عن الأسوار. ولكنه لمَّا كان يشك فى امكانية القيام بهجوم من أى جانب، (فلم يكن من السهل الحصول على مكان إذ كانت الوديان من ناحية، ومن ناحية أخرى كان السور القديم يظهر قويا جدا ضد زعزته بأية آلة). لذلك فَكر فى أنه من الأحسن أن يشن غاراته على خرائب يوحنا رئيس الكهنة، حيث كان الاستحكام الأول هناك أقل علوا، والثانى ليس متصلا به، حيث اهمل البناؤون تقوية هذا السور عندما لم تكن المدينة الجديدة قد عُمِّرَت كثيرا بعد. وكان هناك ممر سهل إلى السور الثالث. وفكر أن يستولى من خلاله على المدينة العليا، والهيكل نفسه من خلال برج انطونيا.

ولكن فى هذه اللحظة بينما كان يطوف حول المدينة، جُرِح واحدٌ من اصدقائه وكان يُدعَى نيكانور Nicanor بسهم فى كتفه الأيسر بينما كان يقترب من السور جدا مع يوسفوس الذى كان يحاول أن يخاطب أولئك الذين كانوا على السور حول شروط السلام، لأنه كان شخصا معروفا لهم.

وبناء على هذه الحادثة، علِم قيصر بمدى عنفهم، وأنهم لم يطيقوا حتى أولئك الذين اقتربوا لإقناعهم بالمحافظة على ذواتهم، وفى الحال أُثير سخطه وأصر على الحصار. واعطى الجنود فى نفس الوقت تصريحا بحرق الضواحى، وأمرهم بإحضار عروق الخشب وإقامة الصقالات تجاه المدينة. وقسَّم جيشه إلى ثلاثة اقسام للقيام بهذه الاعمال، ووضع قاذفى السهام والحراب فى وسط المتاريس التى كانت تُنصَب آنذاك. ثم وضع أمامهم تلك الآلات التى تقذف الرماح والنبال والأحجار لكى يمنع العدو من الهجوم عليهم أثناء العمل، ولكى يعوقوا أولئك الذين كانوا على السور من أن يكونوا قادرين على الاعتراض لسبيلهم. فقُطِعت الأشجار فى الحال، وأضحت الضواحى قفرة. ولكنه بينما كانت عروق الأخشاب تُحمَل لنصب المتاريس، والجيش كله منهمك بشغف فى اعماله، لم يكن اليهود ساكنين. فقد حدث أن شعب اورشليم الذين كانوا يُنهَبون ويُقتلَون - كانت لهم شجاعة حسنة الآن، وظنوا أنهم قد يحصلون على وقت لإلتقاط الأنفاس، بينما كان الآخرون مشغولين جدا فى مقاومة أعدائهم خارج المدينة، وأن عليهم الانتقام ممن كانوا سبب بؤسهم فى حالة ما إذا فاز الرومان بالانتصار.

(٣) ومع ذلك، لبث يوحنا ساكنا بسبب تخوفه من سيمون حتى عندما كان رجاله تواقين إلى الهجوم على أعدائهم فى الخارج. ولكن سيمون، مع ذلك، لم يركن إلى السكون فكمُن بالقرب من موضع الحصار، وأحضر آلاته الحربية ووزعها على مسافات مناسبة على السور. تلك الآلات التى كان قد أخذها سابقا من سيستيوس Cestius، وتلك التى حصل عليها عندما استولى على الحامية التى كانت تقيم فى برج

انطونيا. ولكن على الرغم من أنه كانت فى حوزتهم هذه الآلات إلا أن مهارتهم فى استعمالها كانت قليلة، حتى أضحت بدرجة كبيرة عديمة الجدوى بالنسبة لهم. ولكن كانت هناك قلة كانت قد تعلمت من هاربين من الجندية كيفية استخدامها، فاستخدموها وإن كان على نحو أخرق. وألقوا الحجارة والسهام على أولئك الذين كانوا يُقيمون الصقَّالات، وأيضا اندفعوا إليهم فى جماعات وتقاتلوا معهم. عندئذ غطى أولئك الذين كانوا فى العمل انفسهم بالسياجات والحواجز التى على صقالاتهم، واستعصى عليهم استخدام الآلات فى شرودهم. وكانت كل الآلات التى أعدتها الفيالق لهم مدهشة، ولكن الالات غير العادية بالأكثر كانت تلك التى للفيلق العاشر، فقد كانت نلك التى تقذف النبال وتلك التى ترمى الحجارة أكثر قوة وأكبر من الباقى، والتى بها لم يستطعيوا فقط صد هجمات اليهود، بل وأيضا طرد أولئك الذين كانوا على السور. فقد كانت الحجارة المُلقاة تزن الواحدة وزنة وتندفع إلى مسافة غلوتين بل وأبعد. وكانت الضربة لا تخيب ليس فقط للذين يكونون واقفين فى طريقها، ولكن أيضا لأولئك الذين يكونون واقفين خلفهم بمسافة. وفى البداية حافظ اليهود على أنفسهم ضد هذه الحجارة لأن لونها كان ابيض، ولذلك كانت لا تُدرَك فقط بصوتها العظيم ولكن أيضا بلمعانها قبل أن تأتى إليهم. وكان المراقبون لذلك يصيحون عاليا قائلين بلغتهم الخاصة "الحجر آتٍ" وبالتالى أولئك الذين يكونون فى طريقها يرقدون ويطرحون أنفسهم أرضا. وبهذه الوسيلة حافظوا على أنفسهم، وكانت الحجارة لا تُؤذيهم. ولكن الرومان عرفوا كيف يحُولون دون ذلك بأن طلُوا الحجارة باللون الأسود، وعندئذ كانت تصيبهم بنجاح، حيث لم يكن من الممكن تمييز الحجارة قبل وصولها كما كان. وهكذا أبادوا كثيرين منهم بضربة واحدة. ومع ذلك، لم يدع اليهودُ - تحت كل هذه الضيقات- الرومانَ يقيمون متاريسهم بهدوء، ولكنهم قاوموهم بجرأة نهارا وليلا.

(٤/٦/٥) ولمَّا أنهى الرومان اعمالهم قاس العمّال المسافة من هناك إلى السور بواسطة المِرجاس[٤٤] الذى ألقوه إليه من متاريسهم، لأنه لم يكن فى استطاعتهم غير ذلك وإلا ضربهم اليهود إذا أتوا بأنفسهم. وعندما وجدو أن الآلات يمكنها أن تصل إلى الأسوار، أحضروها إلى هناك. ووزعها تيطس عندئذ على مسافات مناسبة لتكون قريبة ما أمكن من السور، حتى لا يمكن لليهود أن يُقاوموهم. وأعطى أمرا بالعمل.

وفى هذه الأثناء إذا بضجة هائلة يتردد صداها من ثلاثة مواضع. وفجأة كانت هناك ضجة عظيمة أحدثها المواطنون داخل المدينة. وليس أقل من ذلك، الرعب الذى وقع على مثيرى الفتنة أنفسهم عندما رأى كلا الفريقين [المتناحريَن][٤٢] الخطر العام الذى كانوا فيه، واقتنعوا بأن يكون لهم دفاع مشترك. وهكذا كان كل فريق يصيح بالآخر لكى يسلكوا بإتفاق معا ضد الأعداء, وأنه ينبغى، حتى وإن كان الله لم يُعطهم هذا الاتفاق الدائم، أن يضعوا جانبا، فى ظروفهم الحالية، عداوتهم لبعضهم بعضا لكى يتحدوا معا ضد الرومان. وبالتالى أعطى سيمون لأولئك الذين أتوا من الهيكل تصريحا بالصعود إلى السور. وهكذا فعل يوحنا على الرغم من أنه لم يثق بالآخر. وهكذا وضع كلٌ من الجانبيَن كراهيته جانبا ومشاجراته الخاصة، وتشكلوا فى جسم واحد، وركضوا حينئذ إلى الاسوار حاملين معهم مشاعل عديدة وألقوها على الآلات، والقوا بالسهام بصفة دائمة على أولئك الذين كانوا يدفعون الآلات التى تضرب الأسوار. بل أن أكثر الجماعات جرأة وثبوا فى مجموعات على هذه المتاريس التى كانت تغطى الآلات وحطموها إلى قطع، وهجموا على المدافعين عنها وضربوهم ليس عن مهارة كبيرة ولكن عن جرأة الهجوم.

ومع ذلك، أرسل تيطس نفسه مددا إلى الذين كانوا فى موقف أصعب، ووضع كل الفرسان ورُماة الرماح فى الجوانب العديدة للآلات، وصدوا بالتالى أولئك الذين

---

٤٤ - المِرجاس أو المِسبار " lead and a line " خيط يُستَخدَم لقياس المسافات والأعماق. المعرب

احضروا النيران، والذين يطلقون الحجارة والنبال من الابراج، وبالتالى هيأ الآلات للعمل جيدا.

ولكن السور لم يستسلم لهذه الضربات، فيما عدا الأماكن التى كان الكبش الحديدى للفيلق العاشر يهز ركن البرج، بينما السور نفسه ظل سليما. لأن السور لم يكن فى نفس الخطر مع البرج الذى كان بعيدا عنه. ولم يكن سقوط هذا البرج يزعزع بسهولة أى جزء من السور نفسه الذى كان فيه.

(٥/٦/٥) والآن توقف اليهود عن هجماتهم لبعض الوقت. ولكنهم عندما لاحظوا أن الرومان قد تفرقوا جميعا إلى اعمالهم، وإلى معسكراتهم العديدة (لأنهم ظنوا أن اليهود قد اعتكفوا لضعفهم أو لخوفهم) قاموا فجأة بهجوم على برج هيبيكس من خلال بوابة غامضة، واشعلوا فى نفس الوقت النيران فى الاعمال، وهجموا بجرأة على الرومان وعلى تحصيناتهم ذاتها. وعند صياحهم، هرع إليهم بسرعة أولئك الذين كانوا بالقرب منهم لمساعدتهم، وركض إليهم الذين كانوا بعيدين عنهم. وهنا كانت جرأة اليهود صعبة جدا أمام حُسن تنظيم الرومان الذين سحقوا أولئك المهاجمين أولا وكبسوا عليهم معا. وكان القتال حول الآلات ضاريا، فبينما كان الجانب الأول يحاول بمشقة اشعال النار فيها، كان الجانب الآخر يجاهد للحيلولة دون ذلك. وعلا الصراخ من كلٍ من الجانبين. وسقط كثيرون قتلى من الذين كانوا فى مقدمة المعركة. ومع ذلك كان اليهود قساة فى الهجوم الوحشى الذى قاموا به كمجانين، وأمسكت النيران بالاعمال. وصارت الاعمال والآلات ذاتها فى خطر الاحتراق، ما لم يضع الجنود المنتخَبون القادمون من الاسكندرية انفسهم لمنع هذه النيران، وما لم يسلكوا هم بأنفسهم مسلكا أكثر شجاعة مما كان مفترض أن يسلكوه. فإن ما صنعوه جعلهم أكثر شهرة مما كانوا عليه من قبل.

كانت هذه هى حالة الأمور قبل أن يأخذ قيصر اشجع فرسانه ويهاجم العدو، فقتل هو بنفسه اثنى عشر يهوديا ممن كانوا فى المقدمة. فلما رأى الآخرون موتهم ولوا هاربين، فتعقبهم وطاردهم إلى اسوار المدينة، وانقذ الاعمال من النيران.

وحدث أن يهوديا قُبِض عليه حيا فى المعركة، فأمر تيطس بصلبه أمام السور ليرى ما إذا كان الباقون سيفزعون ويكفون عن العناد أم لا. ولكن بعد أن اعتكف اليهود، فإن يوحنا الذى كان قائدا للإدوميين، وكان يتكلم مع أحد جنوده على السور، جُرِح بسهم اطلقه عليه أحد العرب ومات فى الحال تاركا وراءه مناحة عظيمة بين اليهود، وأسفا بين مثيرى الفتن لأنه كان رجلا ذا مقام عظيم نظرا لكلٍ من اعماله وعدالته معا.

الكتاب الخامس: الفصل السابع

[كيف انهار احد الأبراج التى نصبها الرومان من تلقاء ذاته. وكيف استولى الرومان على السور الأول بعد قتالٍ ضارى. وكيف شن تيطس هجوما على السور الثانى. وأيضا بشأن لونجينوس الرومانى، وكاستور اليهودى]

(١/٧/٥) والآن، فى اليلة التالية، حدث انزعاج مباغت للرومان. لأنه بينما أمر تيطس بنصب ثلاثة ابراج بارتفاع خمسين ذراعا حتى يمكنه – بإقامة برج على كلٍ من الصقالات – أن يطرد من هناك أولئك الذين على السور. فحدث أن انهار أحد هذه الأبراج بغتة فى حوالى منتصف الليل. ولمَّا كان سقوطه قد أحدث جلبة عظيمة، فإن الخوف حلَّ بكل الجيش. وإذ افترضوا أن الأعداء قد هجموا عليهم، ركض الجميع إلى سلاحهم. وترتب على ذلك أن ساد انزعاج وشغب على الفيالق. ولمَّا كان كل واحد غير قادرٍ على أن يعرف ماذا حدث بالضبط، فقد خرجوا جميعا فى حالة تفطر القلوب حزنا. وعندما لم يروا ظهور الأعداء، كانوا خائفين من بعضهم بعضا، وكان كل واحدٍ يسأل جاره عن كلمة السر باهتمام عظيم كما ولو كان اليهود قد غزوا معسكرهم. وكانوا حينئذ مثل أناس فى فزعٍ عظيم، إلى أن علِم تيطس بما حدث وأصدر أوامره كى يَعلم الجميع بها. وعندئذ كفوا بصعوبة عن انزعاجهم.

(٢/٧/٥) والآن، كانت هذه الأبراج مزعجة جدا لليهود، ولولاها لكانوا قد قاوموا الرومان بشجاعة. لأنهم كانوا يتعرضون للرشق من هذه الآلات النارية من تلك الأبراج، وأيضا من رماة الرماح والسهام ومن تلك التى تقذف الأحجار. ولم يكن باستطاعة اليهود لا الوصول إلى أولئك الذين كانوا فوقها بسبب ارتفاعها، ولا كان يُمكنهم، عمليا، الاستيلاء عليها أو قلبها بسبب ثقلها، ولا إلقاء النار عليها بسبب

تغطيتها بصفائح من الحديد. لذلك تنحوا بعيدا عن مرمى السهام. ولم يعودوا بعد يَعوقون عمل هذه الآلات التى أمكنها بالضربات المستمرة أن تسود أخيرا على السور إلى الحد الذى افسح مكانا لهذه الآلة التى كانت تُسمَّى "نيكو" Nico[٤٥]– لأنه بهذا الاسم كان اليهود انفسهم ينعتون أكبر الآلات عندهم لأنها كانت تقهر كل شيءٍ. وأخيرا تعبوا جدا من القتال لمدة طويلة ومن الحراسة، فركنوا إلى الراحة أثناء الليل على مسافة من السور. ومن ناحية أخرى، ربما كان تفكيرهم أيضا فى عدم حراسة السور أنه يوجد إلى جانب ذلك تحصينيَن آخرين ما زالا باقيَين. وإذ كانوا متكاسلين، فإن مشورتهم كانت سقيمة من جميع الوجوه، ومن ثم تكاسل الكثيرون وهدأوا.

وعندئذ صعد الرومان إلى الثغرة التى أحدثتها الآلة نيكو، فترك جميع اليهود حراسة هذا السور وتقهقروا إلى الثانى. عندئذ فتح الذين صعدوا السور البوابات، ودخل كل الجيش إلى الداخل.

وهكذا استولى الرومان على هذا السور الأول فى اليوم الخامس عشر من الحصار، الذى كان اليوم السابع من شهر ارتميسيوس Artemisius [آيار][٤٦]. وعندئذ أزالوا جزءً كبيرا منه، مثلما حدث أيضا للأجزاء الشمالية للمدينة التى كانت قد دُمرت أيضا بواسطة سيستيوس سابقا.

(٣/٧/٥) وعسكر تيطس الآن داخل المدينة، فى ذلك الموضع الذى كان يُدعَى "معسكر الاشوريين"، وقد امسك بزمام كل ما يمتد إلى قدرون، ولكنه أخذ حذره أن يكون بعيدا عن مدى سهام اليهود من السور الثانى. وبدأ عندئذ فى الحال هجماته، التى قسَّم اليهود أنفسهم إزائها إلى فرق متعددة، ودافعوا بشجاعة عن هذا السور.

---

٤٥ - نلاحظ أن هذا الإسم هو باليونانية، وهى تعنى "الغالب" أو "القاهر". وقد وُجدِ الحرف الأول منها فى الآثار المسيحية للرسوم الجدارية التى وصلتنا داخل هالة السيد المسيح. راجع رؤ ٦:٢

٤٦ - ٢٥ مايو سنة ٧٠م. المعرب

وفعل ذلك يوحنا وحزبه من برج انطونيا ومن الرواق الشمالى من الهيكل، وقاتلوا الرومان أمام خرائب الملك الكسندر. وكذلك جعل جيش سيمون نصيبهم الأرض التى كانت بالقرب من خرائب يوحنا وحصنوها حتى إلى تلك البوابة التى كانت تُجلَب من عندها المياه إلى برج هيبيكس. وقام اليهود، مع ذلك، بهجمات عنيفة وعديدة أيضا، وحاربوا بأجسادهم الرومان خارج البوابات أيضا. وعندما كانوا يُطرَدون من على السور، كانوا يُقهَرون فى المعارك إذ كانت تُعوزهم مهارة الرومان. ولكنهم عندما كانوا يقاتلونهم من على السور كانوا أقوياء جدا عليهم. وإذ قد تشجع الرومان من ناحية، بقوتهم، ومهارتهم، وتشجع اليهود من ناحية أخرى، بجرأتهم التى كان يغذيها الخوف مما هم فيه، والضيقة التى هى طبيعية لأمتنا فى ظل هذه المحن، وكانوا يتطلعون أيضا إلى النجاة مثلما كان الرومان يتطلعون إلى السيطرة على المدينة فى وقت قصير؛ فإن كل ذلك جعل كلا الطرفين لا يكل. فكانت الهجمات المستمرة والقتال على السور فى الخارج طوال النهار. ولم تكن هناك أساليب حرب لم تُستخدَم. وكان لليل نفسه نصيب كبير. فما كانوا يبدأون الحرب فى الصباح حتى يكون الليل نفسه غير مريحٍ للجانبين إذ كان يمر مثل النهار بلا نومٍ من كليهما. وبينما كان البعض يخشون الاستيلاء على السور، كان البعض الآخر يخشون أن يهجم اليهود على معسكراتهم، فكان [أفراد] كلٌ من الفريقين يرقدون يسلاحهم خلال الليل، ليكونوا مستعدين بذلك عند أول تباشير الصباح للتوجه إلى المعركة. وكان الطموح لدى اليهود هو مَن يسود أولا على المعارك ويُشرِّف قواده. بالإضافة إلى أنه كان لهم اكرام عظيم لسيمون ورعب منه. فإلى هذا الحد أنه كان معتبرا من كل أحدٍ تحته، حتى أنهم كانوا على استعداد أن يقتلوا انفسهم بأياديهم عند أمره[٤٧]. وما جعل الرومان شجعاناً جدا هو

٤٧ - لاحظ أن التبعية العمياء لصاحب فكر ما، ليست بجديدة على واقعنا الانسانى، ولا هى قاصرة على دين معين أو مذهب معين. فها نحن نرى ذلك لدى "الغيورين" فى اليهودية قبلما تظهر هذه الظاهرة فى المسيحية (فى محاكم التفتيش فى الغرب)، وفى الاسلام لدى الجماعات المتطرفة.

عاداتهم المعتادة فى الانتصار، والخوف من الهزيمة، وحروبهم الدائمة، وتداريبهم العسكرية المستمرة، وعظمة سيادتهم. غير أن سبب شجاعتهم الآن كان أيضا وجود تيطس معهم جميعا فى كل مكان. لأنه كان أمرًا مزعجا أن يكلوا هم بينما قيصر نفسه معهم، لذا حاربوا بشجاعة بقدر ما فعلوا. وكان هو نفسه ذات مرة شاهِد عيان لسلوكهم الشجاع وكافأهم جميعا على ذلك. وإلى جانب ذلك كانت تُعَد ميزة أن يكون الشخص معروف لدى القيصر نفسه، الأمر الذى جعل الكثيرين منهم يظهر بأكثر رشاقة لكى يُقابل القوة.

وبينما كان اليهود فى نحو هذا الوقت يقفون فى صفوف أمام السور فى جسم قوى، وكان كلا الفريقين يُلقى بسهامه على الآخر، إذا بواحد من الرومان يُدعَى لونجينوس وثب من بين صفوف جيشه إلى وسط جيش اليهود الأمر الذى أدى إلى تشتتهم، وقتَل اثنين من أكثرهم شجاعة حيث ضرب أحدهما على وجهه عندما أتى لملاقاته ثم ضرب الآخر بنفس الحربة التى انتزعها من جسد الأول, فلاذ ذلك الرجل بالفرار وجرى وهى فى جنبه. وعندما فعل ذلك ركض راجعا إلى جيشه دون أن يصيبه أى جُرحٍ. وبذلك ميَّز هذا الرجل نفسه، وجعل الكثيرين يتوقون إلى اكتساب سمعة مثله.

وكان اليهود غير مبالين بما يُعانوه من الرومان، وكانوا يفكرون فقط فيما عساهم أن يفعلوه، وبدا الموتُ نفسه لا شىء بالنسبة لهم مقابل أن يقتلوا أى شخص من الأعداء.

ولكن تيطس أخذ حذره لكى يُؤِّمن جنوده من أى أذى مثلما يريدهم أن يتغلبوا على أعدائهم، فقال لهم أيضا: العنف غير المعقول هو جنون، وأن الشجاعة الحقيقية هى فقط تلك المقترنة بتفكير سابق، به تكون الضربات بدون معاناة. لذلك أمر جنوده بأخذ حذرهم عند محاربة أعدائهم لكى لا ينالهم أى ضرر منهم، وفى نفس الوقت يظهرون كرجالٍ محاربين بالحقيقة.

(٤/٧/٥) وأحضر تيطس إحدى آلاته إلى البرج المتوسط للجزء الشمالى من السور الذى كان يكمن عنده رجل يهودى ماكر يُدعَى كاستور مع عشرة من أمثاله، وكان الباقون قد هربوا بسبب الرماح. أولئك الرجال ظلوا ساكنين بعض الوقت جاثين على دروعهم، ولكن عندما تزعزع البرج قاموا. وبسط كاستور عندئذ يديه متضرعا وأخذ ينادى على القيصر بصوت يثير الشفقة ملتمسا منه الرحمة عليهم. فأمر تيطس ببراءة قلبه بإيقاف عمل الكبش الحديدى، مترجيا أن يكون اليهود قد ندموا، ومُصدِقا هذا الرجل، ومنعهم من ضرب أولئك الذين يتضرعون إليه. وأمر كاستور أن يقول ما يُريد له. فقال أنه يريد أن ينزل إذا أعطاه يمين الأمان. فأجاب تيطس أنه مسرورٌ جدا بهذا المسلك الفطن، وسيكون مسرورا جدا لو كان كل اليهود مثل عقله، وأنه على استعداد أن يعطى هذه اليد للمدينة. وعندئذ قام خمسة من الرجال الذين كانوا معه وتظاهروا بأنهم يلتمسون الرحمة، بينما أخذ الباقون يصيحون بأن لا يكونوا عبيدًا للرومان، بينما هم فى كامل قوتهم ليموتوا من أجل الحرية. وبينما كان أولئك الرجال يتشاجرون لمدة طويلة، تعطل الهجوم وأرسل كاستور أيضا إلى سيمون وأخبره أن عليه أن يستفيد من هذا التعطيل حتى يزوغون من قوة الرومان إلى حد ما. وفى نفس الوقت الذى ارسل فيه هذا، تظاهر بوضوح أنه يوبخ أولئك الذين يمتنعون عن قبول يمين تيطس لأمانهم. فتظاهروا هم بالغضب عليه ولوحوا بسيوفهم المجردة مهددين، وطعنوا أنفسهم فى صدورهم وسقطوا.

وعندئذ تعجب تيطس والذين كانوا معه من شجاعة الرجال. وإذ كانوا غير قادرين أن يروا ما يحدث بالضبط، اُعجَبوا بهم، وأشفقوا على ملمتهم. وفى غضون هذه الأشياء أطلق شخص ما سهما على كاستور فجرحه فى أنفه، فجذبها فى الحال وأراها لتيطس وشكى له هذه المعاملة غير العادلة. فوبخ قيصر ذاك الذى ألقى السهم، وأرسل يوسفوس الذى كان يقف إلى جانبه ليُعطى يمينه إلى كاستور. ولكن

يوسفوس قال له أنه لا يود الذهاب إليه لأن هذا الإلتماس التظاهرى لا يعنى شيئا طيبا، ومنع أيضا أصدقاءه الذين كانوا غيورين من الذهاب إليه.

ولكن كان هناك مارقٌ من الجيش يُدعَى انياس Eneas، قال أنه يرغب فى الذهاب إليه. وكان كاستور يدعوهم أيضا إلى أن يأتى شخص ما ويأخذ النقود التى معه، مما جعل انياس أكثر شوقا للركوض إليه بصدر مفتوح. وعندئذ أخذ كاستور حجرا كبيرا وألقاه عليه، ولكنه أخطأه لأنه احترس منه. ولكن الحجر أصاب جنديا آخر كان آتيا إليه.

وعندما فهم قيصر أن هذا كان تعطيلا للحرب، أدرك أن الرحمة فى الحرب هى أمر خبيث لأن مثل هذه الحيل الماكرة، لها مكان أقل فى ظل الممارسات الأكثر شدة. عندئذ أمر الآلة بالعمل بأكثر قوة من ذى قبل بسبب غضبه من هذه الخدعة التى انطلت عليه.

ولكن كاستور ورفقاءه اشعلوا النار فى البرج، وعندما بدأت تأخذ طريقها، قفزوا خلال اللهب إلى منافذ خفية كانت تحتها، مما جعل الرومان يفترضون بالأكثر أن أولئك الرجال على شجاعة عظيمة، إذ طرحوا أنفسهم وسط النيران.

الكتاب الخامس: الفصل الثامن

[كيف أخذ الرومان السور الثانى مرتين، وصاروا جاهزين لأخذ السور الثالث]

(١/٨/٥) والآن، أخذ قيصر هذا السور فى اليوم الخامس بعد استيلائه على السور الأول. وعندما هرب اليهود منه إلى داخله، دخل هو بألف رجل مسلح وجحافله المختارة، من المكان الذى كان فيه تجار الصوف، والنحاسون، وسوق القماش، حيث كانت الشوارع الضيقة تؤدى إلى السور. لذلك لو كان تيطس قد دمر الجزء الأكبر من السور فى الحال، أو كان قد دخل وخرَّب ما بقى تبعا لشريعة الحرب، لمَا كان انتصاره على ما أظن قد شابه أية خسارة من جانبه. ولكنه لم يُوسِّع من الثغرة فى السور- بسبب أمله فى أن يخجل اليهود من عنادهم [عندما يرونه] غير راغب فى أن يوسع من ثغرة السور (لكى يوفر تقهقرا أكثر أمنا عند اللزوم)، وهو قادر على أن يذلهم أكثر مما يحتاج هو إليه. لأنه لم يظن أنهم سينصبون له شراكا مقابل طيبته معهم. ولذلك عندما دخل، لم يسمح لجنوده بقتل أيٍ ممن يقبضون عليهم، ولا أن يُشعلوا النيران فى منازلهم. بل أعطى إذنا لمثيرى الشغب أن يحاربوا إذا أرادوا، دون الحاق اى ضررٍ بالشعب. ووعد بالإبقاء علي الشعب لهم. لأنه كان يتوق إلى حفظ المدينة لأجل ذاتها، وحفظ الهيكل من أجل المدينة. أما بالنسبة للشعب فقد كانوا مستعدين منذ زمن طويل إلى أن يذعنوا لمقترحاته، ولكن الرجال المسلحين بدت لهم انسانيته هذه علامة ضعف، وتخيلوا أنه قدَّم هذه المقترحات لأنه كان غير قادرٍ على أخذ باقى المدينة. وهددوا أيضا الشعب بالموت إن تكلم أحدٌ منهم بكلمة تسليم. وأكثر من ذلك، قطعوا أعناق المتكلمين بالسلام. وهاجموا عندئذ الرومان الذين أتوا إلى داخل السور. فقابلوا بعضهم فى الشوارع الضيقة، وجاربوا ضد بعضهم من منازلهم. كما قاموا بغارة مفاجئة على الذين فى البوابات العليا، وأغاروا على

الرومان الذين كانوا وراء السور، إلى حد أن الذين كانوا يحرسون السور كانوا مرتعبين وقفظوا من ابراجهم، واختلوا بمعسكراتهم العديدة. فحدثت عند ذلك ضجة عظيمة بواسطة الرومان الذين كانوا فى الداخل لأنهم كانوا محاصرين من كل جانب بواسطة أعدائهم، وأيضا ممن كانوا فى الخارج لأنهم كانوا مرتعبين على أولئك الذين فى داخل المدينة. وهكذا ازداد عدد اليهود بصفة مستمرة، وصارت لهم مزايا كبيرة على الرومان من جراء معرفتهم بالأزقة. فجرحوا عددا كبيرا منهم، وقتلوهم وطروهم خارج المدينة. واضطر الرومان أن يقاوموا بأقصى ما استطاعوا لأنهم لم يكونوا قادرين على الخروج من الثغرة بأعداد كبيرة لأنها كانت ضيقة جدا. وكان من المحتمل أن يتم تمزيق الذين بقوا فى الداخل إربا، لولا أن تيطس أرسل إليهم مددا لأنه أمر رماة الرماح بالوقوف على الأطراف العليا للأزقة، ثم وقف هو بنفسه حيث كان الجمهور الأوفر من أعدائه وصدهم بسهامه. وقد فعل بالمثل دوميتيوس سابينوس أيضا كرجلٍ باسل ظهر فى هذه المعركة أنه كذلك. واستمر قيصر يرمى سهامه باستمرار على اليهود ويعوقهم عن الإيقاع برجاله إلى أن تقهقر جميع جنوده إلى خارج المدينة.

(٢/٨/٥) وهكذا طُرِد الرومان خارجا بعد أن استولوا على السور الثانى. لذلك ترفَّع الرجال المسلحون الذين كانوا فى المدينة فى عقولهم، واتكلوا على نجاحهم الطيب وبدأوا يفكرون فى أن الرومان لن يجرأوا على دخول المدينة مرة أخرى، وأنهم إذا بقوا بداخلها فلن يُهزَموا أبدا. لأن الله كان قد أعمى عقولهم بسبب المعاصى التى أذنبوها فلم يقدروا أن يروا القوات الرومانية الأكثر بكثير من تلك التى تقهقرت الآن. ولم يستطيعوا بعد أن يميزوا كيف أن المجاعة كانت تزحف عليهم، لأنهم كانوا يغذون أنفسهم ببؤس الشعب، ويشربون دماء المدينة. ولكن الفاقة الآن أمسكت بالجزء الأفضل لمدة طويلة، ومات عدد كبير لإفتقارهم إلى الضروريات. وكان مثيرو الشغب يفترضون، فى الحقيقة، أن هلاك الشعب هو يُسرٌ لهم، لأنهم ما كانوا يرغبون

فى أن يُبقوا على أى أحدٍ إلا فقط أولئك الذين كانوا ضد السلام مع الرومان، وعزموا على أن يعيشوا لمقاومتهم. فكانوا يُسرون بهلاك أولئك الذين يخالفونهم فى الرأى، كما لو كانوا قد تحرروا من عبء ثقيل بلا نفعٍ. كان هذا هو تدبير عقول أولئك الذين فى الداخل، فغطوا أنفسهم بدروعهم ومنعوا الرومان من محاولة دخول المدينة مرة أخرى، وأقاموا من أجسادهم سورا آخر إزاء الجزء المنقوب فى الجدار. وفعلوا ذلك ببسالة، ودافعوا ثلاثة أيام ولكن فى اليوم الرابع لم يستطيعوا تدعيم أنفسهم إزاء شدة هجمات تيطس، واضطروا إلى الفرار ما لم يكونوا قد فروا من قبل. وهكذا استولى مرة أخرى على السور، ودمر الجزء الشمالى كله. ولمّا وضع حامية فى الأبراج التى كانت فى الجزء الجنوبى للمدينة، اقتنع بكيفية الانقضاض على السور الثالث.

الكتاب الخامس: الفصل التاسع

[كيف واصل تيطس نفس الشيء عندما وجد أن اليهود لم يُلطِّفهم وقف الحصار لبعض الوقت. ولكنه ارسل إليهم يوسفوس ليخاطب أهل بلده عن السلام]

(١/٩/٥) والآن، عقد تيطس العزم على إرخاء الحصار لبعض الوقت لكى يمنح لمثيرى الشغب فرصة للتبصر، ولكى يرى ما إذا كان تدمير سورهم الثانى يجعلهم أكثر كياسة، وما إذا كانوا غير خائفين من المجاعة لأن الغنائم التى اغتصبوها لم تكن لتكفيهم مدة طويلة. لهذا استفاد من هذا الاسترخاء ليُدبر خططه تبعا لذلك. ولمَّا كان الوقت المعيَّن لصرف أجور الجنود قد حلَّ، لذلك أصدر أوامره إلى القواد بأن يصطف الجنود صفوف معركة فى مواجهة العدو[٤٨]، وإعطاء كل واحدٍ عندئذ أجره. لذلك فتح الجنود – طبقا للعادة- صناديقهم حيث كانت الأسلحة مغطاة من قبل، وساروا مرتدين دروعهم. وكذا فعل الفرسان بجيادهم بالمثل فى مسيرة عسكرية جميلة. وعندئذ تألق المكان ببريق الذهب والفضة، فلم يكن هناك شىء جميل لتيطس ورجاله مثل هذا المنظر، ولا شىء مرعب مثله للعدو. لأن كل السور القديم والجانب الشمالى للهيكل كان غاصا بالمشاهدين، وكان المرء يرى البيوت مكدسة بأولئك المتفرجين. ولم يكن هناك أى جزء فى المدينة لا تغطيه الجماهير. بل أن رعبا عظيما حلَّ حتى على أقسى رجال اليهود أنفسهم عندما رأوا كل الجيش فى نفس المكان بروعة أسلحتهم وحُسن تنظيم رجالهم. ولا يمكننى سوى أن أظن أن مثيرى الشغب كانوا من الممكن أن يُغيروا رأيهم عند هذا المنظر ما لم تكن الجرائم التى ارتكبوها ضد الشعب من البشاعة، فيأسوا فى عفو الرومان لهم، واعتقدوا أن الموت بالتعذيب سيكون عقوبتهم ما لم يستمروا فى الدفاع عن المدينة، لذلك رأوا أنه من

---

٤٨ - أى كما نقول اليوم فى تشكيل ميدان.

الأفضل الموت فى الحرب. وقد ساد القدر كثيرا حتى أن الأبرياء كانوا عتيدين أن يهلكوا مع المذنبين، وكانت المدينة عتيدة أن تُخرَّب من مثيرى الشغب فيها.

(٢/٩/٥) وهكذا قضى الرومان أربعة أيام فى صرف النقود للفيالق المختلفة. ولكن فى اليوم الخامس عندما لم تظهر من اليهود أية علامة للسلام، وزع تيطس الفيالق، وبدأ فى إقامة الصقالات عند برج انطونيا وعند خرائب يوحنا. وكانت خططه هى أخذ المدينة العليا من عند هذه الخرائب، والهيكل من عند برج انطونيا. لأنه إذا لم يؤحذ الهيكل فإنه من الخطر المحافظة على المدينة ذاتها. لذلك أقام المتاريس عند كلٍ من هذه الأماكن. كل فيلق أقام واحدا. فقام الإدوميون وأولئك الذين كانوا فى جيش سيمون بهجمات على أولئك الذين كانوا يعملون عند خرائب يوحنا وأوقفوهم. بينما فعل اتباع يوحنا وجمهور الغيورين نفس الشىء بالنسبة لأولئك الذين كانوا أمام برج انطونيا. وكان اليهود أشداء جدا ضد الرومان ليس فقط فى الحرب مباشرة معهم لأنهم كانوا يقفون على أرض أعلى، ولكن لأنهم تعلموا استخدام آلاتهم التى كانوا يستعملونها باستمرار من يوم إلى يوم بتحسن ومهارة. فقد كان لديهم من تلك التى تلقى السهام ثلاثمائة، ومن التى تلقى الحجارة أربعين. وبواسطتها جعلوا من الصعب على الرومان إقامة صقالاتهم.

ولكن تيطس- وهو عالِمٌ أن المدينة إما أن تُدَّمَر وإما أن تبقى لنفسه - لم يتقدم فى الحصار بشغف، ولكنه أخذ أيضا يحث اليهود على الندم. وهكذا مزج بين العمل والحصار وبين المشورة الحسنة. ولأنه عاقل كان يرى أن هذا الحث غالبا ما يُؤثر أكثر من الأسلحة، فقد حث المدينة على التسليم على نحو ما بينا توا لكى يخلصوا أنفسهم. وأرسل يوسفوس ليخاطبهم بلغتهم لأنه تخيل أنهم قد يقتنعوا بواحدٍ من أهل بلدهم.

(٣/٩/٥) وهكذا أخذ يوسفوس يدور حول السور، ويحاول أن يجد مكانا يكون بعيدا فيه عن مرمى السهام ولكن يكون أيضا فى نطاق سمعهم. ثم توسل إليهم بكلام كثير أن يحفظوا أنفسهم، ويُبقوا على بلدهم وعلى هيكلهم، وألا يكونون أكثر فظاظة فى هذه الحالات من الأجانب أنفسهم. لأن أولئك الرومان الذين ليس لهم أية علاقة بهذه الأشياء يوقرون الأماكن والطقوس المُقَّدَسة على الرغم من أنها تخص أعدائهم، وأنهم [أى الأجانب] قد أمسكوا حتى الآن أياديهم عن التدخل فيما لا يعنيهم. بينما هذه الأشياء إذا تمت ستكونون [أنتم] فقط الشعب الذى سيجنى عواقبها، والذى يسرع إلى تدميرها. فبالتأكيد قد رأوا أن أقوى أسوارهم قد دُمِرت، وأن السور الباقى أضعف من تلك التى أُخِذت بالفعل. وعليه يجب أن يعلموا أن قوة الرومان لا تُقهر، وأنهم قد اعتادوا على خدمتهم. لأنه إن كانت الحربُ من أجل الحرية، أمرًا سليما، فإنه كان عليهم فعل ذلك من قبل. ولكن بالنسبة لأولئك الذين قد وقعوا تحت سلطة الرومان وخضعوا لهم لسنوات عديدة، فإن تظاهروا بالتخلص من هذا النير فيما بعد، فإنه يُعَد عمل ناجما عن عقول تبغى الموت التعيس لا الحرية. وفوق ذلك، قد يتذمر الرجال من عدم وفاء سادتهم لهم، ولكن ليس لهم أن يفعلوا ذلك مَن كانوا كل شيءٍ تحت أمرهم. لأنه أى جزء من العالَم[٤٩] قد انفلتَ من الرومان ما لم يكن غير نافعٍ [لهم] لحره أو لبرده. ومن الثابت أن الحظ كان فوق أياديهم، وأن الله بعدما طاف حول الأمم بهذا السلطان استقر الآن فى ايطاليا. وأكثر من ذلك، إنها شريعة ثابتة وقوية حتى بين الحيوانات المفترسة – كما هى بين البشر- الخضوع للأقوى ولمن له سلطان، ولمن كان شديدا فى الحرب. لهذا السبب كان آباؤكم الأولون الذين كانوا أفضل كثيرا فى نفوسهم وأجسادهم معا، ومواردهم الأخرى قد خضعوا مع ذلك للرومان الذين ما كانوا ليخضعوا لهم لو لم يعرفوا أن الله معهم.

٤٩ - طبعا المعروف آنذاك.

وبالنسبة لهم على مَن كان يمكن أن يعتمدوا فى مقاومتهم إذا كان الجزء الأكبر من مدينتهم قد أُخذ قبلا؟. وعندما كان الذين فى داخلها فى بلايا أعظم مما لو كانت قد أُخِذت، بالرغم من أن أسوارها ما زالت قائمة؟. لأن أولئك الرومان غير ملمين بالمجاعة التى فى داخل المدينة، والتى بها فنى الشعب بالفعل، والرجال المقاتِلون يهلكون هم أيضا فى زمن قصير. لأنه على الرغم من أن الرومان قد رفعوا الحصار ولم يهجموا على المدينة بسيوفهم فى أياديهم، إلا أنه كان هناك عدو فى الداخل يتزايد فى كل ساعة ما لم يكونوا قادرين على دفع الحرب بالمجاعة والحرب ضدها، أو يستطيعوا فقط التغلب على شهيتهم.

قم أضاف أكثر " ما أحسن أن تغيروا سلوككم قبل أن تُصبح مصائبكم عديمة الشفاء. وأن تُصغوا إلى هذه النصيحة وتحفظوا أنفسكم بينما الفرصة متاحة لكم. لأن أولئك الرومان لن يذكروا اعمالكم السالفة ومساوئكم ما لم تُصروا على سلوككم إلى النهاية لأنهم متعودين على الفتوحات، ويُفضلون ما هو مفيد قبل أن يفعلوا ما تمليه عليهم الظروف. فأى نفعٍ لهم فى أن يتركوا المدينة خاوية من السكان ولا فى أن يكون البلد خرابا. لكن القيصر يعرِض عليكم اليوم يمين الأمان. بينما إذا أخذ المدينة عنوة، فلن يخلص أى أحدٍ منهم، وخاصة إذا ما رفضوا عروضه فى هذه الضيقة العظمى. لأن الأسوار التى أُخِذت حالا لا يمكن إلا أن تؤكد لهم أن السور الثالث سيؤخذ أيضا سريعا. وعلى الرغم من أن هذه التحصينات قد تبرهن على أنه أكثر قوة من أن يُحدث فيها الرومان ثغرة، إلا أن المجاعة ستحارب أيضا من أجل الرومان.

(٤/٩/٥) وبينما كان يوسفوس يحث اليهود، بدأ كثيرون منهم يشتمونه من على السور ويوبخونه، بل وألقى بعضهم سهامهم عليه. ولكن عندما لم يستطع هو نفسه أن يُقنعهم بهذه النصيحة الواضحة، لجأ إلى التواريخ الخاصة بأمتهم، وصاح عاليا:

" أيها الشعب البائس آ إلى هذا الحد أنتم غير واعين بأولئك الذين يساعدونكم حتى أنكم تحاربون بأسلحتكم وأياديكم ضد الرومان. متى قهرنا أية أمة بمثل هذه الأسلحة طرا؟. ومتى كان الله خالق الشعب اليهودى لا ينتقم لهم إذا ما أُصيبوا؟. آلا تعودون ثانية وتنظرون إلى ورائكم وتعتبروا، منذ متى كنتم تقاتلون بهذا العنف، وأى عاضد عظيم أسأتم إليه؟. ألا تتذكرون تلك الأشياء المذهلة التى جرت على آبائكم الأولين، وعلى هذا المكان المُقَّدَس، وكيف أن أعداءً عِظام قد خضعوا لكم. أنا نفسى ارتعد من إعلان أعمال الله أمام آذانكم غير المستحقة للسمع. ومع ذلك اصغوا الىَّ، لكى تعلموا أنكم لا تحاربون ضد الرومان فقط بل ضد الله نفسه. ففى الأزمنة القديمة كان هناك ملك يُدعَى نخو، ملك لمصر ويُدعَى أيضا فرعون. هذا جاء بجيش جرار وقبض على الملكة سارة التى هى أم شعبنا. فماذا فعل ابراهيم جدنا الأعظم عندئذ؟. هل دافع عن نفسه ضد أولئك الرجال بالحرب، على الرغم من انه كان تحت إمرته ثلاثمائة وثمانية عشر قائدا، وكان تحت كل منهم جيش هائل. حقا، إنه حسبهم كلهم كلا شىء بدون معونة الله. وبسط فقط يديه النقيتين نحو هذا الموضع المُقَّدَس الذى دنستموه أنتم الآن، واعتمد عليه كما على معين لا يُقهَر، بدلا من جيشه الخاص. ألم تُرسَل ملكتنا بدون أى دنس إلى زوجها فى ذات المساء التالى، بينما هرب ملك مصر بعدما زين هذا المكان الذى نجستموه بسفك دماء مواطنيكم، وارتعد أيضا من الرؤى التى رآها فى حُلم الليل، ووهب ذهبا وفضة للعبرانيين كشعبٍ محبوب من الله. هل أحدثكم عن ارتحال آبائنا إلى مصر الذين لمَّا عوملوا باستبداد وسقطوا تحت سطوة الملوك الأجانب لمدة اربعمائة سنة هل دافعوا عن أنفسهم

بالحرب والقتال، هل فعلوا شيئا سوى أنهم أسلموا ذواتهم لله؟. مَن ذا الذى لا يعرف أن مصر قد ضُرِبت بكل أنواع الحيوانات المفترسة وسائر أنواع الضربات، وكيف أن الأرض لم تعط ثمارها، والنيل لم يُعط ماءه، وكيف توالت الضربات العشر على مصر واحدة بعد الأخرى، وكيف أنه بهذه الوسائل خرج آباؤنا تحت الحفظ بدون سفك دماء أو التعرض لأى خطر لأن الله قادهم كشعب خاص له. وأكثر من ذلك ألم تئن فلسطين تحت سطوة السوريين عندما نقلوا تابوتنا المُقَّدَس، وماذا حدث للصنم داجون، ولكل تلك الأمة التى حملته وكيف ضُرِبوا فى أعضائهم السرية من أجسادهم عندما سقطت أحشائهم بكل ما كانوا يأكلونه حتى أن تلك الأيادى التى سرقته هى التى اضطرت أن تُعيده بصوت الدفوف والصنوج وكل أنواع التذراعات لكى يتقوا غضب الله لإغتصابهم التابوت المُقَّدَس. إنه إذن الله هو الذى صار قائدا لنا، وأكمل لآبائنا هذه الأعمال العظيمة. وهذا لأنهم لم يلجأوا إلى الحرب والقتال، ولكنهم أذعنوا له ليقضى لهم أمورهم. وعندما أحضر سنحاريب ملك أشور شعب أسيا معه وحاصر هذه المدينة بجيشه، هل انحدر بأيدى بشر؟. ألم تُرفع تلك الأيادى إلى الله فى صلوات، دون اتكالنا على السلاح، فأهلك ملاك الرب هذا الجيش الجرار فى ليلة واحدة، حتى أن الملك الآشورى عندما نهض فى صباح اليوم التالى ووجد اربعمائة وخمسة آلاف جثة، هرب هو والذين بقوا معه، من العبرانيين على الرغم من أنهم كانوا غير مسلحين ولم يتعقبوهم. أنتم تعلمون أيضا العبودية التى كنا تحتها فى بابيلون حيث كان الشعب أسرى لمدة سبعين سنة، ولكنهم لم يستردوا حريتهم مرة أخرى قبل أن يُعِد الله أداته العظيمة – كورش - فى تحقيقها. وتبعا لذلك تحرروا بواسطته واستعادوا مرة أخرى عبادة مُنقذهم فى هيكله. ولنتكلم بصفة عامة، إننا لا نستطيع أن نجد مثالا حصل فيه آباؤنا على أى نجاح بواسطة الحرب، أو أخفقوا فيه عندما لم يُحاربوا وسلَّموا فيه ذواتهم لله. عندما مكثوا فى بيوتهم غلبوا حسب مسَرة قاضيهم، ولكنهم عندما كانوا يخرجون للحرب كانوا يفشلون دائما.

فعلى سبيل المثال عندما حاصر ملك بابيلون هذه المدينة ذاتها، وحاربَ ملكنا صدقيا ضده بالرغم من تحذير أرميا النبى له، أُخِذ فى الحال أسيرًا ورأى خراب المدينة والهيكل. ومع ذلك، كم كان ذلك الملك أكثر اعتدالا من حكامكم الحاليين، وكم كان الشعب الذى تحته أكثر من أولئك الذين هم الآن. لأنه عندما صاح أرميا بصوتٍ عالٍ بكيف كان الله غاضبا عليهم بسبب معاصيهم، وقال لهم أنهم سيُأخَذون أسرى ما لم يُسَلِّموا المدينة، فإنه لا الملك ولا الشعب قتلوه. ولكن بالنسبة لكم (ولنترك ما فعلتموه داخل المدينة من شرور، وهو ما لا أستطيع وصفه كما يجب) فأنتم تشتموننى وترشقوننى بسهامكم، أنا الذى فقط أحثكم على المحافظة على أنفسكم والوعى بأثامكم ولا تستطيعون تحمل ذِكر جرائمكم التى تفعلونها كل يوم. وعلى سبيل المثال أيضا، عندما كمن انطيوخس الذى كان يُدعَى ابيفانس أمام هذه المدينة، وافترى بافتراءات كثيرة ضد الله وعندما قابله آباؤنا يالسلاح فإنهم قُتِلوا عندئذ فى المعركة، ونُهبت المدينة بواسطة أعدائنا، وصار مَقدِسنا خرابا لثلاثة سنوات وستة أشهر. وأى حاجة لى لأُورد لكم أمثلةً أخرى. حقا ماذا يمكن أن يُهيّج جيش الرومان ضد أمتنا؟ أليس هو شرور سكانها؟. ومنذ متى بدأت عبوديتنا، أليست هى ناجمة عن الفتنة التى كانت بين آبائنا عندما جعل جنون ارستوبولس وهركانوس ومعاركهم المتبادلة بومبى يصعد إلى المدينة. فخفَّض الله عندئذ أولئك الذين كانوا خاضعين للرومان وغير مستحقين للحرية التى تمتعوا بها. وبعد حصار ثلاثة أشهر أُجبِروا على تسليم أنفسهم بالرغم من أنهم لم يكونوا مذنبين بمخالفات خاصة بمقدِسنا وشرائعنا مثلكم. وكان هذا فى الوقت الذى كان لديهم فيه موارد للحرب أكثر مما هو لديكم. آلا نعرف كيف كانت نهاية أنتيجينوس ابن ارستوبولس الذى فى عهده قضى الله أن تُؤخذ هذه المدينة مرة أخرى بسبب معاصى الشعب. وعندما جلب علينا هيرودس ابن انتيباتير سوسيوس، جلب سوسيوس جيش الرومان، فأحاطوا بنا عندئذ وحاصرونا لمدة ستة أشهر إلى أن أُخِذوا كعقاب

لآثامهم، ونُهِبت المدينة بواسطة الأعداء. وبهذا يتضح أن الأسلحة لم تُعطَ قط لأمتنا، ولكن إن انهمكنا فى الحرب فمن المؤكد أننا سنؤخذ لأننى أظن أن مثل هذا المكان المُقَّدَس ينبغى أن يكون تحت تصرف الله فى كل شىء، وأن ينخفض سلطان البشر عندما يعبدون حاكمهم الأعلى. أما بالنسبة لكم، فماذا فعلتم من الأمور التى أوصى بها مُشَرِّعنا؟ وماذا لم تفعلوا من أمور أدانها؟ كم أنتم غير صالحين بالأكثر من أولئك الذين أُخِذوا سريعا؟. إنكم لم تتجنبوا كثيرا تلك الآثام التى تفعلونها سرا، أقصد السرقة والخيانة والمكيدة ضد البشر والزنى. أنتم تصنعون الرذيلة مع بعضكم البعض بالسلب والقتل وتخترعون طرقا غريبة للشر. بل أن الهيكل نفسه قد صار وعاءً لكل شىء. وهذا الموضع المُقَّدَس قد تنجس بكل أنواع القتل. أى مكان صار موقرا من الرومان عندما كان بعيدا عنهم، حتى أنهم ابطلوا عادات كثيرة لهم من أجل اعطاء مكان لشريعتنا. وبعد كل هذا هل تتوقعون من أولئك الذين تشتمونهم وكنتم طالحين معهم أن يؤيدوكم؟. كونوا إذن متأكدين أنكم على صواب لكى تلتمسوا وتدعوه أن يساعدكم بأياديكم النقية جدا!!. هل رفع ملككم حزقيا مثل هذه الأيادى فى الصلاة إلى الله ضد ملك آشور، عندما أهلك [الله] هذا الجيش العظيم فى ليلة واحدة؟. هل اقترف الرومان مثل هذه الشرور مثلما فعل ملك آشور، حتى يكون لكم عُذر فى أن تأملوا بأن يحل عليهم انتقام مثل هذا. ألم يقبل ذلك الملك نقودا من ملكنا على شرط أن لا يُدمر المدينة، ومع ذلك وعلى النقيض من قسَمِه أخذها ونزل ليحرق الهيكل، بينما لا يطلب الرومان أكثر من الجزية المعتادة التى كان آباؤنا يدفعونها لآبائهم. وأنهم إذا حصلوا على هذا لا يهدفون إلى تدمير المدينة ولا إلى لمس [الهيكل] المُقَّدَس بل سيمنحوكم إلى جانب الحرية، الممتلكات والمقتنيات، ويُحافظوا على شرائعكم المُقَّدَسة دون انتهاك لها. ومن الجنون التوقع أن الله سوف يُظهِر تدبيرا سيئا نحو البار كما نحو الأثيم بما أنه يعلم أنه من الملائم معاقبة البشر على آثامهم فى الحال. وتبعا لذلك حطم قوة الآشوريين فى الليلة الأولى التى نصبوا

فيها معسكراتهم، بينما لو كانت أمتنا تستحق الحرية أو كان الرومان يستحقون العقاب لأوقع فى الحال عقابا على الرومان مثلما فعل بالأشوريين، عندما بدأ بومبى يتدخل فى شؤون أمتنا، أو عندما قام سوسيوس بعد ذلك ضدنا، أو عندما خرَّب فسبسيان مقاطعة الجليل، أو أخيرا عندما اقترب تيطس من هذه المدينة على الرغم من أن مجنوس وسوسيوس ليسا فقط لم يخسرا شيئا بل وأخذا المدينة عنوة، كما أن فسبسيان خرج من الحرب ليتسلم الامبراطورية. أما بالنسبة لتيطس فإن ينابيع المياه التى كانت تقريبا جافة سابقا عندما كانت تحت سلطانكم، فإنها ما أن تيطس حتى تدفقت منها كميات غزيرة أوفر مما كانت عليه قبلا. لأنكم تعلمون أن سلوام وباقى الينابيع الأخرى بالمثل التى كانت فى خارج المدينة كانت لا تكفى، حتى أن المياه كانت تُباع بالكيل، بينما هى الآن تعطِى كمية هائلة من المياه لأعدائكم لا تكفى فقط لشربهم هم بل ولسقى حيوانتهم ولرى بساتينهم ايضا. نفس العلامة العجيبة التى اختبرتموها سابقا عندما حارب ملك آشور ضدنا، وعندما أخذ المدينة وأحرق الهيكل. ومع ذلك، اعتقد أن يهود ذلك العصر لم يكونوا صالحين مثلكم. لذلك لا يمكننى إلا أن افترض أن الله قد هجر مَقدِسه ووقف إلى جانب أولئك الذين تحاربونهم[٥٠]. لأنه حتى بين البشر، يهرب الانسان الصالح من البيت النجس، ويكره أولئك الذين فيه. فهل تحاولون انتم ان تقنعوا انفسكم أن الله سيمكث معكم فى آثامكم هذا الذى يرى كل الخفيات ويسمع كل المكنونات. والآن أى جريمة هناك أرجوكم هى سر بينكم أو تخفونها. كلا، ليس هناك ما هو غير واضحٍ لأعدائكم، لأنكم تُظهرون تعدياتكم على نحو من الأبهة ويفتخر كل منكم للآخر فى كل يوم كيف كان أكثر شرا، وتقومون بمظاهرة عامة لظلمكم كما لو كان فضيلة. ومع ذلك هناك فرصة متروكة لكم لحفظكم إذا كنتم راغبين فى قبولها، فالله يصالح بسهولة أولئك الذين

٥٠- أليس بذلك يشهد يوسفوس بما نطقه السيد المسيح مسبقا عن الهيكل "هوذا بيتكم يُترك لكم خرابا".

يعترفون بخطاياهم، ويندمون عليها. أيها الأشقياء قساة القلوب، اطرحوا عنكم أسلحتكم واشفقوا على بلدكم السائرة نحو الخراب. ارجعوا عن طرقكم الشريرة، وقدِّروا شرف مدينتكم التى ستخونوها، وهذا الهيكل الممتاز بعطايا البلاد العديدة له. مَن يقدر أن يحتمل أن يكون أول مَن أحرق هذا الهيكل. من لا يرغب فى أن تكون هذه الأمور أكثر، وماذا هناك يكون مستحقا للمحافظة عليه أكثر. ايتها الخلائق غير الواعية والأكثر غباءً من الحجارة ذاتها، لماذا لم تستطيعوا أن تنظروا إلى هذه الأمور بعين مًفرِزة. اشفقوا مع ذلك على عائلاتكم وليضع كل واحد أمام عينيه أطفالكم وزوجاتكم ووالديكم الذين سيهلكون تدريجيا إما بالمجاعة وإما بالحرب. إننى أعى أن هذا الخطر سيمتد إلى أمى وزوجتى وأسرتى التى لى وربما تتخيلون أننى بسببهم فقط أنصحكم، إذا كان هذا هو كل شيءٍ، اقتلوهم. بل خذوا دمى كمكافأة إذا كان ذلك من أجل سلامتكم[٥١] لأننى مستعد أن أموت فى حالة ما إذا كنتم تعودون وتعقلون بعد موتى.

---

٥١ - راجع قول موسى النبى "وإلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ \الَّذِي كَتَبْتَ»"(خر٣٢:٣٢)، وقول بولس الرسول "فإنى كنتُ أود لو كنتُ أنا محروما من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد" (رو ٣:٩).

الكتاب الخامس: الفصل العاشر

[كيف تاق جمهور كبير من اليهود فى النزول إلى الرومان. الأشياء التى حدثت لأولئك الذين عانوا من المجاعة والنتائج المُترتبة عليها].

(١/١٠/٥) ولمَّا كان يوسفوس يتكلم هكذا بصوتٍ عال وبدموع، فإن مثيرى الشغب لم يُسَلِّموا بما قاله، ولا اعتبروا تغيير مسلكهم ضربا من الآمان. أما الشعب فقد تحركوا للهرب إلى الرومان، وتبعا لذلك باع بعضهم ما يملك، بل حتى أكثر الأشياء قيمة التى يحتفظون بها ككنز بثمن بخس، وابتلعوا قطعا من الذهب حتى لا تُكتَشف من اللصوص. وعندما كانوا يفرون إلى الرومان، كانوا يذهبون إلى المرحاض، ويصير لهم المال الكافى ليزودهم بضرورياتهم. لأن تيطس سمح لعدد كبير منهم بالذهاب إلى الريف كما شاءوا. وكانت الدوافع الرئيسية لهروبهم هى أن يتحرروا من البؤس الذى عانوه فى المدينة، ولا يكونوا عبيدا للرومان. ومع ذلك فإن يوحنا وسيمون مع حزبيهما راقبوا بأكثر عناية خروج أولئك الرجال أكثر من دخول الرومان. فإذا أظهر أى امرؤ أدنى ميل فى فى مثل هذه النوايا، كانت رقبته تُقطع فى الحال.

(٢/١٠/٥) ولكن بالنسبة للأثرياء فكان من الثابت أن الأمر سيان بالنسبة لهم سواء ألبثوا فى المدينة أو حاولوا الخروج منها، لأنهم كانوا سيهلكون فى الحالتين. فكل من أولئك الأشخاص كان مُعرضا للموت بحجة أنهم ينوون الخروج من المدينة، ولكن فى الحقيقة لكى يستولى اللصوص على ما يملكونه. وتزايد جنون مثيرى الفتنة أيضا مع تزايد المجاعة. وهذا البؤس كان يزداد كل يوم أكثر وأكثر، لأنه لم يكن هناك حنطة تظهر فى أى مكان علانية حتى يهرول اللصوص، ويقتحمون المنازل ويفتشونها. فإذا ما وجدوا عندئذ أيا منها يعذبونهم لأنهم انكروا أن لديهم شيئا. وإذا

لم يجدوا شيئا يعذبونهم أكثر لأنهم يفترضون أنهم قد أخفوها بأكثر حرصٍ. وكانت علامة أن لديهم شىء أم لا هى أجسام أولئك البؤساء، فإذا ما كانت فى حالة جيدة فإنهم يفترضون أنهم ليسوا معوزين إلى الطعام. ولكن إن كانت هزيلة فإنهم يمضون بدون مزيد من البحث. ولم يكونوا يفكرون فى قتل أولئك الذين سيموتون سريعا من انفسهم بسبب العوز إلى الطعام. وفى الحقيقة، باع كثيرون كل ما لهم مقابل وزنة واحدة من القمح إذا كانوا من الأغنياء، أو من الشعير إن كانوا فقراء. وعندما كان ذلك يحدث كانوا يحبسون أنفسهم فى داخل الغرف الداخلية فى منازلهم ليأكلوا الحنطة التى حصلوا عليها. وبعضهم كانوا يأكلونها بدون طحن بسبب شدة الحاجة التى كانوا فيها، وآخرون خبزوا منها خبزا تبعا لِما كانت تمليه عليهم الضرورة والخوف. ولم تُنصَب مائدة فى أى مكان لوجبة مميزة، بل كانوا يخطفون الخبز من النار نصف ناضجٍ ويأكلونه بعجلة.

(٣/١٠/٥) كانت حالة بائسة الآن ومنظرا يذرف الدموع من عيوننا. كيف يعتاز الناس إلى طعامهم بينما الأكثر قوة لديهم أكثر مما يكفى، والأضعف ينوحون[٥٢]. ولكن المجاعة تقهر سائر العواطف، وتدمر كل شىء حتى الحياء. لأنه ما كان يستحق التوقير كان يُزدرى به. كانت الزوجات تخطفن الفتات من أزواجهن، حتى من افواههم وهم يأكلون. وهكذا كان يفعل الأطفال مع آبائهم. وماذا بقى للشفقة، فإن الأمهات كنَّ تفعلن ذلك مع أولادهن. وعندما كان يهلك أولئك الأعزاء جدا بين أياديهن، لم يكن يخجلن من أن يخطفون آخر فتاتة قد تظهر ليُحافظن على حياتهن. وبينما كانوا يأكلون على هذا النحو، لم يكونوا مع ذلك يخفونها. وكان مثيرو الفتن يأتون إلى اى مكان فى الحال، ويخطفون منهم ما حصلوا عليه من الآخرين.

٥٢ - بسبب عوزهم إلى الضروريات.

لأنهم عندما كانوا يرون أى منزلٍ مغلق كان ذلك علامة لهم على أن الذين بداخله يتناولون بعض الطعام. وفى الحال، يقتحمون الأبواب، ويركضون إلى الداخل ويعصرون حلوقهم بالقوة وينتزعون الفتات منها. والشيوخ الذين كانوا يأكلون طعامهم بسرعة، كانوا يُضربون، وإذا أخفت النسوة ما معهن فى أياديهن، كانت تُنتَف شعورهن بسبب هذا التصرف. ولم يكونوا يُظهِرون أى رثاء سواء للمسنين أو للأطفال، فكانوا يرفعون الأطفال من على الارض ويعلقونهم ويهزونهم ويطرحونهم أرضا. بل كانوا أيضا أكثر بربرية وقسوة مع أولئك الذين كانوا يمنعونهم من الدخول، او الذين ابتلعوا فعلا ما كانوا ينوون امساكه، كما لو كانوا بغير عدلٍ سلبوهم من حقهم. لقد اخترعوا أيضا طرقا مرعبة للتعذيب لإكتشاف أى طعامٍ يكون، قبلما يعترضوا أماكن المحن، يتعرض [بها] الانسان لتحمل ما هو مرعب حتى لمجرد سماعه لكى يعترف ما إذا كان لديه حتى رغيف خبز واحد أو حفنة شعير يخفيها. وكان أولئك المُعذِّبون يفعلون ذلك عندما لا يكونوا جائعين لأن الشىء الأقل بربرية [يقصد الجوع] كان يجبرهم على هذا، وإنما كان ذلك يتم لحفظ جنونهم فى الممارسة، وليُعِدوا لأنفسهم المؤونة [اللازمة] للأيام الآتية. وقد ذهل أولئك الرجال لأولئك الذين كانوا يتسللون إلى خارج المدينة ليلا إلى حرس الرومان لكى يجمعوا بعض الحشائش والأعشاب التى تنمو بريا. وعندما كان يظن أولئك الناس أنهم فلتوا من العدو، كانوا يخطفون منهم ما أحضروه معهم، حتى حينما كانوا يتوسلون إليهم وهم يدعون بإسم الله العظيم لكى يتركوا لهم جزءً مما أحضروه. وبالرغم من ذلك[٥٣]، لم يكن يُعطونهم أقل فتاتة. وكانوا يُحسبون أنهم أحسن حالا أنهم قد نُهِبوا فقط ولم يُقتَلوا فى نفس الوقت.

---

٥٣ - أى من القسَم بالله العظيم.

(٤/١٠/٥) هذه كانت الأوجاع التى عانت منها الطبقات الدنيا من الشعب من أولئك الطغاة. أما الناس الذين كانوا ذوى كرامة وأثرياء فكانوا يُقدَّمون إلى الطغاة بعضهم بتهم زائفة عن تدبير مكائد خيانة، وبالتالى يهلكون. والبعض الآخر بتهم خيانة المدينة للرومان. ولكن الطريقة التى كانت اكثر استعمالا كانت أن يُحرضوا شخصا ما على تأكيد أنهم كانوا يعتزمون الهرب إلى الرومان. وكان الذى يُنهب بالكلية بواسطة سيمون، يُرسَل إلى يوحنا أيضا، والذين كانوا يُنهَبون من يوحنا كانوا يُرسَلون إلى سيمون ليأخذ ما بقى. إلى هذا الحد، شربوا دماء العامة من واحد لآخر، وقسَّموا أجساد الموتى المساكين فيما بينهم. وبالرغم من أنهم كانوا يتنافسون مع بعضهم بعضا بسبب تطلعهم إلى السلطة، إلا أنهم مع ذلك اتفقوا حسنا جدا فى ممارساتهم الشريرة، لأن الذى لم يكن يتصل بالطاغى الآخر فيما ألحقه من بؤس بالآخرين، كان يُعتَبَر أنانيا. والذى لا يُشارك فيما اتصل به كان يحزن على ذلك كما على خسارة لشىء قيم، فى أنه ليس له نصيب فى هذه البربرية.

(٥/١٠/٥) لذلك من المستحيل أن نبين بالتفصيل كل حالة لآثام أولئك الرجال. لذلك سأقول هنا رأيى بإختصار. لم تعانِ مدينة أخرى أبدًا مثل هذه البلايا، ولا كان أى عصرٍ من العصور منذ بداية العالم، أكثر شرا من هذا. وأخيرا، لقد عاملوا الأمة العبرانية برضى حتى يَظهروا أقل طلاحا بالنسبة للغرباء، واعترفوا بمن كانوا حقا عبيدا جفاة ونسلا غير شرعى ومجهَض لأمتنا. بينما قلبوا هم أنفسهم مدينتهم، وأجبروا الرومان –سواء أرادوا أم لم يريدوا - على أن [يجعلوهم] يجنون سمعة سوداوية بتصرف مجيد ضدهم. إنهم [أى الطغاة اليهود] تقريبا لم يُبعدوا عن الهيكل النار التى ظنوا أنها آتية ببطىء، بل أنهم فى الحقيقة عندما رأوا من المدينة العليا، الهيكل يحترق لم يرتعبوا منها ولم يذرفوا دمعا لهذا، بينما ظهرت هذه العواطف

لدى الرومان أنفسهم. هذه الظروف التى سنتكلم عنها فيما بعد فى مكانها المناسب عندما نتناول هذه الموضوعات.

الكتاب الخامس: الفصل الحادى عشر

[كيف كان اليهود يُصلبون أمام أسوار المدينة. بشأن انتيوخس ابيفانس، كيف قلب اليهود الصقالات التى أقامها الرومان.]

(١/١١/٥) والآن، كانت صقالات تيطس تتقدم بصورة كبيرة، وكان جنوده يضغطون على السور بشدة. فأرسل عندئذ مجموعة من الفرسان وأمرهم بأن يكمنوا لأولئك الذين يخرجون إلى الوديان ليلتقطوا طعاما. وكان بعض أولئك رجال حربٍ حقا، ولكن لم يكونوا راضين بعمليات السلب، ولكن الجزء الأعظم منهم كان من الفقراء الذين كانت تحُول دون نزوحهم مسؤلياتهم اتجاه اقاربهم إذ لم يكن لهم أمل الهروب مع زوجاتهم وأطفالهم بدون عِلم مثيرى الفتن، ولم يقدروا على التفكير فى ترك أقاربهم ليُقتلوا بسبب ذلك. ولكن شدة المجاعة جعلتهم جسورين على الخروج. لذلك لم يبق شىء سوى أن يتخفوا ويهربوا، وأن يُؤخَذوا من العدو. وعندما كانوا يُؤحذون كانوا يُجبَرون على الدفاع عن أنفسهم. وبعدما كانوا يُحاربون، يجدون أن طلب الرحمة متأخر جدا. لذلك كانوا يُضرَبون بالسياط أولا، ثم يُعذبون بكل أنواع العذاب قبل أن يموتوا ثم يُصلَبون أمام سور المدينة. هذا الإجراء البائس جعل تيطس يُشفق عليهم، إذ كانوا يُمسكون فى كل يوم خمسمائة يهودى، بل وفى بعض الأيام أكثر. ومع ذلك، لم يكن من الآمان له أن يجعل أولئك الذين يُؤخذون بالقوة يمضون إلى حال سبيلهم، أو أن يضع حرسا عليهم إذ رأى أن حراستهم بلا فائدة له. وكان سبب عدم منعه هذه القسوة هو أنه آمِل فى استسلام اليهود عندما يرون هذا المنظر خوفا من أن يتعرضوا هم أنفسهم لنفس المعاملة القاسية فيما بعد، لذلك، كان الجنود- بسبب غيظهم من اليهود وكراهيتهم لهم- يُسمرون أولئك الذين

يمسكونهم واحدا بعد واحد على الصلبان من الرسغ. وكان عددهم كبيرا حتى صارت الحاجة إلى صلبان، والصلبان إلى أجساد.

(٢/١١/٥) ولكن مثيرى الفتن كانوا بعيدين جدا عن التوبة من هذا المنظر المُحزن بل على العكس رأوا أنه من المناسب أن يُعمَل مع الباقين نفس المعاملة، فأحضروا بشغف أقارب الذين هربوا إلى الرومان طلبا للآمان المعروض عليهم، لكى يروا ما يجرى لأولئك الذين يهربون إليهم. وقالوا لهم أن أولئك الذين اُمسِكوا كانوا يتوسلون إليهم، وليسوا أنهم اُخِذوا أسرى. هذا المنظر جعل كثيرين ممن فى داخل المدينة، وإن كانوا يتوقون إلى الفرار، يُحجمون [عن ذلك] إلى أن عُرِفت الحقيقة. ومع ذلك فإن بعضا منهم ركض فى الحال كما إلى عقوبة معينة حاسبين الموت أمام أعدائهم رحيل هادىء إذا قورن بالموت بواسطة المجاعة. لذلك أمر تيطس بقطع يد الذين يُمسَكون حتى لا يُظن أنهم هاربون ولكى يُحاسَبوا على المصائب التى كانوا فيها وأرسلهم إلى يوحنا وسيمون بهذا الحث: أن يتخلوا الآن عن جنونهم بالأكثر، لكى لا يُجبروه على تدمير المدينة بينما لهم هذه المزايا للتوبة حتى ق ضيقتهم القصوى لكى يحفظوا حياتهم، وهذه المدينة الجميلة وهذا الهيكل بمجده الخاص.

وعندئذ، طاف حول الصقالات التى اُقيمت، وعَجَّل بالعمال لكى يُظهِر أن كلامه سيقترن بأعماله فى وقتٍ ليس ببعيد. وردا على ذلك لام مثيرو الشغب قيصر نفسه ووالده أيضا، وصاحوا بصوت عالٍ أنهم يفضلون الموت عن العبودية، ولكنهم سيُكبدون الرومان كل ما يقدرون عليه من ضرر طالما أن هناك نفس فيهم. وهذا من أجل مدينتهم طالما أنه كما قال يريد أن يدمرها، وأنهم لا ينشغلون عليها، فالعالم نفسه هيكل لله أعظم منها. ومع ذلك، فالهيكل نفسه سيحفظه الساكن فيه الذى ما زال معينهم فى هذه الحرب. وانهم لذلك يضحكون على تهديداته التى هى لا شىء

لأن النهاية تعتمد بالكلية على الله فقط. وقد خلطوا هذا الكلام بالتعبيرات والافتراءات.

(٣/١١/٥) فى نفس الوقت جاء إلى المدينة انطيوخس ابيفانس مع عدد معقول من الرجال المسلحين ومعه عصبة تُعرَف بالعصبة المكدونية وكلهم من نفس العمر والطول وقد أنهوا حالا طفولتهم، مُسلَّحين ومتدربين على الطريقة المكدونية. ولذلك سُمِيَّت بهذا الاسم.

ومع ذلك، كان كثيرون منهم غير جديرين بهذه الشهرة، لأنه حدث أن ملك كوماجن Commagene قد برز أكثر من أيٍ من الملوك الآخرين الذين كانوا تحت سلطة الرومان، إلى أن حدث تغير فى حالته. وعندما صار مُسِنا أعلن بوضوح أنه لا ينبغى أن ندعو أى إنسان سعيدا قبل موته. ولكن ابنه هذا الذى جاء إلى هنا قبل تداعى والده قال أنه يعجب كيف أن الرومان قد تأخروا فى هدمهم لهذا السور. وكان رجلا مولعا بالحرب، ومن الطبيعى أن يُظهِر إقداما على المخاطرة، وكان قويا أيضا حتى أن جرأته أفسدت نجاحه. وعند ذلك ابتسم تيطس وقال أنه يمكنه أن يُشارِك فى أتعاب الهجوم معه.

وعندئذ ذهب انطيوخس كما كان عندئذ مع المكدونيين وهجموا فجأة على السور. وفى الحقيقة، كانت قوته ومهارته عظيمة جدا حتى أنه حفظ نفسه من سهام اليهود وألقى سهامه عليهم، بينما كان الشباب الذين معه تقريبا وقحين إلى حد بعيد لأنهم كان لهم اعتبار كبير بالمواعيد التى كانت بسبب شجاعتهم، فلم يتحفظوا فى قتالهم. وأخيرا، تقهقر كثيرون منهم، ولكن ليس قبل أن يُجرَحوا. وعندئذ ادركوا أن المكدونيين لو كانوا غزاة لكان عليهم أن يكون لهم حظ الكسندر أيضا.

(٤/١١/٥) والآن، ما أن بدأ الرومان يقيمون الصقالات فى اليوم الثانى عشر من شهر ارتيمسيوس [ايار][٥٤] حتى كانت هناك ضجة عظيمة لإنهائها فى اليوم التاسع وعشرين[٥٥] من نفس الشهر، بعد أن عملوا بمشقة باستمرار مدة سبعة عشر يوما. وكان هناك الآن اربعة صقالات عظيمة. واحدة أُقيمَت عند برج انطونيا، وهذه أقامها الفيلق الخامس. وأخرى كانت فى مواجهة تلك البِركة التى كانت تدعى "ستروثيوس" Struthius. والثالثة أُقيمَت بواسطة الفيلق الثانى عشر على مسافة عشرين ذراعا من الأخيرة. ولكن عمل الفيلق العاشر الذى كان له وضع عظيم، فكان فى الربع الشمالى عند البِركة التى تُسمى "اميجدالون" Amygdalon كما كانت على مسافة ثلاثين ذراعا من تلك التى كانت للفيلق الخامس عشر عند خرائب رئيس الكهنة.

وعندما اُحضِرت الآلات، حدد يوحنا من الداخل المساحة التى كانت فى مواجهة برج انطونيا لغاية الصقالات ذاتها وغطى الارض التى كانت فوق نفق بعروق موضوعة واحدة فوق الأخرى والتى بسببها كان الرومان يقفون على أرض غير مستقرة. وعندئذ أمر بحرق هذه المواد وكانت مغموسة فى بيتومين. وما أن احترقت هذه العروق الخشبية التى كانت تدعم الصقالات حتى ظهرت فجأة الفجوة، وانهارت الابراج وسقطت فى الفجوة بضجة هائلة وثار غبار ودخان كثيف حيث كانت النيران تلتهم كل شىء. ولكن، ما أن كانت المواد الخانقة تتبدد أولا بأول حتى ظهر اللهب بوضوح على نحو ألقى الرعب على الرومان وأثبط شجاعتهم. حقيقة أتت هذه الحادثة عليهم فى وقت ظنوا فيه أنهم قد حازوا بالفعل على ما يريدون، وبرَّدت من تطلعاتهم الآتية. وفكروا أنه بلا جدوى محاولة اطفاء النيران لأنه حتى إذا أطفأوها فإن العروق ستكون قد اُلتُهِمت [وصارت بلا نفعٍ لهم][٥٦].

---

٥٤ - ٣٠ مايو.

٥٥ - ١٦ يونيو.

٥٦- قوس المترجم كما قلنا قبلا

(٥/١١/٥) وبعد يومين من هذا، قام سيمون وحزبه بمحاولة لتدمير الصقالات الأخرى، لأن الرومان كانوا قد أحضروا آلاتهم إلى هناك وبدأوا بالفعل فى دك السور. فكان هناك تفيثوس Tephtheus من جارسيس Garsis، مدينة بالجليل، وميجاساروس Megassarus الذى ينحدر من أحد عبيد الملكة مارىامن ومعهما واحد من اديابين كان ابنا لنباتيوس، وكان يُدعَى – لسوء حظه- خاجيراس Chagiras فالكلمة تعنى "الأعرج". فخطفوا بعض المشاعل وركضوا بغتة إلى الآلات. ولم يكن هناك خلال هذه الحرب مَن يُحارِب خارج المدينة أبدا سواء عن جرأة أو عن رعب من أعدائهم، لأنهم ركضوا إلى الرومان ليس كما إلى أعداء بل كما إلى أصدقاء دون خوف أو إبطاء ولم يَدَعوا اعداءهم إلى أن اندفعوا وسطهم بعنف وأشعلوا النار فى آلاتهم، على الرغم من السهام المُصَوَّبة نحوهم من كل جانب، وسيوف الأعداء الذين كانوا يهاجمونهم من كل جانب، ولم يتراجعوا بسبب الخطر الذى كانوا فيه إلى أن امسكت النيران بالأدوات. ولكن عندما تصاعد اللهب هرع الرومان من معسكراتهم لإنقاذ آلاتهم. ولكن اليهود اعترضوا من السور مددهم، وحاربوا أولئك الذين أرادوا إطفاء النيران دون اعتبار للخطر على أجسامهم. وهكذا انتشل الرومان آلاتهم من النار بينما كانت الصفائح المغطاة بها تحترق. ولكن اليهود امسكوا بالكباش الحديدية خلال اللهب ذاته بسرعة على الرغم من أن الحديد كان قد صار محميا، وانتشرت النيران من ذاتها من الآلات إلى الصقالات وحالت دون أولئك الذين جاءوا للدفاع عنها. وإذ احاطت النيران بالرومان ويئِسوا من انقاذ اعمالهم منها، تقهقروا إلى معسكراتهم.

وعندئذ تزايد عدد اليهود أكثر فأكثر بواسطة أولئك الذين أتوا من داخل المدينة لمساعدتهم. ولمّا كانوا قد تجرأوا كثيرا بهذا النجاح الطيب الذى حازوه، لم يُراعوا آلامهم بل تقدموا أكثر إلى تحصينات معسكر الأعداء وقاتلوا حرسه. وعندئذ اصطف الجنود امام المعسكر واحد تلو الآخر تبعا لدوره، وكانت شريعة الرومان

بالنسبة لأولئك مرعبة. فالذى يترك مكانه مهما كانت الظروف يُقتَل. لذلك كان الجنود يُفضلون الموت بشجاعة فى القتال عن الموت عقوبة للجبن، فوقفوا بثبات، وكان الذين يهربون عند الضرورة يرجعون مرة أخرى من الخجل. وعندما نصبوا الآلات فى مواجهة السور وضعوا حدا للجماهير الآتية من المدينة [وهذا استطاعوا عمله بأكثر سهولة] لأنهم لم يَدَعوا هناك أية وسيلة للمحافظة على أجسامهم أو حراستها. لأن اليهود كانوا يُحاربون الآن يدا بيد بكل ما تصل إليه أياديهم فى طريقهم، وبدون أى احتراس من رماح أعدائهم، وهاجموهم أجساد بأجساد. لأنهم كانوا الآن أشداء جدا على الرومان. وهجموا بذلك على الرومان أكثر من أى عملٍ حربى آخر. وأعطاهم الرومان مجالا لجرأتهم أكثر مما فعلوه بالنسبة للضرر الذى نالوه منهم.

(٦/١١/٥) والان، جاء تيطس من برج انطونيا حيث كان ذاهبا للبحث عن مكان لإقامة صقالات أخرى، وأنَّب الجنود بشدة على سماحهم بالخطر لسورهم الخاص، بعدما أخذوا اسوار أعدائهم، وعززوا حظ الرجال المحاصَرِين إذ سمحوا لليهود أن يهجموا عليهم كما من سجن. وطاف عندئذ حول الأعداء بفرق مختارة، وانقض بنفسه على فلولهم. لذلك فإن اليهود الذين كانوا يهاجمون مواجهة، التفتوا إلى تيطس واستمروا فى القتال. واختلطت الجيوش عندئذ بعضها ببعض، وثار الغبار وأعاق رؤية بعضهم لبعض، كما أعاقت الضجة سماع بعضهم بعضا حتى أنه لم يكن من الممكن تمييز العدو من الصديق. ومع ذلك لم يجفل اليهود، ليس بسبب قوتهم الحقيقية بقدر يأسهم من النجاة. كذلك الرومان لم يكفوا بسبب مجدهم وسُمعتهم فى الحروب، ولأن قيصر نفسه دخل الخطر أمامهم. لدرجة أننى لا أقدر إلا أن أظن أن الرومان كانوا سيقضون فى النهاية على كل اليهود لغضبهم الشديد عليهم ما لم يحول دون ذلك تسللهم من المعركة وتقهقرهم إلى المدينة. ومع ذلك، عند رؤية

صقالتهم مُدَمرة، كان الرومان مُثبَطين جدا بسبب خسارة هذا الجهد الطويل فى ساعة واحدة، ويأس كثيرون فى الحقيقة من أخذ المدينة بآلاتهم العادية فقط.

الكتاب الخامس: الفصل الثانى عشر

[فكَّر تيطس أنه من الملائم تطويق المدينة بسور. المجاعة تلتهم الشعب ببيوتهم وعائلاتهم]

(١/١٢/٥) والان، أخذ تيطس يتشاور مع قواده عما يُتخَذ. فالذين كانوا ذوى مزاج حار فكَّروا فى إحضار كل الجيش ضد المدينة ودك السور لأنه إلى الآن لم يكن يُحارِب اليهود سوى جزء من الجيش. ولكن فى حالة مجىء كل الجيش دفعة واحدة لم يكن فى إمكانهم تقوية هجومهم بل سينقلبون بسهامهم. ولكن أولئك الذين كانوا أكثر حذرا فى الإدارة فكان بعضهم يرون إقامة الصقالات من جديد، وآخرون كانوا ينصحون بتركها وحدها والمكوث أمام المدينة، ومراقبة مخارج اليهود ودخول مؤنهم، وبذلك يتركون العدو للمجاعة وذلك دون حرب مباشرة، لأن ذلك اليأس لم يكن ليُقهَر لا سيما لأولئك الذين يتوقون إلى الموت بالسيف بينما البلاء الأكثر رعبا هو المحفوظ لهم.

أما تيطس فلم يرَ أنه من الملائم أن يترك جيشا عظيما كهذا خاملا كله، وأنه من العبث مع ذلك القتال مع أولئك الذين كانوا سيهلكون الواحد بواسطة الآخر. وأظهر لهم أيضا كيف أن إقامة صقالات أخرى أمر غير عملى بسبب الحاجة إلى المواد، وأن مراقبة اليهود فى خروجهم أيضا أمر غير عملي، كما أن تطويق المدينة بكل الجيش أيضا أمر غير سهل جدا بسبب ضخامة وصعوبة موقعه ومخاطره الأخرى من هجمات اليهود خارج المدينة. فعلى الرغم من أنهم قد يحرسون الممرات المعروفة، إلا انهم عندما يرون أنفسهم فى ضيقة قصوى يخترعون ممرات سرية لهم باعتبارهم ملمين بمثل هذه الأماكن. فإذا ما حُمِلت إلى الداخل أى مؤن ولو بالسرقة، فإن الحصار سيتأخر بالتالى طويلا. وقد كان يخشى أيضا من أن طول الزمن المنقضى

قد يُقلل من مجد نجاحه. فعلى الرغم من أن هذه حقيقة وهى أن طول الزمن يُتمم كل شيءٍ، ولكن مع ذلك فِعل ما نفعله فى زمن قصير ما زال ضرورى لنوال الشهرة. لذلك كان رأيه أنه إذا قصدوا السرعة مع الآمان عليهم ببناء سور حول المدينة بأكملها والذى، كما ظنّ، هو الطريق الوحيد لمنع اليهود من الخروج بأية طريقة، وعندئذ إما ييأسوا تماما من إنقاذ المدينة وبالتالى يستسلمون، وإما يمكن قهرهم بسهولة عندما تتغلب المجاعة عليهم. لأنه بالإضافة إلى هذا السور، فإنه لن يخلد كلية إلى الراحة، ولكنه سيهتم حينئذ بإقامة الصقالات مرة أخرى عندما يَضعف المقاومون. ولكن إذا فكر أىُ واحدٍ أن هذا العمل كبير جدا ولا ينتهى بدون صعوبة، فعليه أن يعتبر أنه ليس ملائما للرومان النهوض بالأعمال الصغيرة، وأنه لا يستطيع أى شخص إتمام أى شيء عظيم أيا كان بسهولة.

(٢/١٢/٥) وسادت هذه الحجج على قواده. وأعطى تيطس أوامره بتوزيع الجيش على الأنصبة المختلفة للعمل. وإذا بحمية إلهية تسود على جميع الجنود، فى الحقيقة، لدرجة أنهم حينما قسَّموا كل العمل المطلوب بناؤه فيما بينهم، لم يكن فقط كل فيلق يتنافس مع الفيلق الآخر، بل كانت التقسيمات الأصغر فى الجيش تتنافس هى أيضا. إلى الحد الذى كان كل جندى طموح فى أن يَسُّر قائد العشرة، وقائد كل عشرة قائد كل مائة، وقائد المائة التريبيون، ويطمح التريبيون فى أن يَسُّر القائد الأعلى. ولاحظ القيصر نفسه ذلك، فكافأ هذا التنافس بين القواد، لأنه كان يطوف حول الأعمال مرات عديدة كل يوم ويُشاهِد ما يتم عمله. وقد بدأ تيطس السور من معسكر الاشوريين حيث كان معسكره منصوبا، ونزل به إلى الأجزاء السفلى لسينوبوليس Cenopolis. ومن هناك مرَّ بوادى قدرون إلى جبل الزيتون، وعندئذ انحرف إلى الجنوب وطوق الجبل حتى الصخرة التى تُدعَى بريستريون Peristereon وذلك التل الآخر الذى يقع بعدها والذى هو فوق الوادى الموَّصِل إلى سلوام، ومن

هناك يميل مرة أخرى إلى الغرب، وينزل مرة أخرى إلى الينبوع، ومن ورائه يصعد مرة أخرى عند خرائب "أنانوس"[= حنانيا] رئيس الكهنة ويطوف الجبل الذى نصب فيه بومبى معسكره قبلا، ثم يرجع إلى الجانب الشمالى للمدينة، ويستمر إلى قرية معينة تُسَمَّى "بيت اريبنثى" Erebinthi، وبعدها طوَّق خرائب هيرودس، ومن هناك يتصل شرقا بمعسكر تيطس من حيث بدأ.

وكان طول هذا السور أربعين غلوة إلا واحدة فقط. وفى هذا السور، أُقيمت فيه من الخارج ثلاثة عشر حامية كان محيطها معا نحو عشرة غلوات. وقد تم كل شىءٍ فى ثلاثة أيام. لدرجة أن ما كان يستلزم عمله طبيعيا بضعة أشهر عُمِل فى وقت قصير لا يُصدَّق.

وعندما طوَّق تيطس المدينة بسوره، ووضع الحاميات فى أماكنها المناسبة، أخذ يطوف حول السور فى الهزيع الأول من الليل، ويُراقِب كيف كان الحراس يحفظونه، وفى الهزيع الثانى أناب الكسندر، ثم قواد الفيالق فى الهزيع الثالث. وقد ألقوا قرعة فيما بينهم على مَن سيراقب فى وقت الليل ومَن يراقب طوال الليل المسافات التى بين الحاميات.

(٣/١٢/٥) عندئذ انقطع كل أملٍ لليهود فى الهروب، وكذلك فى حرية خروجهم من المدينة. واتسع عندئذ نطاق المجاعة والتهمت الشعب بكل بيوته وعائلاته، وامتلأت الغرف العليا بالأطفال والنساء الذين كانوا يموتون من المجاعة، وامتلأت أزقة المدينة بجثث الموتى من المسنين. وكان الأطفال والشباب معا يتجولون فى الأسواق وكلهم متورمون من المجاعة، وكانوا يسقطون أمواتا حيثما يباغتهم قدرهم. وبالنسبة لدفنهم، كان أولئك الذين كانوا مرضى لا يقدرون على ذلك، وأولئك الذين كانوا أصحاء وبعافية أحجموا عن ذلك بسبب الكم المهول من الجثث، ولعدم تيقنهم من مصيرهم هم أنفسهم، وأنهم سيموتون عاجلا. لأن كثيرين

كانوا يموتون وهم يدفنون الآخرين. وآخرون ذهبوا إلى لحدهم حتى قبل أن تأتى ساعة قدرهم. ولم تكن هناك أية مناحة على هذه البلايا، ولم تُسمَع آهات النواح، بل أخمدت المجاعة كل المشاعر الطبيعية. لأن أولئك الذين كانوا على وشك الموت كانوا ينظرون إلى الذين استراحوا قبلهم بعيون الحسرة وبأفواهٍ فاغرة. وغمر المدينة صمتُ رهيب ونوع من الليل المُدلهَم، بينما كان اللصوص، مع ذلك، أشد رعبا من هذه الأهوال، فقد كانوا يقتحمون المنازل التى لم تكن أكثر من قبور للجثث، وينهبونها ويسلبون حتى ما يُغطى الأجساد، وينصرفون ضاحكين وهم يجربون سيوفهم فى الجثث لكى يختبروا من اى نوع من المعدن كانت مصنوعة منه، وكانوا يغرزونها حتى فى أولئك المطروحين على الارض ومازالوا أحياء. وكان أولئك الذين يتضرعون إليهم أن يمنحوهم يمينهم وسيفهم يفخرون جدا إن منحوهم طلبهم وتركوهم يهلكون بالمجاعة. ومات كل واحد من أولئك وعيناه شاخصتان إلى الهيكل مخلفا وراءه مثيرى الفتن أحياءً. وكان مثيرو الفتن قد أمروا أولا بدفن الجثث من الخزانة العامة حيث لم يحتملوا نتانة الجثث، ولكن فيما بعد عندما عجزوا عن فِعل ذلك كانوا يُلقونها من الأسوار إلى اسفل الوديان.

(٤/١٢/٥) ومع ذلك، عندما كان تيطس يدور حول الوديان فى بعض الايام ورآها مملوءة من الجثث، والعفن الشديد ينبعث منها، تأوه وبسط يديه نحو السماء داعيا الله أن يشهد أن هذا ليس منه. وهذه هى الحالة المحزنة التى كانت عليها المدينة. ولكن الرومان كانوا مسرورين جدا حيث أن مثيرى الفتن لم يَعُد يمكنهم القيام الآن بشن أية هجمات خارج المدينة، لأنهم كانوا هم أنفسهم قنوطين، وكانت المجاعة قد مستهم بالفعل. وبالإضافة إلى ذلك، كان لدى الرومان وفرة من الحنطة والضروريات الأخرى من سوريا ومن المقاطعات المجاورة. وكان كثيرون منهم يقفون بالقرب من السور ويُظهِرون للناس عِظم كميات هذه المؤن التى لديهم، وبالتالى

جعلوا العدو – بهذه الوفرة حتى التخمة التى لديهم- أكثر حساسية بالمجاعة. ومع ذلك، لم يُظهِر مثيرو الفتن أدنى ميل للتسليم. لذلك بدأ تيطس - رثاء منه للباقين من الشعب، وبسبب رغبته المخلِصة فى انقاذ مَن بقى من أولئك البؤساء- فى نصب صقالات أخرى على الرغم من صعوبة توفر المواد، لأن كل الأشجار التى كانت حول المدينة كانت قد قُطِعَت لعمل الصقالات السابقة. ومع ذلك جلب الجنود هذه المواد من على مسافة تبعد تسعين غلوة، وأقاموا الصقالات فى الجهات الأربع أعظم مما كانت سابقا، على الرغم من أن ذلك قد عُمِل فقط أمام برج انطونيا. وأخذ قيصر يطوف بين فيالقه ويُعجلهم على العمل، ويُظهِر للصوص أنهم الآن فى قبضة يديه.

ولكن أولئك الرجال، أولئك فقط، كانوا غير قادرين على الندم عن شرورهم التى أذنبوا بها، وأن يفصلوا نفوسهم عن اجسادهم التى استخدموها معا كما لو كانت تخص غيرهم وليس انفسهم. لأنه لا عاطفة طيبة استاطعت أن تلمس نفوسهم، ولا أى شعور مؤلم استطاع أن يؤثر على أجسادهم حيث كانوا ما زالوا قادرين على تمزيق جثث الشعب مثلما تفعل الكلاب، وملأ السجون بالمرضى.

الكتاب الخامس: الفصل الثالث عشر

[المذبحة العظيمة فى اورشليم، وتدنيس المقدسات]

(١/١٣/٥) لم يكن سيمون بالطبع ليترك متياس يستولى على المدينة بوسائله الخاصة بدون تعذيب. ومتياس هذا كان ابنا لبوثس Boethus، وكان واحدا من رؤساء الكهنة، وأمينا جدا للشعب، ومعتبرا جدا منهم. هذا أقنع الشعب عندما وجدهم محصورين جدا من الغيورين الذين كان يوحنا معدودا منهم، بأن يسمحوا لسيمون بالقدوم ليُساعدهم، دون أن يضع هو أية شروط أو يتوقع أى شر منه. ولكن عندما دخل سيمون واستولى على المدينة، حسب أنه[أى متياس](٤٢) قد نصحهم بقبول عدو مساوى للباقين، ونظر إلى هذه النصيحة كشىء من سذاجته فقط. لذلك أحضره [سيمون] (٤٢) وحكم عليه بالموت، باعتبار أنه فى جانب الرومان، دون إعطائه أى رخصة للدفاع. وحكَم بالموت أيضا على أبنائه الثلاثة لأن الإبن الرابع كان قد انفلت وهرب منه إلى تيطس من قبل. وعندما توسل إليه أن يُقتَل هو قبل أبنائه، وطلب ذلك كمعروف مقابل أنه فتح أبواب المدينة أمامه [أى أمام سيمون](٤٢)، أمر بقتله آخر الكل جميعا. لذلك لم يُقتل حتى رأى جميع أبنائه يُقتلون أمام عينيه. وقد نفذوا ذلك أمام الرومان. فقد أسند سيمون هذه المهمة إلى ارتانوس ابن بامادوس الذى كان أكثر بربرية من جميع حرسه. فأخذ يهزأ بهم، ويقول لهم لنرَ ما إذا كان أولئك الذين قصدوا الذهاب إليهم سيُرسِلون مددا لهم أم لا. بل وأكثر من ذلك منع دفن أجسادهم. وبعد هذه المذبحة، قُتِل أيضا كاهن معين يُدعَى انانياس بن ماسامبالوس وهو شخص وقور، ومعه أيضا ارسيتنوس من كتبة السنهدريم ومولود فى عمواس ومعهما خمسة عشر رجلا من المعتبرين فى الشعب. ووضعوا أيضا والد يوسفوس فى السجن. وأذاعوا بيانا عاما بألا يتكلم أى انسان مهما كان فى سره، أو مع

رفقائه خوفا من خيانتهم. وقتلوا أيضا أولئك الذين ناحوا على أولئك الرجال، بدون أى فحص.

(٢/١٣/٥) وعندما جاء يهوذا بن يهوذا، الذى كان واحدا من ضباط سيمون وشخص موضع ثقته للمحافظة على أحد الأبراج، ورأى سلوك سيمون هذا، استدعى العشرة الذين كانوا معه والذين كانوا أكثر إخلاصا له، وخاطبهم هكذا: "إلى متى سنتحمل هذه المصائب؟. أو أى رجاء لنا فى النجاة، مع استمرار وفائنا لشقى شرير مثل هذا؟. أليست المجاعة قد أتت ضدنا؟. ألم يدخل الرومان إلى داخل المدينة؟. ألم يصبح سيمون غير مخلص لأوفيائه؟. أليس هناك أى سبب للخوف من أن يجلب علينا حالا مثل هذه العقوبة، بينما أمان الرومان المعروض علينا مضمون؟. هيا بنا نُسَلِّم هذا السور، وننقذ أنفسنا والمدينة. ألن يتضرر سيمون سريعا، فقد يأس الآن من النجاة، وسيُطلَب للعدالة حالا بأسرع مما يظن". (ربما فعل ذلك جزئيا بسبب الشفقة على أولئك الذين قُتِلوا ببربرية، ولكن أساسا ليوفر لنفسه الآمان). فاقتنع أولئك الرجال العشرة بهذه الحجج . فأرسل بعضا ممن تحت إمرته إلى طريق ما، والبعض إلى طريق آخر، حتى لا ينكشف ما عزموا عليه. وبناء عليه بدأ ينادى على الرومان من البرج فى نحو الساعة الثالثة[٥٧]. ولكن البعض منهم [أى من الرومان][٤٢] نتيجة كبرياء احتقروا ما قاله، والبعض الآخر لم يُصدِق انه جاد[٥٨]، بينما أجَّل العدد الأكبر الموضوع معتقدين أنهم سيستولون على المدينة فى زمن قصير دون أية مجازفة.[٥٩] ولكن عندما كان تيطس يمر توا هناك مع بعض الرجال

---

٥٧ - طبعا بالتوقيت الشرقى، أى التاسعة صباحا بتوقيتنا الحالى.

٥٨- كلاهما معذور بعدما حدث لهم من خداع أكثر من مرة، فكان عليهم بالطبع أن يتسجسوا ويتشككوا فى أية محاولة بعد ذلك.

٥٩ - المفروض أنهم يبلغون سريعا القادة بأية رسالة أولا بأول، وأولئك يُبلغون القيصر. ولكن لأن الله كان له قصد آخر، لم يقم الجنود بهذا.

المسلَّحين، ألَمَّ سيمون بالأمر قبل وقوعه، فوضع يده في الحال على البرج قبل أن يستسلم، وقبض على أولئك الرجال وقتلهم أمام مرأى الرومان أنفسهم. وعندما مثَّل بجثثهم ألقاها اسفل سور المدينة.

(٣/١٣/٥) وفى نفس الوقت بينما كان يوسفوس يطوف حول المدينة، جُرِحَت رأسه بحجر اُلقِىّ عليه، وسقط على إثره مغشيا عليه. وعندئذ قام اليهود بهجوم، وأرادوا نقله بسرعة إلى داخل المدينة، لولا أن قيصر كان قد أرسل حالا رجالا لحمايته. وبينما كان أولئك الرجال يتقاتلون، تم نقل يوسفوس على الرغم من أنه قد سمع قليلا مما حدث.

وهكذا ظن مثيرو الفتن أنهم قد قتلوا ذاك الرجل الذى كانوا يتوقون جدا إلى قتله، فأثاروا ضجة عظيمة كنوع من الابتهاج. وترددت هذه الحادثة فى المدينة، وقنطت الجماهير من هذا الخبر، فقد اقتنعت بأنه مات حقيقة، والذى بسببه فقط كانوا يجرأون على الفرار إلى الرومان. ولكن، عندما سمعت أم يوسفوس وهى فى السجن أن ابنها قد مات، قالت لأولئك الذين يحرسونها "أنها كانت دائما تفكر منذ حصار يوتاباتا Jotapata [أنه قد قُتِل](٤٢)، لأنه ليست لها متعة بحياته بعد". وصنعت مناحة عظيمة بصفة خاصة مع الإماء اللواتى كن معها، وقالت" أية ميزة لها من إنجاب شخص غير عادى للعالَم مثل هذا الإبن الذى كانت تتوقع أن يدفنها هو، وهاهى تعجز عن دفنه هو".

ومع ذلك فإن هذا الخبر الزائف لم يُوجع أمه، ولم يدع اللصوص يمرحون طويلا، لأن يوسفوس سرعان ما شُفِىَّ حالا من جُرحِه، وخرج وصاح عاليا: "لن يمض وقت طويل حتى يُعاقبوا على هذا الجُرح الذى ألحقوه به". وأخذ يحثهم من جديد على الخروج بناءً على الأمان المُعطَى لهم. وكان منظر يوسفوس هذا مُشَجِعا للشعب بشدة، وجلب ذعرًا شديدا على مثيرى الفتن.

(٤/١٣/٥) بعد هذا قفز بعض الهاربين إلى اسفل فى الحال، ولم تكن لهم طريقة أخرى. بينما خرج آخرون [وراءهم] بالحجارة كما لو كانوا سيقاتلونهم، ولكن عند ذاك هربوا إلى الرومان. ولكن مصيرا سيئا قد صاحبهم أكثر مما وجدوا داخل المدينة. فقد لاقوا قتلا أسرع مما كانت ستفعله المجاعة باليهود، وذلك بسبب الوفرة العظيمة التى كانت لدى الرومان. لأنهم عندما جاءوا إلى الرومان كانوا منتفخين ويلهثون مثل رجال مصابون بالاستقساء، وفجأة اُتخِمت جميع هذه الاجساد التى كانت خاوية من قبل فانفجرت. فيما عدا أولئك الذين كانوا مهرة وامسكوا شهيتهم، وأخذوا يأكلون طعامهم تدريجيا ليُعَوِّدوا أجسادهم [على الطعام ثانية][٤٢].

ولكن ضربة أخرى حلت بأولئك الذين بقوا. فلقد وُجِد بين السوريين الهاربين شخص ما اُمسِك وهو يلتقط قطعا من الذهب من برازه، لأن الهاربين كانوا، كما قلنا قبلا، معتادين على ابتلاع قطع من الذهب عندما يخرجون حتى لا يُفتشهم مثيرو الفتن، لأنه كانت هناك كمية كبيرة من الذهب فى المدينة، لدرجة أن قطعة الذهب كانت تُستَبدَل [فى معسكر الرومان] بإثنى عشر أتك Attic[٦٠] بينما كانت تُباع قبلا بخمسة وعشرين. ولكن عندما اُكتُشِف الأمر فى هذه الحالة، وانتشر الخبر فى سائر المعسكرات أن الهاربين قد أتوا مملوئين من الذهب، قطع جمهور العرب والسوريين رقاب أولئك الذين جاءوا متضرعين، وفتشوا بطونهم. ولا يبدو لى أن بؤسا قد حل باليهود أكثر رعبا من ذلك، ففى ليلة واحدة هلَك نحو ألفين من الفارين.

(٥/١٣/٥) ولكن لما عَلِم تيطس بهذه العادة الشريرة، أراد أن يُطوِّق أولئك المذنبين بفرسه ويقتلهم. وكان سيفعل ذلك لولا أن عددهم كان كبيرا جدا، وكان أولئك الذين سيتعرضون لهذه العقوبة أضعاف أضعاف الذين قتلوهم. ومع ذلك،

---

٦٠ - يقول المترجم الانجليزى أنها ربما تكون الدراخما. وهذا مرجح لأن الدراخما، كما هو معروف، هى عملة اليونان تاريخيا قبل انضمامها لمنطقة اليورو. ومن كلمة دراخما، اُشتُقَت الكلمة درهم.

استدعى قواد الفيالق معا (لأن بعضا من جنوده أيضا كانوا مذنبين، حسبما أُعلِم) ونقم عليهم بشدة قائلا: "ماذا، هل فعل أىٌّ من جنودى مثل هذا الأمر على أمل مكسب غير أكيد دون اعتبار لأسلحتهم المصنوعة من الذهب والفضة؟. وأكثر من ذلك، هل السوريون والعرب يحكمون أنفسهم كما يريدون، فيُشبعون فى الحرب الأجنبية - شهيتهم البربرية فى قتل البشر وكراهيتهم لليهود، فيُنسَب ذلك إلى الرومان لأن بعضا من جنودى اشترك فى السلوك المشين". وهدد تبطس عندئذ بأنه سيحكُم على مثل أولئك الرجال بالموت متى اُكتُشِف أنه يقوم بمثل هذا العمل مرة أخرى. وأكثر من ذلك، كلَّف الفيالق أن يُجروا تفتيشا عمن هو مشكوك فيه ويُحضروه إليه.

ولكن، تبين أن محبة النقود شديدة جدا إزاء كل العقوبات المخيفة، وأن الشهوة الجامحة للمكسب هى طبيعة البشر. وليس هناك وجع أكثر جرأة من الطمع. وأن هذه الأوجاع[٦١] ربما فى الأوقات الأخرى لها قيود معينة وتخضع للخوف، ولكن فى الحقيقة كان الله هو الذى أدان كل الأمة، وقلب كل شىء كان يُعمَل للحفاظ عليها إلى هلاكها. لذلك هذا الذى كان ممنوعا بهذا التهديد من قيصر، كان يتم بجرأة ضد الفارين سرا . فكان أولئك البرابرة[٦٢] ما زالوا يخرجون ويلاقون أولئك الذين يركضون قبل أن يراهم احد ويفتشون عما اذا كان أحد من الرومان يتجسس عليهم، وعندئذ يُهلِكونهم ويستخرجون من احشائهم هذه الأموال النجسة. تلك الأموال التى كانت ما تزال توجد فى قلة منهم. بينما كان يهلك مع ذلك كثيرون لمجرد الأمل الكاذب دون الحصول على شىء منهم. مثل هذه المعاملة البائسة جعلت كثيرين من الفارين يرجعون مرة أخرى. إلى المدينة.

---

٦١ - أنظر الأهواء الثمانية لكاسيان، فى كتاب الأنظمة لكاسيان، للمعرب

٦٢ - أى غير الرومان من القوات المساعدة التى جاءت من المقاطعات المختلفة لدعم الجيش الرومانى.

(٦/١٣/٥) ولكن بالنسبة ليوحنا، عندما لم يستطع سلب الناس، لجأ إلى تدنيس المُقَّدَسات بنفسه، فأذاب كثيرا من الأوعية المُقَّدَسة التى أُعطِيَّت للهيكل مثل أشياء أخرى كثيرة كانت لازمة للخدمة كأشياء مُقدَّسة، والأطباق والصحون والخلاقين[٦٣]. بل لم يُحجم عن حتى عن أوانى السكب التى أُرسِلت إليهم من اوغسطس وزوجته. لأن الأباطرة الرومان كانوا يُكرِّمون ويُزينون الهيكل، بينما هذا الرجل الذى كان يهوديا[٦٤]، كان يستولى على عطايا الأجانب ويقول لِمَن كانوا حوله أنه من اللائق لهم وهم يقاتلون عن المُقَّدَسات، استخدام الأشياء المُقَّدَسة بدون خوف. وأن هذه الحرب هى من أجل الهيكل، ومن ثم يجب أن يحيوا من الهيكل[٦٥]. وبناءً عليه، أفرغ الأوانى من النبيذ المُقَّدَس ووزعه على الجمهور وسمح لهم أن يشربوه. وكذلك [أفرغ الأوانى] [٤٢] من الزيت الذى كان الكهنة يحفظونه ليسكبوه على المحرقات والذى كان موضوعا فى الدار الداخلية. وهنا لا يسعنى إلا أن أقول رأيى، وما تمليه علىَّ مشاعرى وهو هذا: أظن أنه لو كان الرومان قد أبطأوا أكثر من ذلك فى الهجوم على أولئك الأوغاد، لكانت المدينة قد أُبتُلِعَت بأن تفتح الأرض فاهها عليهم، أو أن تغمرها المياه، أو أن تهلك بالرعد مثل أرض سدوم لأنها أنجبت جيلا من البشر أكثر إلحادا مما كان عليه أولئك الذين عانوا مثل هذه العقوبات لأنهم بجنونهم أورَدوا جميع الناس إلى الهلاك.

---

٦٣ - جمع خلقين، أى وعاء للطهى.

٦٤ - "كان يهوديا" وبالطبع "مات يهوديا". بالطبع يكتب يوسفوس تاريخه هذا بعد انقضاء مدة ما من الزمن على الأحداث، لذلك يستخدم زمن الماضى "كان" و"كانوا".

٦٥- نلاحظ هنا الطبيعة البشرية وكيف أنها هى هى فى كافة الأديان، فتستطيع أن تُحرف مضمون أى نص دينى وتفسره حسب هواها الخاص. فمنذ أن قالت الحية لأمنا حواء "أحقا قال لكما الرب...؟" والإنسان الساقط يُؤوِل كل نص حسبما يُريد. ويُعوزنى الوقت لإيراد أمثلة تاريخية وواقعية وملموسة لذلك فى المسيحية والإسلام- وها قد رأينا هنا فى المتن ما قاله يوحنا اليهودى اعتمادا عى ما ورد فى أسفار العهد القديم العبرانية. بل أيضا فى المعتقدات الينية غير السماوية. وأيضا فى كتابات الفلاسفة. انظر عن ذلك بالتفصيل مذكرات غير مطبوعة لأحد رهبان الاسقيط بعنوان "الفكر البشرى الدينى فى مواجهة الحق الإلهى المسيحى".

(٧/١٣/٥) حقا، لماذا أروى هذه المحن بالتفصيل، بينما مانوس Manneus ابن اليعازر أتى راكضا إلى تيطس فى نفس ذلك الوقت وأخبره أنه تم حمل ما لا يقل عن ١١٥٨٨٠ جثة من بوابة واحدة (وكان مُكلفا بالاعتناء بها)، فى المدة ما بين اليوم الرابع عشر من شهر اكزنتيكس Xanthieus [نيسان][٦٦] عندما نصب الرومان معسكرهم إلى جانب المدينة واليوم الأول من شهر بانيمس Panemus [تموز][٦٧]. وكان هذا العدد ذاته مهولا، على الرغم من أن هذا الرجل لم يُكَلَّف أن يكون هو نفسه حاكما على البوابة، ولكنه كان مُعَيَّنا ليدفع للعامة راتبا لحمل هذه الجثث إلى الخارج، ولهذا كان مضطرا بالضرورة إلى عدِّهم. بينما كان الآخرون يُدفنون بواسطة أقاربهم. وعلى الرغم من ذلك، كان كل دفنهم هو إحضارِهم إلى الخارج وإلقائهم خارج المدينة.

وبعد هذا الرجل، ركض إلى تيطس كثيرون من المواطنين المعتبرين وأخبروه بالعدد الكلى للمساكين الذين ماتوا، وأنه ليس أقل من ٦٠٠ ألف قد أُلقِىَّ خارج المدينة. بينما ظل العدد الباقى غير معلوم. وقالوا له أكثر من ذلك أنه عندما لم يعودوا قادرين على حمل جثث الفقراء كدسوها فى أكوام فى المنازل الفسيحة وأغلقوا عليها. وأن "المديمنوس" medimnus[٦٨] من القمح كان أيضا يُباع بوزنة. وأنه بعدما لم يعد ممكنا جمع الأعشاب بسبب تسوير المدينة كلها، كان بعض الأشخاص- مدفوعين بالمحنة المرعبة – يفتشون فى المزابل العامة وروث البهائم ويأكلون ما يجدونه هناك. وما كان المسنون لا يحتملون رؤيته، صار الآن طعاما معتادًا. وعندما سمع الرومان كل هذا بجلاء، رثوا لحالتهم. بينما مثيرو الفتن الذين

٦٦- ١ مايو.

٦٧ - يوليو٢٠.

٦٨ - هو أصغر كيل للحبوب.

رأوها أيضا، لم يتوبوا، بل عانوا من نفس المحنة الآتية عليهم، لأنهم كانوا عميانا عن قدرهم الذى كان بالفعل آتيا عليهم هم أنفسهم، وعلى المدينة.

الكتاب السادس

[وهو يشتمل على مدة شهر واحد. من الخطر العظيم إلى الحد الذى وصل فيه اليهود إلى أقل عدد. ثم إلى أخذ تيطس لأورشليم]

الكتاب السادس: الفصل الأول

[نمو بؤس اليهود إلى الأردأ. كيف شن الرومان هجوما على برج انطونيا]

(٦/١/١) هكذا كان بؤس اسرائيل ينمو كل يوم إلى أسوأ وأسوأ. وكان مثيرو الفتن مازالوا فى حالة هياج أكثر بسبب النكبات التى كانوا تحتها، بينما كانت المجاعة تنهكهم بعد أن انهكت الشعب. وفى الحقيقة، كان منظر الجثث المُكدَّسة فى أكوام فوق بعضها بعضا فظيعا، وأدى إلى انتشار الأوبئة التى كانت عقبة فى سبيل شن هجمات خارج المدينة، وقتال العدو لأنه كان عليهم أن يطأوا على الجثث ويسيرون كما لو كانوا فى ميدان قِتال امتلأ بربوات القتلى. ومع ذلك لم يرتعبوا، ولم يحسبوا هذه الإهانة المُقدَّمة للجثث كفألٍ سيء لأنفسهم. ولكن كما أن أياديهم كانت قد تدنست بقتل بنى جنسهم وركضوا وهم فى هذه الحالة لقتال الأجانب، فقد بدوا لى أنهم يُلقون باللوم على الله نفسه[٦٩] كما ولو كان بطيئا جدا فى معاقبته لهم، لأن الحرب لم تكن مستمرة معهم كما ولو كان لهم أمل فى الانتصار. ولكن [أولئك] الرجال ازدادوا جرأة بسبب اليأس فى النجاة[٧٠].

والآن، أقام الرومان - على الرغم من أنهم كانوا فى ضيقة شديدة بسبب الحاجة إلى المواد بعد أن قطعوا كل الأشجار التى حول المدينة والى مسافة تسعين غلوة حواليها، كما رويت قبلا - الصقالات فى واحد وعشرين يوما. وفى الحقيقة، كان منظر الأرض ذاتها شيئا باعثا على فقدان العقل، لأن تلك الأماكن التى كانت مزينة من قبل بالاشجار والبساتين صارت الآن أرضا قفرة من كل جانب، وقُطِعَت أشجارها كلها. ولا

---

٦٩ - كما كان هكذا يكون. فمنذ آدم أبينا وحتى انقضاء الدهور، والإنسان فى كل زمان يبحث دوما عن شماعةٍ يُعلق عليها خطاياه، وعندما لا يجدها لا يخجل من أن يجعل الله نفسه جلَّ جلاله هو تلك "الشماعة". ألست أنتَ يا الله، الذى اعطيتنى هذه المرأة!!.

٧٠ - يقول أحد المتأملين أن الإنسان متى يأس ممكن يعمل أى شيء. ممكن يَفجُر.

يستطيع أى أجنبى رأى اليهودية من قبل وعاين ضواحيها الجميلة، إلا أن يولول حزنا على هذا التغير المهول، لأن الحرب تركت كل علامات الجمال صفصافا. ولا يمكن لأىِ واحد عرف المكان من قبل، وحضر إليه فجأة الآن أن يعرفه مرة أخرى على الرغم من أنه فى المدينة ذاتها، بل إنه سيبتعد عنها لأنها ليست هى.

(٢/١/٦) وانتهت الصقالات التى كانت رعبا لكلٍ من الرومان واليهود. فاليهود توقعوا أن المدينة ستُؤخذ ما لم يستطيعوا حرق هذه الصقالات. وللرومان، لأنهم توقعوا أنه إذا حرقها اليهود مرة أخرى فلن يكون فى إمكانهم أخذ [المدينة][٤٢]. لأنه كانت هناك ندرة هائلة فى المواد، وكانت أجساد الجنود قد بدأت تُنهَك بسبب هذه الأعمال الشاقة، كما بدأت النفوس تخور بسبب مرات الإخفاق العديدة. بل إن هذه النكبات ذاتها التى كانت فى نفس المدينة كانت سببا أعظم لتثبيط الهمة للرومان أكثر من أولئك الذين كانوا فى داخل المدينة لأنهم وجدوا أن المقاتلين اليهود لم توهنهم هذه الأوجاع على الاطلاق. بينما يقل أملهم هم فى النجاح أكثر وأكثر منذ أن اُسلِمت صقالاتهم لخداع العدو، وآلاتهم لثبات السور، وقتالهم لجرأة هجماتهم. وما كان مُثبِطا لشجاعتهم بالأكثر هو أنهم وجدوا شجاعة نفوس اليهود أقوى من النكبات التى يرزحون تحتها، ومن الفتن، ومن المجاعة، ومن الحرب نفسها، لدرجة أنهم كانوا مستعدين أن يتخيلوا أن عنف هجماتهم لا تُقهَر، وأن الرشاقة التى أبدوها لن تُثبطها الكوارث. لأنه ماذا يُمكن عمله مع أولئك الذين حوَّل حظهم سوء طالعهم إلى تحسين لبسالتهم. هذه الاعتبارات جعلت الرومان يضعون على ضفاتهم حراسة أقوى مما كانت عليه قبلا.

(٣/١/٦) وأخذ يوحنا وحزبه فى انطونيا حذرهم لتأمين أنفسهم فيما بعد فى حالة سقوط هذا السور، فبدأوا فى عملهم. ومع ذلك، لم يَعُق ما عزموا علي فعله، إحضار آلات الكباش الضاربة إلى أمامهم. فما ان خرجوا حاملين مشاعلهم[٧١] حتى رجعوا قانطين قبل أن يقتربوا من هذه الصقالات، وذلك للأسباب الآتية: أنه فى المقام الأول، لم يبدو مسلكهم شبه جماعى، ولكنهم خرجوا فى ربوات متفرقة وأزمنة مختلفة، وعلى نحو بطىء وبجبن. وفى كلمة، بدون شجاعة يهودية، لأنه كان يُعوزهم الآن ما هو مميز لأمتنا آلا وهو الجرأة، وعنف الهجوم، والانقضاض على العدو معا، والمثابرة فيما خرجوا إليه. وعلى الرغم من أنهم لم ينجحوا أولا، لكنهم خرجوا الآن فى فتور همة أكثر من المعتاد، وفى نفس الوقت وجدوا الرومان مصطفين فى حالة حرب، وأكثر شجاعة من المعتاد وأنهم يحرسون صقالاتهم بأجسادهم وأسلحتهم بالكامل معا. وهذه الحالة كانت من كل جانب، حتى أنهم لم يَدَعُوا مكانا لأن تجتاز النار بينهم منه. وأن كل نفْسٍ منهم [أى من الرومان][٤٢] كانت فى شجاعة طيبة، حتى أنهم كانوا على استعداد لأن يموتوا أسرع من أن يهربوا من صفوفهم. لأنه إلى جانب فكرتهم فى أن كل رجائهم سينقطع فى حالة حرق هذه الأعمال، فإن الجنود كانوا خجولين بشدة أكثر من أن يكون حذق اليهود أقوى من الشجاعة، والجنون [أقوى][٤٢] من السلاح، والدهماء [أقوى][٤٢] من المهارة، واليهود [أقوى][٤٢] من الرومان. وكان للرومان الآن ميزة أخرى وهى أن آلاتهم التى للحصار تعاونت معهم فى إلقاء السهام والحجارة على اليهود حتى عند خروجهم من المدينة، حيث يُصبح الرجل الذى يسقط عائقا لمن بعده. كما أن خطر الذهاب أبعد جعلهم أقل غيرة فى محاولاتهم. وأولئك الذين كانوا يهرولون من السهام، كان بعضهم يرتعد من حُسن التنظيم واقتراب صفوف الأعداء حتى قبل أن يأتوا إلى القتال المتلاحم. وبعضهم

---

٧١ - بقصد إحراق الالات.

كانوا ينغرسون فى رماحهم، ويعودون مرة أخرى مؤنبين بعضهم بعضا على جبنهم ويوَّلون الإدبار دون عمل اى شىء. وقد حدث هذا الهجوم فى اليوم الأول لشهر بانيمس Panemus (تموز)[٧٢] ولهذا عندما تقهقر اليهود، أحضر الرومان آلاتهم على الرغم من أن الحجارة كانت تُلقَى عليهم من برج انطونيا، وكانوا يُهاجَمون بالسيوف والنيران وكل انواع السهام التى زودت الضرورة اليهودَ بكيفية استخدامها. وعلى الرغم من أن هذه الأشياء كانت تعتمد أكثر على إرادتهم وعلى منافسة الآلات الرومانية، إلا أنها أعاقت الرومان فى إحضارهم لآلاتهم. وقاوم الرومان بشدة على العكس من ذلك، ليُحضروها كما لو كانت غيرة اليهود هذه، هى فى تجنب أى ضغط على برج انطونيا لأن أسواره كانت ضعيفة وأساسه كان هشا. ومع ذلك لم يستسلم ذلك البرج لضربات هذه الآلات. ولكن الرومان تحملوا ضغط سهام الأعداء التى كانت تُلقَى باستمرار عليهم، ولم يَدَعوا للخطر مكانا أن يأتى عليهم من فوق. وهكذا أحضروا آلاتهم للعمل ولكن بمشقة عظيمة من الحجارة التى كانت تُلقَى عليهم. وجُرِح البعض وانهزموا، وألقى آخرون دروعهم على أجسادهم وعلى أياديهم محاولين زعزعة الأساسات حتى أزالوا بمشقة عظيمة أربعة من حجارته. وحينئذ أوقف الليل كلا الجانبين. ومع ذلك فى تلك الليلة كان السور قد تزعزع من آلات الكباش الضاربة فى ذلك المكان الذى كان فيه يوحنا معتادا على حيله من قبل وتقويض الصقالات، ذلك أن الأرض انهارت وسقط السور بغتة.

---

٧٢ - ٢٠ يوليو.

(٤/١/٦) وعندما حدثت هذه الحادثة غير المتوقعة، تأثرت عقول كلا الطرفين تأثرًا متباينا. لأن البعض كان يتوقع أن اليهود قد يقنوطون لسقوط سورهم هذا غير المتوقع لهم، ولن يقوموا بشىء فى هذه الحالة. إلا انهم مع ذلك استردوا شجاعتهم لأن برج انطونيا نفسه كان مازال قائما. كذلك الفرح غير المتوقع للرومان بسقوط هذا السور سرعان ما تلاشى عندما رأوا أن سورا آخر قد بناه يوحنا وحزبه من الداخل. ومع ذلك فإن الهجوم على هذا السور الثانى بدا لهم أسهل من الأول لأنه كان أكثر سهولة للحصول عليه من خلال أجزاء السور السابق الذى انهدم الآن. وهذا السور الجديد بدا أكثر ضعفا من البرج ذاته، وبالتالى تخيل الرومان أنه كما أنه قد بُنِىَّ فجأة فإنهم سيُسقطونه حالا. ولكن لم يجرأ أى واحد على الصعود الآن إلى ذلك السور، لأن مثل هذه الجرأة هى قتلٌ بالتأكيد.

(٥/١/٦) ونظرا لأن خفة ورشاقة الجنود فى الحرب إنما تحثها بصفة رئيسية الآمال والكلمات الطيبة، كما أن مثل هذه الوعود والحض تجعل الرجال غالبا ينسون المخاطر بل ويستهينون بالموت نفسه، فإن تيطس حاول أن يفعل ذلك مع رجاله فقال لهم: " أن أحض الرجال على فِعل ما هو ليس بخطرٍ لهو أمر غير مجيد للرجال الذين أحضهم. وحقا هو كذلك ذاك الذى يجعل الحض حجة لجُبنه أيضا. لذلك فإننى أظن أن مثل هذا الحض إنما يكون مفيدا فقط فى المشروعات الخطيرة لكى ما يَظهَروا أنهم جديرين بأن يُختَبروا من أى أحدٍ. وبالتالى فإننى أتفق معكم تماما فى الرأى أنها مهمة صعبة وهى صعود هذا السور. ولكن ما أود أن أُظهِره لكم هو أنه يليق ومن الجميل لأولئك الذين يرغبون فى السمعة لبسالتهم وكفاحهم ضد الصعوبات، الموت لأجل المجد وهنا تكون الشجاعة ضرورية، كما أن أولئك الذين يبدأون أولا المحاولة، لن يمضوا بلا جزاء. ولتكن حجتى الأولى لحثكم مما يمكن أن يعتبره البعض معقولا لإقناعكم، انى اعنى الصبر والمثابرة التى لأولئك اليهود حتى

مع فشلهم، وهذا غير حادث معكم أيها الرومان جنودى الذين تدربتم فى السِلم كيف تحاربون، وتعودتم أن تغلِبوا فى هذه الحروب. [فهل تُريدون][٤٢] أن تكونوا أقل من اليهود فى عمل اليدين أو فى شجاعة النفس وهذا بصفة خاصة عندما تكونون ظافرين ومُؤازَرين بالله نفسه. فإنه من ناحية سوء طالعنا فقد كان ذلك بسبب جنون اليهود، بينما كانت معاناتهم بسبب بسالتكم ومساعدة الله التى منحها لكم، لأن الفتن التى هم فيها والمجاعة التى هم فى ظلها، والحصار الذى يتحملوه، وسقوط أسوارهم بدون آلات ماذا يمكن أن تكون سوى أنها علامات لغضب الله عليهم ومساعدته لنا. لذلك لا يليق بكم أن تُظهِروا أنفسكم أدنى من اليهود الذين أنتم حقا سادتهم، أو أن تخونوا تلك المساعدة الإلهية التى منحها لكم. وفى الحقيقة، إنه لا يمكن أن يكون إلا أمرا وضيعا وتافها، أنه بينما أولئك الذين ليسوا فى حاجة إلى أن يخجلوا إذا ما انهزموا لأنهم اعتادوا طويلا أن يكونوا عبيدا للآخرين، أن يزدروا بالموت الذى لن يتأخر طويلا عليهم، وأن يشنوا الهجمات مرارا حتى إلى وسطنا ليس على أمل أن يغلبونا ولكن لمجرد استعراض شجاعتهم. بينما أنتم الذين استوليتُم على كل العالَم تقريبا إما برا وإما بحرا سيكون عارًا عظيما لكم إن لم تُقهِروهم، وإن لم تقوموا بهجوم علي أعدائنا حيث هناك خطر أكثر إذا ما لبثتم خاملين بهذه الأذرع الشجاعة التى لنا، وتنتظرون فقط أن تعمل المجاعة والحظ عملهما، وهذا بينما نملك من قوتنا وبقليل من المخاطرة أن نكسب كل ما نريد، لأنه إذا صعدنا هذا البرج ظفرنا بالمدينة لأنه إن كانت هناك أية فرصة للقتال ضد أولئك الذين فى داخل المدينة، وهو ما لا افترض أنه سيكون لأننا سنكون عندئذ عند قمة التل ونجلس فوق أنفاس العدو. وهذه المزايا تعدنا ليس بأقل من الظفر المؤكد وحالا. أما بالنسبة لى فإننى سأرجىء فى الوقت الحالى أية توصية بالنسبة لأولئك الذين يموتون فى الحرب، وألغى أى كلام عن خلود أولئك الذين يُقتَلون فى وسط المعارك الباسلة. ومع ذلك لا أستطيع أن أمتنع عن لعن أولئك الذين يموتون فى وقت السِلم، على عكس

النظام، بوسيلة أو بأخرى بينما تُدان نفوسهم بالقبور مع أجسادهم. لأنه مَن هناك لا يعرف أن نفوس الأبرار التى تنفصل من أجساهما اللحمية بالسيف فى المعارك تُستَقبَل فى الأثير الذى هو أنقى العناصر، وتُوضع بين النجوم لكى يُصبحوا آلهة طيبين وأبطال صفوحين، ويُهيِّؤوا أنفسهم هكذا لرخائهم فيما بعد؟. بينما تلك النفوس التى تكل مع أجسادها تأتى إلى ليل مدلهم وتتحلل إلى لا شىء، وتنمحى ذاكرتها. وهذا دون الأخذ فى الاعتبار التنقية من كل دنس العالَم، لدرجة أنه فى هذه الحالة تأتى النفس إلى النهاية القصوى لحياتها وجسدها وذاكرتها أيضا. ولكن، لمَّا كان القدر قد حتَّم أن يأتى الموتُ على كل البشر، وكان السيف هو ألطف أداة لهذا الغرض عن أى وبأ آخر أيا كان ، فإنه ليس بالأمر الزهيد لنا أن نرفض الإذعان للمنفعة العامة، وأن نستسلم للقدر.(٧٣) وهذا الكلام أقوله بإفتراض أن أولئك الذين سيحاولون أولا الصعود إلى هذا السور قد يتعرضون للقتل فى محاولتهم، مع أنه مازال لدى الرجال الشجعان الفرصة للهرب فى أكثر العمليات مجازفة. لأنه فى المقام الأول هذا الجزء من السور السابق الذى هُدِم بسهولة من السهل صعوده، وبالنسبة للسور المبنى حديثا من السهل تدميره. آلا يستجمع بعضكم شجاعته لذلك ويبدأ فى هذا العمل وتشجعون وتساعدون بعضكم بعضا، وعندئذ تُحطِم شجاعتكم حالا قلوب أعدائكم، وربما قد تتم عمليات مجيدة مثل عملياتكم بدون سفك دماء إذا ما

٧٣ - لقد وضع يوسفوس هذا الحديث على لسان تيطس الرومانى الجنس الوثنى العقيدى. وهنا كباحث أقول أنه من الممكن أن نفترض أنه إما إسقاط لاهوتي منه على فكر تيطس، وإما أن ذلك كان فعلا تفكير تيطس. وأريدُ أنا أن افترض هنا الفرض الثانى وأقول أن الانسان حتى فى وثنيته قد أخذ منذ زمن مبكر سابق للقرن السابع الميلادى بمفهوم نعت ذلك الذى يُقتَل فى الحرب "بالشهيد" بصورة أو أخرى. فالموت فى الحرب حتى إن كانت غزوا لبلاد الأخرين "عمل مجيد" وهو "من الله"، و"أجساد ونفوس" المقتولين ستهنأ فى القبور. كما نلاحظ أيضا أن تيطس – رغم وثنيته- يُكرر كلمة "الله" فى كل حديث له، ناسبا النُصرة إلى معونته. ألم يُؤنب من قبل الوثنيون فى المركب رجل الله يونان علي هروبه من "الله" وعدم خِشيته له؟. إذن – فى رأيى الخاص- التقوى الشخصية الفردية يمكن أن توجد لدى الآخرين، متى اقتربوا روحيا من معبودهم، بغض النظر عن حرفية النصوص الدينية التى يُؤمنون بها. وفى الواقع هذه الفقرات من خطاب تيطس تُتيح قدرًا معقولا لدارسى تاريخ الفكر البشرى الدينى للدرس والتأمل.

بدأت فقط. لأنه على الرغم من أنه من المفترض حقا أن اليهود سيُحاولون عرقلتكم عند بدئكم فى الصعود إليهم، إلا أنهم لن يكونوا قادرين على الصمود أمام جهودكم ضدهم متى أخفيتم أنفسكم منهم أو تطردونهم بالقوة. وليس أكثر من أن يمنعهم بعضكم ويصعدون فوق السور. أما بالنسبة لذلك الشخص الذى سيصعد أولا الى السور، فإننى سأحمَر خجلا إذا لم أجعله محل حسدٍ من الآخرين من جراء تلك المكافآت التى سأُسبغها عليه. والذى سينجو بحياته سيكون قائدا لمن هم أقرانه الآن. وأيضا مَن يموت فى محاولته سينال الشرف الجدير بالمحاكاة".

(٦/١/٦) وعقب هذا الخطاب، كان باقى الجمهور خائفا من عِظم المخاطرة. ولكن واحدا اسمه سابينوس Sabinus، جندى سورى المولد وخدم بين الكتائب، بدا ذا جَلَد عظيم فى العمل الذى عمله وفى شجاعته التى أظهرها معا. فعلى الرغم من أن أى واحد كان سيظن قبل أن يقوم بما عملَه بأنه ضعيف البنية وليس ملائما حتى لأن يكون جنديا عاديا، فقد كان لونه أسود وجسده نحيف ورفيع، ولكن كانت هناك نفس بطلٍ تسكن هذا الجسم الصغير. ذلك الجسم الذى كان حقا ضيقا جدا لتلك الشجاعة الفريدة التى كانت فيه. هذا كان أول مَن نهض وقال: "إننى على استعداد أن اُسلِّم نفسى لك يا قيصر. أنا أصعد أولا إلى السور، وأرغب من كل قلبى أن يتبع حظى شجاعتى وعزمى. وإذا ما جندل سوء الحظ نجاحى فى مهمتى، فلتُلاحِظ أن إخفاقى لن يكون غير متوقع بل أنا الذى اخترتُ الموت ِطواعية من أجلك".

وعندما قال هذا، بسط ترسه فوق رأسه بيده اليسرى، وجرَّد سيفه بيمناه، وسار صاعدا نحو السور فى حوالى الساعة السادسة من النهار[٧٤]. وتبعه أحد عشر جنديا آخرون، وليس أكثر من الذين عزموا أن يُحاكوه فى شجاعته، ولكن كان هو ما

---

٧٤ - بالتوقيت الشرقى، أى الثانية عشر ظهرا بتوقيتنا الحالى.

زال الشخص الرئيسى لهم جميعا، وذهب هو أولا مدفوعا بحمية مقدسة. وعندئذ ألقى عليهم الذين كانوا يحرسون السور من هناك كمية كبيرة من السهام من كل جانب، ودحرجوا حجارة ضخمة فوقهم فقلبت بعضا من الأحد عشر الذين كانوا معه، ولكن بالنسبة لسابينوس نفسه فإنه صد السهام التى كانت تصوب نحوه. وعلى الرغم من أنه كان مغمورا بها إلا أنه لم يكف عن عنف هجومه قبلما يصعد إلى قمة السور ويُجبر الأعداء على الهرب. لأن اليهود كانوا مندهشين من قوته العظيمة وبسالته. وفى انسحابهم تخيلوا أن كثيرين قد صعدوا إلى السور حقيقة، ولذلك لاذوا بالفرار.

ولكن المرء لا يشكو الآن إلا من الحظ الذى ما زال يحسد الفضيلة[٧٥]، ودائما ما يعوق أداء المنجزات المجيدة. فقد كان هذا هو حال هذا الرجل الذى أمامنا. فما أن حصل على غرضه، حتى تعثر فى حجر كبير وسقط على رأسه بضجة كبيرة جدا[٧٦]. فرجع اليهود الذين لمَّا رأوه وحده منطرحا هكذا، ألقوا عليه السهام من كل جانب. ومع ذلك قام على ركبتيه وغطى نفسه بترسه، ودافع عن نفسه أولا ضدهم وجرَح كثيرين من الذين اقتربوا منه، ولكنه سرعان ما أُجبِر عل إرخاء يمينه من كثرة الجروح التى نالها، إلى أن غطته تقريبا السهام قبل ان يُسلِم روحه أخيرا. لقد كان واحدا يستحق قدَرًا أفضل بسبب بسالته، ولكن كما يجب أن يُتوَقع سقط تحت ثِقل هذه المحاولة. أما بالنسبة لباقى رفقائه فقد سحق اليهود ثلاثة منهم بالحجارة إلى قطع وقتلوهم عندما كانوا يصعدون إلى قمة السور، والثمانية الآخرون جُرِحوا وحُمِلوا إلى المعسكر.

هذه الأمور حدثت فى اليوم الثالث من شهر بانيمس[= تموز= ٢٢ يوليو].

---

٧٥ - يوسفوس اليهودى العقيدة، لأنه يكتب تاريخه هذا إلى غير اليهود فإنه يستخدم المفردات التى تناسب ثقافتهم الخاصة. لذلك يستخدم هنا كلمة "الحظ" بدلا من إبليس أو الشيطان حسب الفكر الدينى الكتابى.

٧٦ - طبعا المتمردون من جانبهم سيعتبرون ذلك تدخل من الله نفسه لصالحهم.

(٧/١/٦) وبعد ذلك بيومين تجمع إثنا عشر من أولئك الذين كانوا يحرسون الصقالات واستدعوا حامل الراية فى الفيلق الخامس، واثنان من فرقة الفرسان، وواحد من نافخى الأبواق، وذهبوا بلا ضجة فى نحو الساعة التاسعة[٧٧] من الليل، من خلال الخرائب إلى برج انطونيا. وعندما قطعوا أولا أعناق حرس المكان بينما هم نائمون، واستولوا على السور أمروا نافخ البوق بأن يُبوق. وعندئذ نهض باقى الحرس فجأة ولاذوا بالفرار قبل أن يمكن لأى واحد أن يرى كم عدد أولئك الذين صعدوا وذلك بسبب الخوف الذى كانوا فيه من ناحية، وبسبب صوت البوق الذى سمعوه من ناحية أخرى حتى أنهم تخيلوا أن عددا عظيما من العدو قد صعدوا. ولكن بمجرد أن سمع قيصر الإشارة، أمر الجيش بارتداء سلاحهم فى الحال، وجاء إلى هناك مع قواده، وصعد قبل الكل، فحذا الرجال المختارون حذوه. وبينما كان اليهود يفرون إلى الهيكل، دخلوا من السرداب الذى كان يوحنا قد حفره تحت الصقالات الرومانية. وعندئذ طردهم مثيرو الفتن من كلا الحزبين اليهوديين: الذين ينتمون إلى يوحنا، والذين ينتمون إلى سيمون. وفى الحقيقة، لم تكن تعوزهم أية حاجة إلى العنف والخفة القصوى لأنهم حسبوا أنفسهم أنهم سيهلكون جميعا إذا حصل الرومان على الهيكل. وهذا ما كان يتطلع إليه الرومان كبداية لإنتصارهم الكامل. لذلك كانت هناك معركة رهيبة عند مدخل الهيكل بينما كان الرومان يشقون طريقهم عنوة ليستولوا على هذا الهيكل، وكان اليهود يصدونهم إلى برج انطونيا. فى معركة كهذه، أضحت السهام وكذا الرماح بلا نفعٍ، فجرَّد كل من الفريقين سيوفهم، واقتتلوا يدا بيد. وخلال هذا الصراع كان موقف الرجال غير متميز من الجانبين، وكانوا يُقاتلون عشوائيا، واختلط الرجال بعضهم ببعض، وارتبكوا بسبب ضيق المكان بينما كانت الضجة الحادثة تصك الآذان لأنها كانت عالية جدا. وحدثت مذبحة عظيمة من كلا

---

٧٧ - بالتوقيت الشرقى، أى الثالثة بعد الظهر.

الجانبين، وكان المتحاربون يطأون فوق الجثث، وفوق أسلحة الموتى، ويسحقونهم إلى قِطعٍ. وبالتالى فإنه حالما تميل المعركة إلى أيٍ من الجانبين، كان الذين لهم ميزة يحثون بعضهم بعضا على الاستمرار، بينما كان المنهزمون ينوحون بشدة. ولكنه لم يكن هناك مجال للهرب، ولا للمطاردة بل للإقدام والتقهقر فالجيشان اختلطا بعضهما ببعض. وكان أولئك الذين فى الصفوف الأولى تحت ضرورة أن يَقتِلوا أو أن يُقتَلوا بدون أى مجال للهرب من كلا الجانبين. وكان الذين يأتون من خلف يُجبرون الذين أمامهم على الاستمرار بدون ترك أى مجال فيما بين الجيشين. وأخيرا، فإن حمية وعنف اليهود كانت صعبة جدا للرومان ومهارتهم، حتى أن المعركة مالت بالكامل إلى هذه الناحية لأن القتال استمر من الساعة التاسعة من الليل حتى الساعة السابعة من النهار. وكان اليهود يأتون فى جماعات وكان خطر الهيكل هو دافعهم، ولم يكن للرومان هنا سوى جزء من الجيش لأن تلك الفيالق التى كان يعتمد عليها الجنود لم تصعد لأنه كان يُظَن فى ذلك الوقت أنه يكفى للرومان أن يستولوا على برج انطونيا.

(٨/١/٦) ولكن واحدًا يُدعَى يوليان، قائد مائة جاء من بيثينيا وكان رجلا ذا سمعة عظيمة من بين جميع الذين رأيتهم فى تلك الحرب ومن أكثرهم شهرة لكلٍ من مهارته فى الحرب ولقوة جسده وشجاعة نفسه. هذا الرجل حالما رأى الرومان يتخلون عن الأرض ويُدافعون عن أنفسهم برداءة لأنه كان يقف إلى جانب تيطس فى برج انطونيا، قفز خارجا وأجبر هو بنفسه وحده اليهود على الهرب بينما كانوا هم غالبون، وجعلهم يتقهقرون بعيدا إلى ركن الساحة الداخلية للهيكل. ولاذ الدهماء بالهرب منه فى جماعات مفترضين أنه لا قوته ولا هجماته العنيفة يمكن أن تكون لإنسان. وبالتالى، اندفع إلى وسط اليهود وشتتهم جميعا إلى الخارج، وقتل الذين أمسكهم. ولم يكن هناك حقا منظر ظهر أكثر عجبا فى عيون قيصر، ولا أكثر رعبا

للآخرين من ذلك. ومع ذلك كان هو نفسه مُطاردًا من قدره هذا الذى ليس من الممكن لإنسان مائت أن يهرب منه. لأنه إذ كان حذاءه مملوء من المسامير الحادة السميكة مثل سائر الجنود الآخرين، لذلك عندما ركض على بلاط الهيكل انزلق ووقع على ظهره بضجة شديدة جدا أحدثها درعه. وهذا جعل الذين يهرعون منه، يرجعون إليه. بينما أطلق أولئك الرومان الذين كانوا فى برج انطونيا صراخا عظيما خائفين على الرجل[٧٨] ولكن اليهود انقضوا فى جماعات وطعنوه برماحهم وسيوفهم من كل ناحية، وتلقى عددا هائلا من ضربات هذه الأسلحة الحديدية على ترسه، وحاول مرار أن ينهض مرة أخرى، ولكنه كان يُطرَح من الجموع التى كانت تطعنه. ولكنه وهو راقدٌ طعن كثيرين بسيفه، ولم يُقتَل سريعا وهو مغطى بخوذته ودرعه الحديدى فى كل الأماكن التى من الممكن أن تكون جروحها مميتة. وقد سحب أيضا رقبته وقرَّبها من جسده إلى أن تمزقت أطرافه. ولم يجرأ أحد على الدفاع عنه، إلى أن استسلم لقدره. وعندئذ تأثر تيطس بشدة بسبب جَلَد هذا الرجل العظيم، وبالذات من أنه قُتِل أمام مرأى من شعب غفير. وكان يتوق إلى أن ينزل لمساعدته بنفسه، ولكن المكان لم يسمح له، بينما ما تم كان مرعبا جدا لمحاولته. وهكذا عندما صارع يوليان مع الموت وقتا طويلا، ولم يدَع أولئك الذين جرحوه جرحا مميتا يمضون بدون أذى، قُطِعت رقبته أخيرا على الرغم من أن ذلك لم يكن بدون صعوبة ما، وخلَّف وراءه شهرة عظيمة جدا ليس فقط بين الرومان ولدى القيصر نفسه، ولكن أيضا بين أعدائه. عندئذ رفع اليهود جثته، وأجبروا الرومان على الهرب مرة أخرى، وحبسوهم فى برج انطونيا وكان أولئك الذين تميزوا وقاتلوا بأكثر غيرة فى هذه المعركة من الجانب اليهودى: اِلكساس وجفتيوس من حزب يوحنا، ومالخياس ويوداس بن مرتو

٧٨ - عجبا، أين التغطية الحربية المفترضة فى هذه الحالة، وأين النجدة الرومانية السريعة لهذا البطل، وأين أمر القائد الأعلى الذى يشاهِد المنظر من علٍ. هذه نقاط عسكرية تثور بالطبع فى ذهن القارىء، أدعها لمُحلل حربى ليُعلق عليها حربيا.

ويعقوب بن سوساس قائد الإدوميين من حزب سيمون. ومن الغيورين أخوين يوداس وسيمون ابناء يايروس.

الكتاب السادس: الفصل الثانى

[كيف دك تيطس برج انطونيا، واقنع يوسفوس بحض اليهود مرة أخرى على التسليم]

(١/٢/٦) والان، اعطى تيطس أوامره لجنوده الذين كانوا معه بدك أساسات برج انطونيا، وإعداده ليكون ممرا لصعود جيشه. بينما أحضر هو نفسه يوسفوس (لأنه كان قد اُعلِم أنه فى نفس ذلك اليوم الذى كان السابع عشر من بانيمس [تموز][٧٩] اُبطِلت الذبيحة التى كانت تُدعَى "الذبيحة اليومية" ولم تُقَدَّم لله بسبب الحاجة إلى الرجال الذين يقدمونها. وكان الشعب فى رعب عظيم من جراء ذلك) وأمره أن يقول ليوحنا نفس الشىء الذى قاله من قبل، وهو " إذا كان لديه أى ميل شقى للقتال فليخرج هو ورجاله مهما كثر عددهم ويُقاتل كما يشاء بدون تعريض المدينة أو الهيكل للخراب. وأنه إذا أراد، لا يدنس الهيكل، ولا يرتكب مخالفات ضد الله، حتى يُقدِّم الذبائح تلك التى توقفت الآن بواسطة أيٍ من اليهود الذين يُعيِّنهم هو".

وعندئذ وقف يوسفوس فى مكانٍ يكون فيه مسموعا ليس من يوحنا فقط، بل ومن جمع غفير وأعلن لهم باللغة العبرية ما كلَّفه به قيصر، وترجاهم بإلحاح أن يُبقوا على مدينتهم وأن يمنعوا تلك النار الوشيكة من أن تُمسِك بالهيكل، وأن يُقدِّموا فيه الذبائح المعتادة لله". وأدت كلماته هذه إلى صمت وحُزن عظيم بين الشعب، ولكن الطاغية نفسه ألقى توبيخا ولعنات على يوسفوس. وأخيرا قال له "إنه لن يخاف اطلاقا من أن تُؤخَذ المدينة لأنها مدينة الله نفسه". وردا على هذا قال له يوسفوس بصوت عالٍ "هل أنتَ متأكد أنك حفظت هذه المدينة نقية رائعة من أجل الله، وأن

٧٩أى ٥ اوغسطس

الهيكل لم يتدنس بالكلية باستمرار. ألم تُذنب بأى إثم ضد هذا الذى تترجى مساعدته، آلا زال يقبل ذبائحه المعتادة. أيها البائس الشقى لو أن واحدا من الناس حرمك من لقمتك لحسبته عدوا لك. آفأنت تترجى أن يكون الله معينك فى هذه الحرب، هذا الذى منعتَ عنه عبادته الدائمة. وأنت تُعزِى هذه الآثام إلى الرومان الذين حتى هذه اللحظة عينها يُراعون شرائعنا ويكاد يُلزِموننا بأت تُقدَّم الذبائح إلى الله التى توقفت بوسيلة أو بأخرى. مَن هناك مَن يقدر أن يتجنب الآهات والمناحات عند مشاهدة هذا التغير المذهِل الحادث فى هذه المدينة. حيث أن الأجانب والأعداء يصححون هم بأنفسهم الآثام التى فعلتها، بينما أنتَ اليهودى المتمرس فى شرائعنا صرت عدوا لها أعظم من الآخرين. ولكن ما زال يا يوحنا [ممكنا] أن تندم – وهذا ليس من العار- وأن تُصلِح ما قد أفسدته حتى فى آخر لحظة. ولديك مثلٌ فى يكنيا Jechoniah ملك اليهود – إن كانت لديك النية لإنقاذ المدينة- الذى عندما شن عليه ملك بابل الحرب، خرج من تلقاء نفسه إلى خارج المدينة قبل أن تُؤخذ، وقبِل طواعية الأسر هو وعائلته عن أن يُسلِّم الهيكل للعدو، ولكى لا يرى بيت الله محترقا. وبسبب ذلك يحتفل به جميع اليهود فى تذكاراتهم المقدَّسة، وصارت ذكراه خالدة وستظل حية عبر الأجيال؟ هذا مثل رائع يا يوحنا حتى فى الخطر، بل إننى أتجرأ وأعدك بأن الرومان سيصفحون عنك، ولاحظ أننى أنا الذى أحضك، أنا الواحد من أمتك، أنا اليهودى هو الذى يَعدك. وهذا يجعلك تعتبر مَن أنا الذى يعرض عليك هذه المشورة ومن أين استقيتها لأنه بينما أنا حى لن أكون فى مثل هذه العبودية حتى أهجر أقربائى أو أنسى شرائع آبائى. أنتَ تسخط علىَّ مرة أخرى وتفترى علىَّ وتوبخنى. حقا إنه لا يمكن أن انكِر أن أكون مستحقا لمعاملة سيئة أكثر من كل هذا لأننى أقاوم القدر وأدعوك الآن وأتوسل إليك أن تنقذ أولئك الذين قد أدانهم الله. فمن هو الذى لا يعرف أن كتابات الأنبياء القدامى قد احتوت على ذلك، وبصفة خاصة الوحى عن هذه المدينة البائسة، والذى سيتم حالا. لأنهم تنبأوا أن هذه المدينة ستُؤخذ عندما

يبدأ شخص ما بمذبحة لأبناء وطنه[٨٠]. أليست المدينة كلها الآن مملوءة من جثث بنى وطنك؟ وكذلك الهيكل. لذلك، الله نفسه هو الذى جلب هذه النار لتُطهِّر هذه المدينة والهيكل، بواسطة الرومان. وهو الذى ينوى حرث هذه المدينة التى امتلأت بأدناسك".

(٢/٢/٦) وما أن تكلم يوسفوس بهذه الكلمات بتأوهات وبدموع عينيه حتى بدأ يجهش بالبكاء. ومع ذلك، بينما لم يسع الرومان إلا أن يُشفقوا على هذه المآسى التى كان يكابدها، ويُعجَبوا بخطابه، فإن يوحنا والذين كانوا معه ازدادوا سخطا على الرومان بسبب هذا، وكانوا يتوقون إلى الحصول على يوسفوس أيضا فى حوزتهم. ومع ذلك فقد أثَّر هذا الخطاب فى الجزء الأفضل من الشعب. وحقيقة، كان بعضهم يخشى من حرس مثيرى الفتن الذين يكمنون حيثما يكون، ولكنهم كانوا ما زالوا راضيين بأنهم هم والمدينة ماضين إلى الخراب. ولكن البعض، وقد راقبوا الفرصة المواتية للخروج فى آمان، هربوا إلى الرومان ومنهم رؤساء الكهنة يوسف ويشوع وأبناء رئيس الكهنة اسماعيل الثلاثة. وهذا كانت قد قُطِعَت رأسه فى القيروان. وأربعة أبناء لمتياس. وأيضا ابن واحد لمتياس الآخر الذى هرب بعد قتل سيمون بن جيوراس لأبيه واخوته الثلاثة، كما قلتُ سابقا. وأيضا كثيرون من النبلاء نزحوا مع رؤساء الكهنة، إلى الرومان. ولم يستقبلهم قيصر فقط بمعاملة طيبة تليق بهم، ولكنه أيضا وهو يعلم أنهم لن يحبوا العيش حسب عادات الأمم الأخرى، أرسلهم إلى جوفنا Gophna ليمكثوا هناك فى الوقت الحاضر، وأخبرهم أنه بعد أن يُنهى الحرب سيرُد لكل منهم ممتلكاته مرة أخرى. لذلك اختلوا هناك بسرور فى تلك المدينة الصغيرة التى عُيِّنَت لهم بدون خوف من أى خطر. ولكنهم إذ لم يظهروا أشاع مثيرو

٨٠ - هل هو تأمل خاص من جانب يوسفوس، أم ماذا ؟؟؟؟؟

الفتن أن الهاربين قد قتلهم الرومان. ولقد فعلوا ذلك ليحُولوا دون هروب الآخرين، خوفا من نفس المعاملة. وقد نجحت حيلتهم هذه فى البداية لبعض الوقت كما حدث لنفس الحيلة من قبل، لأن الباقين أحجموا عن الهرب خوفا من أن يُعامَلوا بنفس المعاملة بالمثل.

(٣/٢/٦) ومع ذلك، عندما أحضر تيطس أولئك الرجال من جوفنا، وأمرهم أن يطوفوا حول السور مع يوسفوس، ويُظهِروا أنفسهم للشعب، هرب عندئذ إلى الرومان عدد كبير، ووقفوا أمام الرومان وتوسلوا إلى مثيرى الفتن بتأوهات ودموع أن يسلموا المدينة بالكامل للرومان، فهذا أفضل شىء لهم، وأن يُنقذوا موضع إقامتهم مرة أخرى. وأنهم إذا لم يوافقوا على هذا الأمر فعلى الأقل يرحلوا عن الهيكل ويُنقذوا البيت المُقَّدَس من استخدامهم له. لأن الرومان ما كانوا ليجرأوا على حرق الهيكل إلا فى حالة الضرورة الملحة. ولكن مثيرى الفتن كانوا ما زالوا يعارضونهم أكثر وأكثر وهم يوبخون الهاربين، ووضعوا أيضا آلاتهم التى ترمى السهام والنبال والحجارة عند البوابات المقدسة للهيكل على مسافات مناسبة لدرجة أن كل المساحة التى كانت داخل الهيكل كان من الممكن مقارنتها بمقبرة عامة. هكذا كان عدد الجثث فيها كبيرا جدا. كما أن البيت المُقَّدَس نفسه كان يُقارن بقلعة. وبناء عليه، اندفع أولئك الرجال إلى البيت المُقَّدَس، ذلك الذى كان لا يدنو منه أحدٌ، بحللهم العسكرية وبأياديهم التى كانت ساخنة بدماء شعبهم التى سفكوها. بل أنهم تقدموا إلى إثم عظيم وهو أن السخط الذى كان لدى اليهود طبيعيا على الرومان وقد صاروا مذنبين الآن ضدهم، قد صار الآن لدى الرومان على اليهود لعدم مراعاتهم لعاداتهم الدينية. حقا، لم يكن هناك أى من الجنود الرومان لا ينظر إلى الهيكل برعب مُقَّدَس، ويوقره ويتوق إلى أن يندم اللصوص قبل أن تصبح شقاوتهم غير قابلة للعلاج.

(٤/٢/٦) والآن، تأثر تيطس جدا بهذه الحالة، ووبخ يوحنا وحزبه وقال لهم: ألستم أنتم أيها الأشقياء هم الذين وضعوا هذا الحاجز امام مقدسكم؟ ألم تقيموا الأعمدة على مسافات معينة، ونقشتم عليها باليونانية وبلغتنا [اى بالرومانية][٤٢] هذا التحذير وهو "محظور على اى اجنبى ان يتجاوز هذا الحاجز". ألم نعطيكم ترخبصا بقتل اى انسان يتجاوزه حتى وإن كان رومانيا. والآن أيها الأوغاد والخبثاء لماذا تدوسون على جثث الموتى فى الهيكل ولماذا تدنسون هذا البيت بدم الأجانب واليهود معا؟. إننى أُشهِد آلهة بلدى، وكل إله له اعتبار فى هذا المكان، لأننى لا اظن أن هناك إله معتبر منهم الآن، وأُشهِد جيشى أيضا، وأُشهِد أيضا أولئك اليهود الذين معى الآن، بل وحتى أنتم أنفسكم بأننى لا أُريد أن أُنجس مقدسكم هذا، وأنه إذا غيرتم المكان الذى تُحاربون فيه، فلن يقترب أى رومانى من هذا الهيكل، أو يُصيبه بأى أذى, بل إننى اتعهد بأن أحفظ لكم بيتكم المُقَّدَس سواء أردتم أم لا.

(٥/٢/٦) وما أن شرح [أى ترجم] يوسفوس هذه الأمور من فم قيصر، حتى ظن كلٌ من الطغاة واللصوص أن هذا الحض ناجمٌ عن خوف تيطس لا عن حُسن سريرته، وأخذوا يتغطرسون عليه.

ولكن لمَّا رأى تيطس أن أولئك الرجال لن يتحركوا لا بدافع الرثاء نحو أنفسهم، ولا بأى اعتبار لديهم للبيت المُقَّدَس شرع، بدون رغبته، فى الاستمرار فى الحرب ضدهم. صحيح أنه لم يستطع أن يُحضر كل الجيش ضدهم بسبب ضيق المكان جدا، ولكنه اختار ثلاثين من الجنود من بين كل مائة من أكثر المقاتلين، وألف من كل تربيون. وجعل سِرياليس Cerealis القائد رئيسا لهم، وأصدر أوامره بأن يهجموا على حرس الهيكل نحو الساعة التاسعة من تلك الليلة. وكان يرتدى درعه وأراد النزول معهم، ولكن أصدقاءه منعوه بسبب عِظم الخطر. وكذلك منعه أيضا قواده مقترحين عليه أنه سيفعل أكثر بجلوسه فوق برج انطونيا كمانح للمكافآت لأولئك الجنود

الذيت يميزون انفسهم فى المعركة، عن أن ينزل ويجازف بشخصه فى المقدمة لأن الجميع سيُقاتلون ببسالة عندما يرون أن القيصر يتطلع إليهم. وبهذه النصيحة التزم قيصر وقال أن السبب الوحيد [لقبوله] هذه النصيحة أنه سيكون بإمكانه الحُكم على شجاعة الأعمال. وأنه لن يختص مجاهِد من الجنود ليُفقده مكافأته ولا جبان ليفقده عقوبته. لأنه سيكون هو نفسه شاهِد عيان، وقادرٌ على أن يُعطِى دليلا على كل ما عُمل. وهو الذى سيوزع المكافآت والعقوبات عليهم.

وهكذا أرسل جنوده إلى عملهم فى الساعة المذكورة، بينما توجه هو نفسه إلى أعلى مكان فى برج انطونيا حتى يمكنه أن يرى من هناك ما يتم. وانتظر هناك بفارغ صبر أن يرى الحادثة.

(٦/٢/٦) ومع ذلك، لم يجد الجنود الذين اُرسِلوا الحرسَ نائمين كما كانوا يترجون، ولذلك اضطروا إلى الاقتتال معهم يدا بيد فى الحال وبمجرد أن اندفعوا نحوهم بعنف وصياح عظيم. ولذلك بمجرد أن استمع أولئك الذين فى داخل الهيكل ذلك الصياح من الحرس حتى هرعوا فى فرق إليهم. وعندئذ تلقاهم الرومان الذين أتوا أولا، ولكن الذين أتوا بعدهم انقضوا على فرقهم هم. وكثيرون عاملوا جنودهم كأعداء، لأن الفوضى العظيمة التى حدثت من كلا الطرفين أعاقت تمييز أصوات بعضهم بعضا كما أن الظلام قد حال دون التمييز بالرؤية. بالإضافة إلى ذلك العمى الناجم عن الغضب فى الواحد أو الخوف فى آخر الذى كان واحدا لكل الجنود. ومع ذلك كان هذا الجهل أقل ضررا للرومان عن اليهود لأنهم كانوا متصلين بعضهم ببعض تحت التروس، وجعلوا هجماتهم منظمة عن الآخرين، وكلٌ منهم تذكر كلمة السر. بينما كان اليهود يتشتتون إلى الخارج باستمرار، ويقومون بهجماتهم أو تقهقرهم عشوائيا. وهكذا بدوا مرارا لبعضهم بعضا كأعداء، لأن كل واحدٍ منهم كان يعامل أولئك العائدين من رجاله فى الظلام على أنهم رومان أتوا للهجوم عليهم، لدرجة أن كثيرين جُرِحوا من رجالهم أكثر من الأعداء إلى أن لاح النهار وتميزت طبيعة الحرب بالعين فيما بعد. وعندئذ

وقفوا فى المعركة بأجسام مميزة، وألقوا سهامهم بانتظام، ودافعوا عن أنفسهم بانتظام، ولم يستسلم أى من الجانبين أو يكل. وتنافس الرومان مع بعضهم البعض على مَن سيُقاتِل بأكثر ثبات سواء فرادى او جماعات لكونهم تحت بصر تيطس. وكل واحدِ ختم هذا اليوم يبدأ ترقيته إذا كان قد حارب بشجاعة. وما كان تشجيعا كبيرا لليهود هو خوفهم على أنفسهم وعلى الهيكل، وحضور الطاغية نفسه الذى كان يحض البعض، ويضرب ويُهدد البعض الآخر ليتصرفوا بشجاعة. وقد حدث الآن أن هذه المعركة كانت راكدة فى الجزء الأكبر، بينما كان الجنود يتقدمون ويتراجعون فى زمن قصير. وفجأة، لأنه لم يكن هناك أرضٌ فسيحة للهروب أو المطاردة، وكان هناك ضجة شديدة بين الرومان الذين كانوا فى برج انطونيا يصيحون بصوت عال إلى رجالهم ليستمروا فى شجاعتهم عندما كان اليهود يشتدون لكى يصمدوا فى تقهقرهم لدرجة أنه كان كمسرح للحرب لأن ما عُمِل فى هذه المعركة لم يكن من الممكن أن يُخفَى على تيطس أو عن الذين حوله. وأخيرا، انتهت هذه المعركة التى بدأت من التاسعة ليلا، فى الساعة الخامسة من النهار وفى نفس المكان الذى بدأت فيه. حيث لم يقدر أى من الجانبين أن يقول أنه جعل الآخر يتقهقر، ولكن ترك كلٌ من الجيشين النصر غير مؤكد بينهما.

وأما أولئك الذين ميزوا أنفسهم من الجانب الرومانى، فكانوا كثيرين. وأما من الجانب اليهودى فكانوا يوداس بن مرتو، وسيمون بن جوشيا من أولئك الذين كانوا مع سيمون. ومن الإدوميين: يعقوب وسيمون الذى كان ابنه كاتلاس، ويعقوب بن سوساس. ومن أولئك الذين كانوا مع يوحنا: جيفتيوس والكساس والغيورين سيمون بن يايروس.

(٧/٢/٦) وفى نفس الوقت، نقض بقية الجيش الرومانى [بعض] اساسات برج انطونيا فى سبعة أيام، وهيأ طريقا واسعا إلى الهيكل, وعندئذ أتت الفيالق إلى قرب الدار الأولى، وبدأت فى إقامة الصقالات. واحدة فى مواجهة الركن الشمالى الغربى للهيكل الداخلى، وأخرى عند الصرح الشمالى الذى كان بين البوابتين. وبالنسبة للاثنتين الأخريَتين فكانتا واحدة عند الرواق الغربى للدار الخارجية للهيكل، والأخرى فى مواجهة الرواق الشمالى. وعلى الرغم من أن هذه الأعمال كانت متقدمة جدا عند الرومان، ولكن [تمت] ليس بدون صعوبة أو مشقة كبيرة وخاصة لأنهم كانوا مضطرين لجلب المواد من مسافات بعيدة على نحو مائة غلوة. وكانت هناك صعوبات أخرى أمامهم. إما بسبب الفخاخ اليهودية حيث جعلت الثقة فى نجاحهم أقل حذرا وأحيانا بسبب جرأة اليهود الناجمة عن يأسهم فى الهرب لأن بعضا من الفرسان عندما كانوا يخرجون لجمع الأخشاب أو الحشائش كانوا يدَعون جيادهم تتغذى بنفسها، وعليها سُرُجها. فكان اليهود يُغيرون فى جماعات على هذه الجياد ويستولون عليها. ولمَّا كان ذلك يتم باستمرار، تأكد قيصر أن هذه الجياد تُسرق نتيجة لإهمال رجاله أكثر من إقدام اليهود. وعندئذ، صمم على استخدام عقوبة قاسية ضد كل مَن يُسرَق حصانه حتى يجعل الباقين يحترسون على أحصنتهم، فأمر بمعاقبة الجندى الذى يُسرَق حصانه بقسوة شديدة، وبذلك أرعب الآخرين وحافظوا على جيادهم فيما بعد. لأنهم لم يتركوها بعد ذلك تتغذى بنفسها، بل كما ولو كانوا غير منفصلين عنها كانوا يأخذونها معهم حتى عند قضاء ضرورياتهم. وهكذا استمر الرومان فى الحرب ضد الهيكل، وفى إقامة الصقالات أمامه.

(٨/٢/٦) وبعد أن مرَّ يوم على تركيب الرومان للصقالات، ضغطت المجاعة على كثيرين من مثيرى الفتن عقب فشلهم الحالى فى السلب، فتجمعوا معا وقاموا بهجوم على الحرس الرومانى الذى كان بجبل الزيتون، فى نحو الساعة الحادية عشر

من النهار مفترضين أولا أنهم[أى الرومان][٤٢] لن يتوقعوا مثل تلك الغزوة، وثانيا أنهم سيكونون مهتمين بأجسادهم فى تلك الساعة وبالتالى يكون من السهل اختراقهم. ولكن الرومان كانوا يخمنون هجومهم سلفا، فركضوا مسرعين من المعسكرات المجاورة فى الحال، ومنعوهم من الاقتراب من تحصيناتهم أو أن يخترقوا السور الذى حولها. وعند ذلك حدثت معركة ضارية، أظهر فيها كلٌ من الجانبين اعمالا عظيمة فبينما أظهر الرومان شجاعتهم ومهارتهم فى الحرب معا، فإن اليهود هجموا عليهم بقوة وقسوة. فجانب كان مدفوعا بخجله، وآخر كان مدفوعا بالضرورة. لأنه كان من المخجل جدا للرومان أن يدَعوا اليهود يذهبون وقد صاروا الآن فى شبكة جيدة. بينما كان كل رجاء اليهود هو إنقاذ أنفسهم، وكان ذلك إذا استطاعوا أن يخترقوا سور الرومان.

وكان هناك شخص اسمه بدانيوس Pedanius من فرقة الفرسان. هذا، عندما دُحِر اليهود ولاذوا بالفرار إلى الوادى، أخذ يحث حصانه فى إثرهم بعنف شديد، وأمسك بأحد شباب العدو من عقبه بينما كان يلوذ بالفرار وكان غليظ الجسم وفى درعه، فترجل بدانيوس من فوق فرسه بسرعة وكان قويا فى ذراعه اليُمنى وكذا فى بقية جسمه وماهرا فى الفروسية وقبض على هذه الغنيمة كما على كنز ثمين وحمله كأسير إلى قيصر. وعندئذ أُعجِب تيطس بالرجل الذى أمسك الآخر لقوته العظيمة، وأمر بأن يُعدَم الأسير لمحاولته ضد سور الرومان. واستمر فى محاصرة الهيكل والضغط على إقامة الصقالات.

(٩/٢/٦) فى نفس الوقت كان اليهود محصورين جدا بالقتال الذى كانوا فيه حيث ازدادت الحرب وزحفت إلى البيت المُقَّدَس نفسه، حتى أنهم كما ولو كانوا يقطعون أطراف أجسادهم المصابة لكى ما يمنعوا نشر نكدهم إلى اجزاء أكثر، لأنهم كانوا قد أحرقوا الرواق الشمالى الغربى الذى كان ملحقا ببرج انطونيا، وبعد ذلك

نقضوا نحو عشرين ذراعا من ذلك الرواق، وبذلك بدأوا فى حرق القدس. وبعد ذلك بيومين، أو فى اليوم الرابع والعشرين من الشهر المذكور[٨١] أشعل الرومان النار فى الرواق الملحق بالآخر حيث امتدت النيران إلى مسافة ١٥ ذراعا أبعد. وقطع اليهود السقف بالمثل ولم يتركوا شيئا بالكامل حتى انفصل برج انطونيا عن الهيكل. وحتى عندما كان فى إمكانهم وقف النيران، بل أنهم سكتوا عندما احترق الهيكل أولا وسمحوا بإنتشارها كما ولو كانت لمصلحتهم. ومع ذلك كانت الجيوش ما زالت تحارب بعضها بعضا حول الهيكل. واستمرت الحرب بمعارك مستمرة من الجانبين ضد الآخر.

(١٠/٢/٦) والآن، كان هناك رجل ما من اليهود اسمه يوناثان، قصير القامة، حقير فى مظهره، لا شخصية له سواء بالنسبة لعائلته أو لنواحى أخرى. هذا خرج إلى خرائب رئيس الكهنة يوحنا وتفوه بأمور كثيرة وقحة ضد الرومان، وتحدى أفضلهم إلى مبارزة فردية. ولكن أولئك الذين كانوا يقفون هناك من الجيش، كانوا يحتقرونه. ولكن بعضا منهم(كما يجب أن يُقال) كان خائفا منه. وبعضهم فكَّر فى أنه لا يليق القتال مع رجل يريد أن يموت. وحقا كان هذا. لأن أولئك الذين يأسوا بالكامل فى النجاة، يهاجمون بدون اعتبار، وأيضا يُعيرون الله على مساعدته لهم. وهذه مجازفة للمرء بنفسه، الذى إن تغلبت عليه فلن تفعل شيئا عظيما، وبواسطتها يكون مخجلا أن تُغلَب لا عن شجاعة رجولية ولكن عن طياشة. لذلك لم يقبل أحدٌ أن يتحداه. وأخذ اليهودى يصفهم بالجُبن ويشتمهم لأنه كان متعاليا جدا ومفتخرا بنفسه.

ولكن واحدا من الرومان اسمه بودنس Pudens، من الفرسان، بسبب كلماته الرجسة وصفاقته معا، وربما عن طياشة بسبب ضِعة الآخر، ركض نحوه وكان قاسيا جدا عليه، ولكن حظه قد خانه ووقع. فركض يوناثان نحوه وقطع رقبته. ووقف

٨١- بانيمس أو تموز= ١٢ اوغسطس.

عندئذ فوق جثته ملوحا بسيفه الملطخ بالدم كما كان، وهز ترسه بيده اليسرى وصاح ضد الرومان، وأهان الميت، وشتمهم. وأخيرا، رشقه واحدٌ من قواد المائة اسمه بريسكس بينما كان يقفز ويلعب بغباء مع نفسه، فنفذ فيه. وعندئذ صاح كل من الرومان واليهود على الرغم من اختلاف السبب. وعندئذ ازداد هياج يوناثان بجرحه، وسقط على جثة مقاومه كإشارة واضحة كيف يأتى الانتقام سريعا على أولئك الرجال الذين ينجحون فى الحرب دون أن يكون لهم أى استحقاق.

الكتاب السادس: الفصل الثالث

[بشأن الحيلة التى تمت من اليهود، واحترق بسببها عدد كبير من الرومان. ووصف آخر للمجاعة المرعبة التى كانت فى المدينة]

(١/٣/٦) ولكن مثيرى الفتن الذين كانوا فى الهيكل كانوا يسعون فى كل يوم للتغلب على الجنود الذين فوق الصقالات. وفى اليوم السابع والعشرين من الشهر المذكور [بانيمس أو تموز] دبروا هذه الخدعة: ملأوا الرواق الغربى الذى كان بين العروق والسقف تحتهم بالأخشاب الجافة والنفط أيضا. ثم انسحبوا من المكان كما لو كانوا قد تعبوا من آلامهم. وإزاء ها المسلك، أخذ كثيرون من الطائشين الرومان، الذين تجرفهم أهواء العنف، يتتبعونهم بشدة وهم ينسحبون، ووضعوا سلالم للرواق وكانوا يقفزون إليه. ولكن البعض الفطن منهم [أى من الرومان][٤٢] عندما ادركوا هذا التقهقر غير المحسوب لليهود، ظلوا باقين حيث كانوا من قبل. ومع ذلك امتلأ الرواق من أولئك الذين صعدوا إليه، وفى نفس الوقت أشعل اليهود النيران فيه. وعندما اندلع اللهب فجأة فى كل مكان، ارتعب الرومان الذين كانوا بعيدين عن الخطر بشدة عظيمة كما لو كانوا هم أنفسهم فى وسط خطر هذه الكارثة. وعندما أدركوا أنهم محاصرون بالنيران، ألقى بعضهم بأنفسهم إلى المدينة مرة أخرى، وبعضهم بين أعدائهم [أى فى الهيكل] [٤٢]، وقفز كثيرون على أمل أن يُنقذوا أنفسهم إلى رجالهم وكسروا أطرافهم. ولكن كثيرين ممن كانوا ينوون القفز منعتهم النيران بالرغم من أن البعض منعها بسيوفه. ومع ذلك امتدت النيران بعيدا إلى أولئك الذين كانوا سيهلكون. أما بالنسبة لقيصر نفسه، فلم يكن له إلا أن يرثى لأولئك الذين هلكوا هكذا بالرغم من أنهم صعدوا إلى هناك بدون أى أمر لهم بعمل ذلك، ولم يكن لهم أى عذر يُلتَمَس. ولكن كان هناك مع ذلك بعض العزاء للذين هلكوا، هو أن يرى كلَّ

واحدٍ يحزن من أجله وهو آت إلى نهايته، لأنه كان يركض إليهم ويشدهم إلى فوق، ويحث كل مَن حوله على تقديم المساعدة لهم. وهكذا، مات كل واحدٍ منهم مبتهجا حاملا معه هذه الكلمات ومشاعر القيصر ككفن مجيد. وقد تراجع بعضهم نحو جدار الرواق الذى كان عريضا وحُفِظوا من النيران ولكنهم حوصِروا من اليهود، وبالرغم من أنهم أبدوا مقاومة ضد اليهود مدة طوبلة لكنهم جُرِحوا وسقطوا أخيرا قتلى.

(٢/٣/٦) وبينما كل واحد من الذين هلكوا يستحق الذكرى، فإن رجلا شابا منهم اسمه لونجس Longus صار زينة لهذا المنظر المحزن. وظهر أنه يستحق ما يجاوز جميعهم. فقد اُعجِب اليهود بشجاعته وكانوا تواقين لقتله، لذلك حثوه على النزول إليهم بضمانهم لحياته. ولكن كورنليوس أخاه أقنعه على النقيض ألا يلطخ مجده الخاص ولا مجد الجيش الرومانى. فالتزم بهذه النصيحة الأخيرة ورفع سيفه أمام كلٍ من الجيشين وقتل نفسه.

وكان هناك واحد اسمه ارتوريوس Artorius من الذين حاصرتهم النيران. هذا هرب بحدة ذهنه إذ نادى بصوت عال على لوكيوس- واحد من رفقائه الجنود الذين يرقدون معه فى نفس الخيمة – وقال له إننى أأذن لك أن تكون وارثا لكل ما أملك إذا جئت وتلقيتنى". وعندئذ ركض إليه ليتلاقاه باستعداد. فألقى ارتوريوس بنفسه إلى أسفل وأنقذ حياته هو بينما سحق الرجل الذى جاء ليتلقاه تحت ثِقله على البلاط الحجرى حتى أنه مات فى الحال.

هذه الحادثة الجنونية جعلت الرومان يحزنون لبعض الوقت، ولكنهم على الرغم من أنهم كانوا غير متعزين إلا أنها أعطتهم ميزة وهى الاحتراس اكثر فى المستقبل من خداع اليهود الذى هلك بسببه كثيرون بسبب عدم درايتهم بهذه الأماكن وبطبيعة السكان.

واحترق هذا الرواق لغاية برج يوحنا الذى بناه فى حربه مع سيمون أمام البوابات التى تؤدى إلى "اكستوس" Xystus. وقطع اليهود أيضا باقى الرواق عن الهيكل بعد أن أهلكوا أولئك الذين صعدوا إليه. ولكن فى اليوم التالى أحرق الرومان الرواق الشمالى بالكامل حتى الرواق الشرقى الذى تتصل زاوبته بالوادى الذى يدعى قدرون والمبنى فوقه، والذى كان عمقه لذلك مرعبا. وهذه كانت حالة الهيكل فى ذلك الوقت.

(٣/٣/٦) أما أولئك الذين هلكوا بالمجاعة فى داخل المدينة، فقد كان عددهم هائلا. وكان البؤس الذى كانوا فيه لا يُعَبَّر عنه، لأنه ما أن يظهر ظل أى طعام فى أى مكان حتى تندلع حرب فى الحال ويتقاتل أعز الأصدقاء مع بعضهم بعضا عليه، ويخطفون من بعضهم بعضا أود الحياة مهما كان ضئيلا لينقذوا حياتهم البائسة. ولم يكن اللصوص يصدقون أن الذين يموتون ليس لديهم طعاما، فكانوا يفتشونهم وهم يحتضرون لئلا يكون ايّ احد قد اخفى طعاما ما فى حضنه وتظاهر بالموت. بل أن أولئك اللصوص كانوا يفغرون أفواههم ويتعثرون ويترنحون مثل كلاب مسعورة ويهوون على أبواب المنازل مثل السكارى. وكانوا أيضا فى المحنة الشديدة التى كانوا فيها يندفعون إلى ذات البيوت مرتين أو ثلاث فى نفس اليوم الواحد. وأكثر من ذلك، كان جوعهم لا ينفد حتى أنهم اضطروا إلى مضغ أى شىء. فكانوا يلتهمون تلك الأشياء التى لا تقترب منها حتى تلك الحيواتات الأكثر دناءة ويتحملون أكلها. ولم يستنكفوا أكل جلود الأحذية والمناطق وذات سيور دروعهم: وصار الحفة الضئيلة من التبن طعاما للبعض، وجمع البعض الأعشاب الجافة والألياف، وكانوا يبيعون القليل جدا منها بأربعة آتيك [دراخما].

ولكن لماذا اصف الوقاحة المُخجلة التى جلبتها المجاعة للناس من أشياء غير مألوفة بينما أنا أنوى أن أروى ما لم يَروِ التاريخ مثله فى الحقيقة، سواء بين اليونان أو

البربر[٨٢]، فمن المُرعب الكلام عنها، ولا يُصدَّق سماعها. وكنتُ أرغب فى الحقيقة أن أحذف هذه الكوارث التى لنا حتى لا أبدو أننى أبالغ، ولكن لدىَّ شهادات عديدة على ذلك فى عصرى، بالإضافة إلى أن بلدى سوف يكون لديه أقل سبب لشكرى على إخفاء هذه المآسى التى تعرّض لها فى ذلك الوقت.

(٤/٣/٦) لقد كانت هناك امرأة ما تسكن فيما وراء الأردن اسمها مريم وأبوها يُدعَى اليعازر من قرية بيت إيزوب Bethezob التى تعنى بيت الزوفا. وكانت امرأة بارزة بسبب عائلتها وبسبب ثرائها. وكانت قد نزحت إلى اورشليم مع باقى الجمهور فى ذلك الوقت وحُوصِرت معهم. وكان قد تم الاستيلاء بالفعل على باقى منقولاتها الأخرى. اقصد ما كانت قد أحضرته معها من بيرية، وانتقلت إلى المدينة، وكل ما اكتنزته بالإضافة إلى ذلك وما لديها من طعام كانت قد ادخرته كان قد أُخِذ بواسطة الحراس الجشعين الذين كانوا يركضون إلى بيتها فى كل يوم من أجل هذا الغرض. وهذا جعل المرأة المسكينة فى محنة عظيمة، وبواسطة التوبيخ المستمر الذى كانت توجهه إلى أولئك السالبين الجشعين أثارت حفيظتهم ضدها. ولكن واحدا منهم، إما بسبب سخطها عليهم وإما رثاء لحالتها رغب فى قتلها. وعندما كانت تجد اى كعام كانت تعلم أن تعبها هو للآخرين وليس لنفسها. وقد صار الآن مستحيلا عليها أن تجد أى طعام آخر بينما المجاعة تنهش أمعائها. ولمَّا ازدادت نيران حنقها بما يفوق المجاعة ذاتها ولم يعد لها مشيرٌ إلا حدة آلامها وعوزها، عندئذ قامت بشىء غير طبيعى جدا إذ خطفت ابنها الذى كان رضيعا على صدرها وقالت "أيها الصبى البائس لمن سأحفظك فى هذه الحرب، وهذه المجاعة، وهذه الفتنة؟. فبالنسبة للحرب مع

٨٢ - نلاحظ هنا التعبير الذى كانت ثقافة العصر تستخدمه للتعبير عن "التحضر وغير التحضر" مثل تعبير العرب فيما بعد "عربى وأعجمى" فالمقصود هنا بكلمة "بربرى" ليس المعنى الشعبى فى الذهن العربى أى الرجل المتوحش اللاأخلاقى، ولكن غير اليونانيين جنسا فاليهود والرومان كانوا بالنسبة لليونانيين "برابرة" مثلما كانت دولة "فارس" بكل تاريخها بالنسبة للعرب "أعاجم" وهكذا.

الرومان، فإنهم إن أبقوا على حياتنا فسنكون عبيدا. بل أن هذه المجاعة ستهلكنا حتى قبل أن نصبح عبيدا. وأما مثيرو الفتن أولئك فهم أكثر رعبا من كليهما. إذن كُن طعاما لى، ونقمة لمثيرى الفتن الأوغاد، وبإختصار للعالم أجمع هذا الذى يريد الآن أن تتم كوارثنا نحن اليهود". وبمجرد أن قالت هذا، ذبحت ابنها وشوته وأكلت نصفه، وأخفت النصف الآخر. وحينذاك جاء مثيرو الفتن فى الحال وقد اشتموا الرائحة وهددوها بالقتل فورا إذا لم تريهم أى طعام أعدَّتَه. فأجابتهم أنها قد حفظت لهم نصيبا رائعا منه. ثم كشفت أخيرا عما تبقى من ابنها. وعندئذ حلَّ عليهم رعب ودهشة عقل، ووقفوا مشدوهين من المنظر. وعندئذ قالت لهم: هذا هو ابنى، وما حدث له كان من فِعلى. تعالوا وكُلوا من هذا الطعام الذى أكلتُ أنا نفسى منه. ولا تحاولوا أن تَظهروا بأنكم أكثر رقة من امرأة، أو أكثر حنانا من أم. ولكن إذا كنتم موسوسين وترذلون ذبيحتى هذه التى أكلتُ أنا نصفها كما قلتُ لكم، إذن فليُحَفظ النصف الباقى أيضا لى. وعندئذ خرج الرجال مرتعدين إذ لم يخشوا شيئا اطلاقا مثلما حدث لهم توا، وبصعوبة تركوا باقى اللحم للأم. وفى الحال علِمَت المدينة كلها بهذا الفِعل الفظيع، ووضع كل واحدٍ هذه الحالة التعيسة أمام عينيه مرتعدا كما لو كان هذا الفِعل الذى لا يُطاق سَمْعه قد حدث منه هو نفسه. وهكذا كان الذين فى محنة المجاعة هذه يتوقون إلى الموت، وكان الذين ماتوا بالفعل يُحسبون سعداء لأنهم لم يَحيوا طويلا لكى يسمعوا أو يروا مثل هذه الأشياء.

(٥/٣/٦) هذا الشقاء المحزن بلغ سريعا مسامع الرومان فلم يستطع بعضهم أن يُصدق، وآخرون اشفقوا على اليهود فى محنتهم. ولكن كان هناك كثيرون كانوا مدفوعين بكراهية مُرَّة أكثر من المعتاد لأمتنا. أما بالنسبة لقيصر، فقد أعفى نفسه أمام الله بالنسبة لهذا الأمر وقال أنه "اقترح لليهود السلام والاستقلال، وترَك كل اسائتهم السابقة ولكنهم بدلا من أن يوافقوا اختاروا الفتنة، وبدلا من السلام اختاروا

الحرب، وبدلا من الشبع والوفرة اختاروا المجاعة. حتى أنهم بدأوا بذات أياديهم بحرق الهيكل الذى حافظنا عليه حتى الآن ولهذا استحقوا أن يأكلوا طعاما مثل هذا. ومع ذلك، هذا العمل الفظيع أن تأكل أمٌ ابنها ينبغى أن يُغَطَّى بنقض المدينة ذاتها، ولا ينبغى للرجال أن يتركوا مدينة مثل هذه على الأرض المعمورة تحت الشمس إذ لم تعاين قط طعاما للأمهات مثل هذا فى مدينة ما. لأنها ما زالت فى حالة حرب ضدنا رغم أنها تعانى كل هذه البلايا مثل هذه. وفى نفس الوقت الذى قال فيه هذا، أخذ يُفكر فى الحالة التى تدفع الرجال إلى القنوط إذ لم يستطع أن يتوقع أن مثل أولئك الرجال يرجعون إلى عقولهم ويندمون، بعد أن تحملوا كل هذه الأتعاب لتجنب ما هو محتمل.

الكتاب السادس: الفصل الرابع

[عندما كملت الصقالات وأُحضرت آلات الكبش ولم تستطع عمل شىء، أمر تيطس بحرق بوابات الهيكل. وفى زمن ليس بطويل احترق البيت المُقَّدَس نفسه، وبدون موافقته.]

(١/٤/٦) وفى اليوم الثامن من شهر لوس Lous [آب][٨٣] أكمل فيلقان إقامة صقالاتهم [استحكامتهم][٤٢]. ومن ثم أصدر تيطس أوامره بإحضار آلات الكبش الضاربة. ونصَبها فى مواجهة الصرح الشمالى الداخلى للهيكل لأنه قبل أن يتم إحضارها كانت الآلات الأخرى معا لا تكف عن ضرب الجدار لستة أيام دون أن تتمكن من ترك أى أثر عليه، وذلك بسبب كِبر حجم الحجارة المهول التى كانت أقوى من هذه الآلات وآلات الكبش الضاربة ذاتها. وقد قام حقا بعض الرومان الآخرين بتقويض اساسات البوابة الشمالية، وبعد مشقة عظيمة أزالوا فقط الحجارة الخارجية، بينما ظلت البوابات مع ذلك راسخة فى الحجارة الداخلية وقائمة دون أن يُصيبها أىَّ ضرر إلى أن يئس الرجال من كل هذه المحاولات بواسطة آلاتهم، فأحضروا سلالم إلى الأروقة. ولم يعترضهم اليهود فى أثناء هذه المحاولات، ولكن عندما صعدوا إليهم هجموا عليهم وتقاتلوا معهم فقتلوا بعضا وطردوا البعض الأخر من فوق ومزقوا البعض الثالث وطعنوا بالسيوف الذين عادوا إلى النزول وقتلوهم قبل أن يحصلوا على أتراسهم لتحميهم. بل أنهم قلبوا السلالم وكانت ممتلئة بالمسلحين. وحدثت أيضا مذبحة عظيمة من اليهود فى نفس الوقت لحاملى الرايات الذين كانوا يقاتلون بشدة ضدهم [أى ضد اليهود][٤٢] حاسبين أنه لأمرٌ مخزى ومرعب إن هم سمحوا لهم بخطفها. ومع ذلك استطاع اليهود فى النهاية أن يستولوا

---

٨٣ - ٢٧ اوغسطس، سنة ٧٠م.

عليها ويُمزقوها ويُهلكوا أولئك الذين صعدوا إليهم، بينما كان الآخرون غير مهتمين بما يلاقونه أولئك المقتولين لدرجة أنهم تقهقروا على الرغم من أنه لم يحدث أنَّ أحدًا من الرومان قد مات قبل أن يؤدى خدمة جيدة قبل موته. أمَّا مثيرو الفتن، فإن أولئك الذين قاتلوا بشجاعة فى المعارك السابقة فعلوا المِثل فى هذه المعركة، ومعهم أيضا اليعازر ابن أخى سيمون الطاغية.

ولكن عندما أدرك تيطس أن الإبقاء على هيكل أجنبى قد يتحول إلى هلاك لجنوده وإلى أن يُقتَلوا، أصدر أوامره بإشعال النيران فى البوابات.

(٢/٤/٦) وفى نفس الوقت، هرب إليه انانوس[٨٤] Ananus الذى أتى من عمواس، أكثر رجال سيمون سفكا للدماء. وارشلاوس بن ماجادتوس. وكانا يترجيان العفو لأنهم تركا اليهود وهم ظافرون. لكن تيطس رذلهما، واعتبرها حيلة ماكرة منهما. وعندما أُعلِم عن أعمالهما البربرية ضد اليهود، كان ينوى قتلهما سريعا. وقال لهما أنهما قد هربا فقط لشدة المحنة التى كانا فيها، ولم يخرجا لحسن نيتهما، وأنهما لا يستحقان النجاة. فأولئك الذين بواسطتهم أُحرِقت مدينتهم، غير جديرين بالمحافظة عليهم. وهم يحاولون الآن الفرار من النيران.

ومع ذلك، تغلب الآمان الذى وعد به الهاربين على أحاسيسه، وصرفهم بالتالى. غير أنه لم يمنحهم ذات المزايا التى قدَّمها للآخرين.

والان، كان الجنود قد أشعلوا النار فى البوابات وذابت الفضة التى كانت عليها، وتغلغلت النيران إلى الأخشاب التى بداخلها، ومن ثم بدأت تنتشر من تلقاء ذاتها فى الحال وتُمسك بالأروقة. وعندما رأى اليهود النيران حولهم خارت نفوسهم فى أجسادهم، وكانوا فى ذهولٍ عجيب حتى أنه ولا واحد منهم أسرع ليُدافع عن نفسه أو ليُطفِأ النيران. ولكنهم وقفوا فقط مثل متفرج أخرس. ومع ذلك، لم يحزنوا لخسارة

---

٨٤ - حنانيا بالعبرية.

ما كان يحتويه الآن، ولا تعقلوا للمستقبل. ولكن كما ولو كان البيت المُقَّدَس قد احترق فعلا، ألقوا بغضبهم على الرومان. وقد استمرت هذه النيران خلال ذلك اليوم واليوم التالى أيضا لأن الجنود لم يكونوا قادرين على حرق كل الأروقة التى كانت حواليه فى نفس الوقت، ولكن على أجزاء.

(٣/٤/٦) ولكن فى اليوم التالى أمر تيطس بعضا من جيشه بإطفاء النيران وإعداد طريق خلال البوابات لسهولة زحف الفيالق، بينما جمع هو نفسه القواد معا. ومن أولئك الذين اجتمعوا كان الستة أشخاص الرئيسيين: تيباريوس الكسندر قائد [تحت الجنرال] الجيش كله، وسكستوس سرياليس قائد الفيلق الخامس وكان معهم أيضا إترنيوس قائد الفيلقين اللذيَن أتيا من الاسكندرية، وماركوس انطونيوس يوليانوس حاكم اليهودية. وبعد هؤلاء أتى كل الحُكام والتريبونات tribunes. وعندئذ سألهم تيطس المشورة بشأن ما يُعمل بالبيت المُقَّدَس وكانت بعض الآراء ترى أنه من الأفضل استخدام قواعد الحرب [وتدميره] لأن اليهود لن يكفوا عن العصيان طالما أن هذا البيت قائم. ذلك البيت الذى تعودوا أن يجتمعوا فيه معا. وبعض منهم كانوا رأيهم أنه فى حالة ما إذا تركه اليهود ولم يرفع أحدٌ منهم السلاح فيه، فمن ثم يجب أن يُحافَظ عليه. ولكن فى حالة الحصول عليه والقتال فيما بعد، فيجب أن يُحرق لأنه فى هذه الحالة يجب النظر إليه على أنه ليس بيتا مقدسا ولكن قلعة حربية، وأن عار الحريق سوف يُنسَب عندئذ إلى أولئك الذين أجبروهم على القيام بذلك.

ولكن تيطس قال أنه "على الرغم من أن اليهود يحصلون على هذا البيت، ويحاربوننا من هناك، فإنه ينبغى مع ذلك ألا ننتقم لأنفسنا من الأشياء العديمة الوعى بدلا من الرجال أنفسهم، ولا يتعين بحال من الأحوال حرق عملٍ عظيم كهذا لأن هذا

سيكون شيئا مؤذيا للرومان أنفسهم، كما أنه يمكن أن يكون زينة لحُكمهم إذا ما استمر".

لذلك تشجع فرونتو والكسندر وسريالياس بهذا التصريح، ووافقوا على رأى تيطس، وانفض عندئذ الاجتماع. وأصدر تيطس أوامره إلى القواد بأن يُريحوا بقية قواتهم حتى يكونوا أكثر نشاطا عندما يأتون إلى المعركة. ولكنه أمر بأن الرجال المختارين من الذين أُخِذوا من الكتائب، أن يجتازوا خلال الخرائب ويُطفأوا النيران.

(٤/٤/٦) وصحيحٌ أن اليهود فى ذلك اليوم كانوا متعَبين جدا وفى قنوط عظيم حتى أنهم أحجموا عن القيام بأية هجمات. لكن فى اليوم التالى استردوا قوتهم، وركضوا معا بشجاعة إلى أولئك الذين كانوا يحرسون الدار الخارجية للهيكل، من خلال البوابة الشرقية، وكان ذلك نحو الساعة الثانية من النهار[٨٥]. فقابل الحراس هناك هجومهم هذا بشجاعة عظيمة، وسحبوا سريتهم جنبا إلى جنب وهم يُغطون أنفسهم بأتراسهم كما لو كانوا سورا. ولكنه كان من الواضح أنهم لن يقدروا أن يمكثوا هناك طويلا، وأنهم سيُقهَرون بواسطة هذه الهجمات الغزيرة عليهم وبآلامهم المستعرة. ومع ذلك عندما رأى قيصر من برج انطونيا أن هذه السرية على وشك التراجع. أرسل إليهم بعض الفرسان المختارين لتدعيمهم. وعندئذ وجد اليهود أنفسهم غير قادرين على الصمود فى غزوتهم، فلاذ كثيرون من الباقين بالفرار فوق جثث القتلى الذين كانوا فى المقدمة. ولكن ما أن كف الرومان، حتى رجع اليهود إليهم مرة اخرى وقاتلوهم. وعندئذ هجم الرومان مرة أخرى عليهم، فتقهقروا. واستمر الأمر كذلك إلى الساعة الخامسة من النهار عندما قُهِروا وحُبِسوا فى [الدار] الداخلية للهيكل.

---

٨٥ - بالتوقيت الشرقى، أى الثامنة صباحا بتوقيتنا الحالى.

(٥/٤/٦) عندئذ اختلى تيطس بنفسه فى برج انطونيا، وعزم على اقتحام الهيكل فى اليوم التالى فى الصباح الباكر بكل جيشه، وأن يُعسكر حول البيت المُقَّدَس.

ولكن، بالنسبة لذلك البيت، فمن المؤكد أن الله كان قد حَكَم عليه منذ زمن بعيد بالحرق[٨٦]. وأنَّ ذلك اليوم المصيرى قد حلَّ الآن. فتبعا لمرور الأجيال، كان اليوم العاشر من شهر لوس[آب][٨٧] هو نفس اليوم الذى احترق فيه من قبل بواسطة ملك بابيلون- على الرغم من أن هذا اللهب قد اندلع [فى هذه المرة][٤٢]. من اليهود أنفسهم وكان ناتجا منهم لأنه عندما اختلى تيطس بنفسه، هدأ مثيرو الفتن وقتا قليلا، ثم هجموا على الرومان مرة أخرى عندما كان أولئك الذين يحرسون البيت المُقَّدَس يحاربون الذين يُطفأون النيران التى كانت تحرق الدار الداخلية فى الهيكل. ولكن أولئك الرومان أجبروا اليهود على الفرار وتعقبوهم لغاية البيت المُقَّدَس ذاته.

فى هذا الوقت اختطف واحد من الجنود – بدون أية أوامر، وبدون أى اهتمام أو خوف إزاء عملٍ خطير كهذا – وكأنه مدفوع بحمية مقدسة معينة، بعضا من المواد المشتعلة، وإذ رفعه جندى آخر أشعل النيران فى النافذة الذهبية والتى من خلالها كان هناك ممر إلى الغرف التى كانت حول البيت المُقَّدَس فى الجانب الشمالى منه . وما أن تصاعدت النيران حتى أحدث اليهود ضجة عالية بمقدار فداحة الحزن المطلوب وهرولوا لمنعها. ولم يعودوا الآن يدخرون حياتهم، أو يهتمون بقوتهم طالما أن هذا البيت، الذى من أجله كانوا يحافظون على حراسته آخذ فى الهلاك.

---

٨٦ - لاحظ أن هذه الملاحظة هى لمؤرخ يهودى الجنس والعقيدة عايش الحدث ذاته كشاهد عيان. وفى نظرى ربما شاهد فى صباه المبكر السيد المسيح بالجسد، وربما سمع فى شبابه بعض أقواله. فالدراسون يجعلون فترة حياة يوسفوس القرن الأول الميلادى. المعرب

٨٧- ٢٩ أوغسطس سنة ٧٠م.

(٦/٤/٦) وإذا برجلٍ ما أتى راكضا إلى تيطس بينما كان مستريحا فى خيمته بعد المعركة الأخيرة، وأخبره بالحريق. فنهض سريعا كما هو وركض نحو البيت المُقَّدَس لكى يوقف الحريق. وتبعه جميع قواده ومن ورائهم كل الفيالق فى ذهول عظيم. لذلك كانت هناك ضجة عظيمة، وصرخات عالية كأمر طبيعى فى حالة تحرك جيش عظيم مثل هذا بدون نظام. وأخذ قيصر عندئذ ينادى بصوت عالى على جنوده الذين كانوا يقاتلون بصوت عالى، ويُلَوِّح لهم بيمينه أيضا محاولا اصدار أوامره بإطفاء النيران. ولكنهم لم يسمعوا ما كان يقوله على الرغم من صياحه، فقد اصطكت آذانهم بضجة أعظم بطريق آخر. ولا رأوا إشاراته التى فعلها لهم بيده، فقد كان بعضهم منهمكا فى القتال، وبعضهم فى الانفعال. وبالنسبة للفيالق التى أتت راكضة إلى هناك، فلا أى إغراء أو تهديد استطاع أن يوقف عنفهم، بل كان غضب كلٍ منهم هو قائده فى ذلك الوقت. وإذ كانوا يحتشدون فى الهيكل معا، فإن كثيرين منهم كانوا يدوسون بعضهم بعضا، بينما سقط عدد كبير فى خرائب الأروقة التى كانت ما زالت مستعرة ومدخنة وهلكوا بنفس الطريقة التى دحروا بها أولئك. وعندما اقتربوا من البيت المُقَّدَس سلكوا على النقيض كما لو كانوا لم يسمعوا أوامر قيصر. فكانوا يُشجعون الذين أمامهم على حرقه.

أما بالنسبة لمثيرى الفتن فقد كانوا فى محنة عظيمة عن أن يُقدموا أية مساعدة [نحو إطفاء النيران]، فقد كانوا يُقتَلون فى كل مكان ويُطعنون أينما كانوا. وبالنسبة للشعب، فقد كان الجزء الأكبر ضعيفا وبلا سلاح، فكانت تُقطَع رقابهم حيثما يُمسكوا. وصارت الجثث الآن حول المذبح مكدسة فى أكوام بعضها فوق بعض، بل كانت فوق المذبح أيضا[٨٨]. وسالت على الأرض كميات هائلة من الدماء

٨٨ - لاحظ أن ذلك كان منتهى الدنس. راجع شريعة الدنس فى سفرىّ اللاويين والتثنية. وعقوبة تدنيس المُقَّدَسات.

(٦/٤/٧) ولمَّا كان قيصر غير قادر الآن على وقف حماس الجنود المتأجج، وكانت النيران تتأجج أكثر وأكثر، دخل إلى الموضع المُقَّدَس فى الهيكل، مع قواده، ورآه بكل ما كان فيه، والذى كان أفضل مما تشتمل عليه الهياكل الأجنبية. وليس أقل من أن نفتخر نحن أنفسنا به ونؤمن به.

ولكن لمَّا كانت النيران لم تمتد بعد إلى أجزائه الداخلية، بل كانت ما تزال تلتهم الغرف التى كانت حول البيت المُقَّدَس، وإذ كان تيطس يفترض- ما هو حقيقة - أن البيت ذاته يجب أن يُنقَذ، فإنه دخل مسرعا وحاول أن يُقنع الجنود بإطفاء النيران. وأمر ليباراليوس Liberalius قائد المائة وواحد من رماة الرماح الذين كانوا حوله بأن يضربوا الجنود الذين كانوا مدفوعين بهواهم ويمنعوهم. ولكن غيظهم كان شديدا جدا إزاء الاعتبارات التى وضعها قيصر وخوفهم منه، كما كانت كراهيتهم لليهود وميلهم العنيف إلى القتال أيضا كان شديدا جدا بالنسبة لهم. وأكثر من ذلك كان أمل السلب يدفعهم أكثر إلى الاستمرار إذ ان لديهم فكرة أن كل الأماكن التى فى الداخل مملوءة من النقود عندما كانوا يرون أن كل ما حولهم مصنوع من الذهب. وبالإضافة إلى ذلك فإن واحدا من أولئك الذين دخلوا إلى المكان، أعاق قيصر عندما ركض بسرعة ليمنع الجنود، وألقى النيران على مفصلات البوابات فى الظلام. وبذلك اندلع اللهب من داخل البيت المُقَّدَس ذاته فى الحال. وعندئذ اختلى قيصر ومعه القادة عندما لم يعد لأى أحد أن يمنع الذين فى الخارج من إشعال النار. وهكذا، احترق البيت المُقَّدَس بدون أن يُصدِّق تيطس على ذلك.

(٦/٤/٨) والآن رغم أن كلَّ واحد سينوح بحق على خراب مثل هذا العمل الذى كان، حيث أنه كان أكثر عجائب الأعمال التى رأيناها أو سمعنا عنها، لمبناه الهائل ولضخامته وثرائه العريض الذى كان يُسبَغ عليه من كل جانب، ولصيته المجيد فى

القداسة. ولكن مثل هذا المرء عليه أن يُعزى نفسه بهذا الفكر: أن القدر[٨٩] هو الذى حكَم بهذا الأمر الذى لا يُمكن تجنبه من كلٍ من المخلوقات الحية، والأعمال، والأماكن أيضا. ومع ذلك، فإن المرء يُعجَب من دقة هذه الفترة التى نروى عنها لأنه، كما لاحظنا، كان نفس اليوم ونفس الشهر كما قلنا من قبل الذى احترق فيه البيت المُقَّدَس قبلا بواسطة البابليين.

والان، كانت عدد السنوات التى مرت من تأسيسه الأول بواسطة الملك سليمان إلى خرابه هذا الذى حدث فى السنة الثانية من حُكْم فسبسيان هى ألف ومائة وثلاثون سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما. ومن بنائه الثانى الذى تم بواسطة حجى فى السنة الثانية للملك كورش إلى هذا الخراب فى عهد فسبسيان ستة مائة وتسعة وثلاثون سنة وخمسة وأربعون يوما.

---

٨٩ - عجيب أن يستخدم يوسفوس هذه الكلمة وهو إلى جانب أنه مؤرخ دارس بالطبع للأسفار المقدسة فكيف يستخدم مثل هذه المفردة، فى حين سبق أن قال "الله حكم.."

الكتاب السادس: الفصل الخامس

[المحنة الشديدة التى كان فيها اليهود، عند حرق البيت المُقَّدَس. بشأن النبى الزائف. العلامات التى سبقت هذا الخراب]

(١/٥/٦) وبينما كان البيت المُقَّدَس يحترق كان كل ما تصل إليه اليد يُسلَب، وعددٌ لا حصر لهم من المقبوض عليهم كانوا يُقتَلون، ولم يكن هناك أى رثاءٍ لأى عمر، ولا اعتبار لأى وزن. ولكن الأطفال والعجائز، الكهنة والنجسين، كانوا جميعا يُقتَلون على هذا النحو لدرجة أن هذه الحرب أحدقت بكل أنواع البشر وأوردتهم إلى التهلكة. وأولئك الذين كانوا يتوسلون من أجل حياتهم عومِلوا مثل أولئك الذين كانوا يدافعون عنها بالقتال. وامتدت اللهب إلى مسافات بعيدة، وترددت أصداؤها مع آهات أولئك المقتولين. ولأن التل كان عاليا وأعمال الهيكل كانت عظيمة جدا كان المرء يظن أن المدينة كلها قد احترقت. ولا يقدر أى انسان أن يتخيل أى شىء أعظم أو أكثر رعبا من هذه الضجة. لأنه كان هناك فى نفس الوقت صياح الفيالق الرومانية فى زحفها معا، والجلبة الحزينة للمشاغبين الذين كانوا محصورين الآن بالنيران والسيف، والشعب الأعزل الذى كان يُطعَن من العدو فى قنوط شديد ويتأوه حزنا على الكارثة التى هم فيها. وانضمت أيضا الجماهير التى كانت فى المدينة إلى أولئك الذين على التل فى هذا الصراخ. وبالإضافة إلى أولئك، فإن كثيرين من أولئك الذين أنهكتهم المجاعة وكانت عيونهم تقريبا مغلقة، عندما رأوا حريق البيت المُقَّدَس استجمعوا أقصى ما فى جهدهم وانفجروا فى صراخ وتأوهات. وقد رددت بيرية Pera أيضا الصدى مثلما فعلت الجبال حول [المدينة] وضاعفت من شدة الضجة الكلية. بيدَ أن هذا البؤس كان أشد رعبا من الفوضى ذاتها. لأن المرء كان يظن أن التل نفسه الذى كان الهيكل مقاما عليه قد تفتت بجذوة نار، من كل جانب. وكانت كمية الدم

أكبر من النيران. وكان أولئك الذين يُقتَلون أكثر عددا من القاتلين، إذ لم تعد الارض مرئية من جثث القتلى فى كل مكان، وكان الجنود يسيرون فوق هذه الأكوام وهم يركضون وراء الهاربين. وفر اللصوص وقد طردهم الرومان الآن، إلى الساحة الخارجية، وإلى المدينة. بينما فرَّ الباقون من عامة الشعب الى الرواق فى الساحة الخارجية. وبالنسبة للكهنة، البعض منهم انتزع من البيت المُقَّدَس المسامير الكبيرة التى كانت من الرصاص وأخذوا يرشقون بها الرومان عوضا عن السهام. ولكن عندما وجدوا أنهم لم يجنوا شيئا من عملهم هذا وأن النيران قد شبت فيهم تراجعوا إلى الحائط الذى كان عرضه ثمانية أذرع وباتوا هناك. ولكن اثنين من البارزين - اللذين كانا يمكنهما أن يُنقذا نفسيهما بالذهاب إلى الرومان أو أن يلاقيا قدرَهما بشجاعة مع الآخرين- طرحا نفسيهما فى النيران، واحترقا معا مع البيت المُقَّدَس. وكان اسمهما ميروس ابن بلجاس، ويوسف بن دالوس.

(٢/٥/٦) والآن، وقد رأى الرومان أنه من العبث المحافظة على ما هو حول البيت المُقَّدَس وهو يحترق، فأحرقوا كل هذه الأماكن، وأيضا بقايا الأروقة والبوابات ماعدا اثنتيَن: واحدة عند الجانب الشرقى، وأخرى عند الجنوبى. وقد دُمِرتا الاثنتان معا فيما بعد. وقد أحرقوا أيضا الخزانة التى كانت بها كميات هائلة من النقود، وعدد ضخم من الملابس والسلع الأخرى الثمينة والتى كانت مودَعة هناك. وبإختصار، كان مُكدَّسا هناك فى أكوام، كل غِنى اليهود حيث بَنى الأغنياء لأنفسهم غرفا [لتحتوى على مثل هذه الأثاثات(٩٠)]. وجاء الجنود أيضا إلى باقى الأروقة التى كانت فى الدار الخارجية للهيكل، حيث كانت النساء والأطفال وجمهور عظيم مختلط من الشعب الهارب فى اعداد نحو ستة آلاف. ولكن قبل أن يُحدِد قيصر أى شىء بالنسبة لأولئك

٩٠ - لا أعرف لماذا استخدم المترجم الانجليزى كلمة furniture هنا.

الناس أو يُصدر أية تعليمات لقواده بالنسبة لهم، كان الجنود فى غيظ شديد حتى أنهم أحرقوا هذه الأروقة التى بسببها حدث أن بعضهم قد لقى حتفه عندما ألقوا بنفوسهم فسقطوا على رؤوسهم. وآخرون احترقوا فى هذه الأروقة ذاتها[٩١]، ولم يفلت أىٌ منهم [ممن كانوا فى الأروقة من اليهود][٤٢] بحياته.

وحدث أن نبيا زائفا كان سبب هلاك أولئك الناس. إذ صرَّح جهرا فى المدينة فى نفس اليوم أن الله يأمرهم بالصعود إلى الهيكل، وهناك سيرون الآيات العجيبة لنجاتهم. وقد كان هناك عددٌ كبير من الأنبياء المُزَّيفين المُعَيَّنين من قِبل الطغاة للضغط على الناس، بأن يُعلِنوا لهم هكذا، حتى يترجوا النجاة من الله. وذلك كى يضمنوا [اى الطغاة][٤٢] عدم هروبهم، ولكى يرتفعوا [اى العامة][٤٢] فوق الخوف والهَم بهذه الآمال. والانسان فى مثل هذه المحن يُذعِن بسهولة لمثل هذه الوعود. وعندما يجعله مُخادِع ما مثل هذا يعتقد فى أنه سينجو من هذه المحنة والبؤس الذى يضغط عليه، فإن الصبر يتوفر عندئذ على أساس هذه الآمال.

(٣/٥/٦) هكذا، كان هذا الشعب البائس يُغوَى من قِبل المخادعين، وأولئك الذين يُعطونه فكرة خاطئة عن الله نفسه. بينما لم يُصغوا هم إليه، ولم يُصدِقوا العلامات التى كانت ثابتة والتى تنبأت بوضوحٍ عن هلاكهم العتيد. ولم يعتبروا بهجر الله لهم بل كانوا مثل أناس مفتونين بدون عيون ترى أو عقول تفهم.

---

٩١ - انظر فقرة (١/٣/٦) سابقا,

[أحداث رآها يوسفوس إشارت مسبقة للخراب العتيد][٤٢]

فلقد كان هناك نجم يشبه السيف، كان يقف فوق المدينة، واستمر لمدة سنة. وكان هذا قبل عِصيان اليهود، وقبل ظهور أية فتنة قبل الحرب عندما كان الناس تأتى فى حشود كبيرة لتحتفل بعيد الفطير فى اليوم الثامن من شهر اكسانتيكس[نيسان][٩٢].

وفى الساعة التاسعة من الليل، أضاء نور عظيم فوق المذبح والبيت المُقَّدَس حتى أنه بدى لامعا كضوء النهار، واستمر هذا الضوء لمدة نصف ساعة. وبدا هذا الضوء لغير المهارة كعلامة طيبة. أما الكتبة المُقدَّسين فقد فسروه بأنه نذير للحوادث التى تبعت ذلك فى الحال.

وأيضا فى نفس الاحتفال، بينما كان رئيس الكهنة يقود عِجلة للذبيحة، إذا بها أنجبت حملا فى وسط الهيكل.

وأكثر من ذلك، البوابة الشرقية [للدار الداخلية] للهيكل - والتى كانت من النحاس وثقيلة جدا وكان يُغلقها فى المساء عشرون رجلا، وكانت ترتكز على عروق مُسلَّحة بالحديد ولها مزلاج مُثَبَّت فى عمق سحيق فى الأرض الصلدة التى كانت عبارة عن قطعة حجر واحدة- هذه شوهِدَت تنفتح من تلقاء ذاتها فى نحو الساعة السادسة من الليل[٩٣]. فأتى أولئك الذين كانوا يحرسون الهيكل راكضين إلى قائد الهيكل وأخبروه. فصعد عندئذ وأغلقها مرة أخرى بدون مشقة كبيرة[٩٤]. هذه [الواقعة][٤٢] أيضا ظهرت للدهماء على أنها أُعجوبة سارة، كما لو أن الله قد فتح لهم بذلك باب السعادة. ولكن الرجال المثقفين أدركوا أن أمن بيتهم المُقَّدَس قد انحل من تلقاء ذاته، وأن البوابة قد افتحت لصالح أعدائهم.

---

٩٢ - ٢٥ ابريل.

٩٣ - اى فى الثانية عشر ليلا بتوقيتنا الحالى.

٩٤ - لاحظ "بدون مشقة كبيرة" مقابل "عشرين رجلا"!!.

هكذا أعلنت هذه العلامات سلفا، الخراب الآتى عليهم[٩٥].

بالإضافة إلى ذلك فإنه بعد أيام قليلة من الاحتفال فى اليوم الواحد والعشرين من شهر ارتيميوس Artemisius [أيار][٩٦] ظهرت أعجوبة مذهلة، وظاهرة لا تُصدَّق. وإننى أظن أن روايتها سيكون ضربا من الأساطير لو لم يكن قد رواها أولئك الذين عاينوها، ولو لم تكن المصائب التى تلتها معقولة فى طبيعتها وتستحق هذه الإشارات. فقبل غروب الشمس، إذا بمركبات وحشود من الجنود فى دروعهم كانوا يُشاهَدون راكضين بين السُحب ويُحدِقون بالمدن. والأكثر من ذلك أنه فى ذات الاحتفال الذى ندعوه البنطقستى بينما كان الكهنة يدخلون ليلا إلى [الدار] الداخلية [للهيكل]، كما كانت عادتهم، لإنجاز خدماتهم المُقَّدَسة، شعروا أولا- كما قالوا- بزلزلة، وسمعوا جلبة. وبعد ذلك سمعوا صوتا كصوت جمع غفير يقول "فلنترك هذا المكان".

ولكن ماهو أكثر رعبا، أنه كان هناك رجل اسمه يشوع ابن حنانيا[٩٧]، مزارع من عامة الشعب. هذا جاء قبل الحرب بأربع سنوات، وفى وقت كانت المدينة فيه فى رخاء وسلام عظيم. أتى إلى العيد- حيث من عاداتنا فيه أن يصنع كل واحدٍ مظلة لله- وبدأ فجأة يصيح عاليا وفى الهيكل "صوت من المشرق. صوت من المغرب[٩٨]. صوت من الرياح الأربعة. صوت ضد اورشليم والبيت المُقَّدَس. صوت ضد العريس.

٩٥ - لستُ مع يوسفوس فى هذا التعليق. فالنبوة فى الواقع لا تظهر ولا تتضح أنها حقيقية وأنها من الله، إلا بعد تمامها. فتلاميذ السيد المسيح بدأوا يفهمون كل النبوات التى كُتبت عن السيد المسيح بعد الصلب والقيامة ولذلك نقرأ "عندئذ تذكروا ما قيل بالنبى..."؟؟؟. وهذا أيضا كان تعليق يوسفوس نفسه فى الظاهرة التى سيرويها حالا بعد قليل إذ يقول هو نفسه "كما أثبتت الحالة فيما بعد: أما قبل ذلك يمكن أن تظهر النبوة وإن كانت صادقة حقا على أنها دعوة انهزامية وتثبيط لهمم المجاهدين والمحاربين، ودفع الشعب إلى الخوار. أى يمكن أن يظهر النبى- وإن كان حقيقيا هو كذلك، وليس زائفا - كخائن للوطن وللشعب وهو ما حدث مع ارميا.

٩٦ - ٨ يونيو

٩٧ - كتبه المترجم الانجليزى يسوع ابن انانوس Jesus, the son of Ananus

٩٨ - ليس دولة المغرب بأفريقيا الآن، فلم تكن قد ظهرت بعد على خريطة المسكونة بهذا الإسم. ولكن من القِسم الغربى للأرض.

صوت ضد العروس. صوت ضد كل الشعب". وهذا كان صراخه بينما كان يطوف فى كل أزقة المدينة ليلا ونهارا. وكان للأكثر اعتبارا بين الشعب سخط عظيم على صراخه هذا. وقبضوا على الرجل وجلدوه بقسوة جلدات عديدة. وأما هو فلم ينطق بأى شىء لا دفاعا عن نفسه، ولا بأى شىء خاص بأولئك الذين يضربونه، بل ظل مستمرا فى نفس الكلمات التى كان يصرخ بها من قبل. وعندئذ احضره حُكَّامنا وهم مفترضين- كما اثبتت الحالة فيما بعد - أن هذا كان نوعا من الإلهام الإلهى فى الرجل. فأحضروه إلى الحاكم الرومانى الذى جلده بالسياط إلى أن برزت عظامه. ومع ذلك لم يتوسل من أجل نفسه ولم يذرف أية دموع لكن حوّل صوته إلى نغمة نائحة أكثر ما يمكن عند كل جلدة من السياط مرددا "الويل لأورشليم". وعندما سأله البينوس Albinus (الذى كان حاكمنا آنذاك) مَن يكون هو، ومن أين جاء؟ ولماذا يتمتم بهذا الكلام؟. لم يهتم بالرد عما سأله، ولكنه لم يكف عن الترديد الجنونى لذات الكلمات إلى أن حسبه البينوس مجنونا وصرفه. وخلال كل هذا الوقت الذى مضى قبل بداية الحرب، لم يكن هذا الرجل يقترب من اى واحد من المواطنين. ولم يُرَ قط متكلما مع أى انسان، وإنما كان ينوح كل يوم بهذه الكلمات كما لو كانت نذره المُتَعمَّد: "الويل. الويل لأورشليم". ولم يتكلم لا بكلمة سوءٍ على أولئك الذين يضربونه، ولا بكلمة طيبة إلى أولئك الذين كانوا يُطعمونه. ولكن هذا كان رده على كل الناس. وحقا لم يكن هناك شىء آخر أكثر إختلالا لعقله مما كان عتيدا أن يكون. كان صراخه هذا هو الأعلى فى الاحتفالات. وقد استمر فى قصيدته هذه سبع سنوات وخمسة أشهر، بدون أن يجش صوته أو يكل إلى ذلك الوقت الذى رأى فيه إنذاره يتحقق ويتم فى حصارنا، وعندئذ كفَّ. لأنه عندما كان يطوف حول السور، صاح بأقصى قوته "الويل. الويل مرة أخرى للمدينة. الويل للشعب. الويل للبيت المُقَّدَس". وحينذاك أضاف أخيرا للتو " الويل. الويل لنفسى أيضا." وهنا أتى حجرٌ من إحدى الآلات وصدمه وقتله فى الحال، وأسَلم روحه بينما كان يردد نفس الإنذار.

(٤/٥/٦) والآن، إذا كان أى شخص يتخذ هذه الأمور عبرة فلسوف يجد أن الله يعتنى بالبشر ويُظهِر لجنسنا، بكل الوسائل الممكنة، ما هو لحفظهم. ولكن أولئك البشر يهلكون بشقاوتهم التى يجلبونها على أنفسهم بجنونهم وبإرادتهم. لأن اليهود عندما نقضوا برج انطونيا، جعلوا الهيكل مربعا. بينما فى نفس الوقت مكتوب فى وحيهم المُقَّدَس أنه عندما يُصبح هيكلهم مربعا، عندئذ تُؤخذ مدينتهم وبيتهم المُقَّدَس أيضا[٩٩]".

ولكن الآن ما هو أكثر عجبا لهم فى مباشرة الحرب، كان وحيا ملتبسا وُجِد أيضا فى كتاباتهم المُقَّدَسة. كيف أنه فى نحو ذلك الزمان واحدٌ من وطنهم سيصير حاكما للمسكونة". وقد أخذ اليهود هذا التكهن بالنسبة لهم بصفة خاصة، وانخدع كثيرون من العقلاء لذلك فى تحديدهم [لهذه الشخصية][٤٢]. والآن، هذا الوحى يُشير بالتأكيد إلى حكومة فسبسيان الذى عُيِّن امبراطورا فى اليهودية. ومع ذلك ليس ممكنا للبشر الهروب من القدر على الرغم من رؤيتهم له سلفا، ولكن أولئك الناس فسروا هذه العلامات تبعا لهواهم الخاص. وبعضهم ازدرى بها كلية إلى أن ظهر غباؤهم بأخذ المدينة، وهلاكهم معا.

٩٩ - للأسف لم يزودنا لا المؤرخ اليهودى يوسفوس بمرجع أو مصدر هذه العبارة وأين وردت بالضبط، ولا المترجم إلى الانجليزية بتعليق عليها. ويغلُب علىَّ الظن أن يوسفوس استقاها هنا من كتب التقاليد اليهودية العامة والأقوال الشفاهية لمعَلِّمى اليهود.

الكتاب السادس: الفصل السادس

[كيف حمل الرومان راياتهم إلى الهيكل. وهنفوا لتيطس. خطاب تيطس إلى اليهود عندما التمسوا الرحمة. وردهم عليه. وكيف أثار ردهم سخط تيطس عليهم.]

(١/٦/٦) والآن، عقب هروب مثيرى الفتن إلى المدينة، وحرق البيت المُقَّدَس ذاته وكل المبانى التى حواليه، أحضر الرومان راياتهم إلى الهيكل ونصبوها فى مواجهة البوابة الشرقية وقدَّموا هناك الذبائح لأجلها. وأقاموا تيطس امبراطورا بتهليل فرح شديد. وصار لجميع الجنود كميات كبيرة من الغنائم التى حصلوا عليها بالنهب حتى أن الجنيه الذهب كان يُباع فى سوريا بنصف قيمته السابقة.

ولكن بالنسبة لأولئك الكهنة الذين حفظوا أنفسهم فوق سور البيت المُقَّدَس. فكان هناك ولد بسبب العطش الذى كان فيه أراد أن يُعطيه الرومان يمينهم بالآمان لحياته، واعترف أنه عطشان جدا. فأشفق الحراس عليه نظرا لسنه، وللمحنة التى هو فيها وأعطوه يمينهم بالتالى. فنزل بنفسه وشرب بعض الماء وملأ إناءً كان معه عندما أتى إليهم بالماء، ثم قفِل راجعا إلى أصدقائه. ولم يستطع أحدٌ من الحراس أن يتغلب عليه، ولكنهم أخذوا يُعنفونه على غدره. فأجاب على ذلك قائلا: "إننى لم أكسر الإتفاق، لأن الآمان الذى أخذته لم يكن لكى أمكث معكم، ولكن فقط لكى أنزل بآمان وآخذ بعض الماء. ولقد أتممتُ الأمرين. ولذلك أظن فى نفسى أننى وفيّتُ بتعهدى". فأُعجب أولئك الذين خدعهم بالصبى ومكره بسبب سنه.

وفى اليوم الخامس بعد ذلك، نزل الكهنة الذين تضوروا جوعا من المجاعة. وعندما أحضرهم الحراس إلى تيطس، توسلوا من أجل حياتهم، ولكنه رد عليهم قائلا: أن وقت الصفح قد انتهى بالنسبة لهم. وأن هذا البيت المُقَّدَس الذى كان بسببه فقط يمكنهم أن يلتمسوا، بحق، المحافظة عليهم قد دُمِّر. وأنه من الملائم

لوظيفتهم أن يهلك الكهنة مع البيت ذاته الذى ينتمون إليه. لذلك حكَم عليهم بالموت.

(٢/٦/٦) ولكن بالنسبة للطغاة أنفسهم والذين كانوا معهم، فأولئك عندما وجدوا أنفسهم محاصرين من كل جانب بسور، وليست هناك أية وسيلة للهرب، أرادوا أن يتعاملوا مع تيطس بكلام الفم. وتبعا لذلك - ومن طيبة طبيعته ولرغبته فى أن يصون المدينة على أية حال من الخراب، وبمشورة أصدقائه الذين ظنوا أن اللصوص قد صاروا الآن فى حالة تعقل- وضع نفسه فى الجانب الغربى [للدار] الخارجية للهيكل، لأنه كانت هناك بوابات فى ذلك الجانب فوق اكسستس Xystus، وقنطرة توصل المدينة العليا بالهيكل. وهذه القنطرة كانت تقع بين الطغاة وقيصر وتفصل بينهم، بينما اكتظت الجماهير من الناحيتين. أولئك الذين من الأمة اليهودية حول سيمون ويوحنا، يأملون بشدة فى العفو. والرومان فى انتظار ما سيطلبه قيصر منهم. لذلك أمر تيطس جنوده أن يُسَكِنوا غيظهم، ويضعوا سهامهم جانبا. وعيَّن مترجما كعلامة على أنه الظافر وبدأ أولا خطابه قائلا:

ارجوكم يا سادة وقد شبعتم الآن بمصائب بلدكم، تلك التى لم تكن لأية أمة، وجلبتم الدمار لشعبكم ومدينتكم وبيتكم المُقَّدَس، سواء بقوتنا العظيمة أو بضعفكم الشديد ولكن كمثل مجانين على نحو غير مقبول وعنيف. وفى الحقيقة، كان يجب أن تَهلكوا حيث أنكم لم تكفوا عن عصيانكم منذ أن دحركم أولا بومبى، وأشهرتم منذ ذلك الحين الحرب على الرومان. فهل تعتمدون على جماهيركم بينما جزء صغير جدا من العسكرية الرومانية كان قويا جدا لكم. هل تتكلون على إخلاص حلفائكم؟. أى أممٍ هناك خارج حدود سلطاننا، يمكنها أن تساعد اليهود ضد الرومان. هل أجسامكم أقوى من

أجسامنا؟. إنكم تعلمون أن الجرمان[١٠٠] أنفسهم [الأقوياء] عبيد لنا. هل ترتكنون على قوة أسواركم؟ أى عقبة أعظم من سور المحيط الذى يُطوِّق بريطانيا، ومع ذلك كانوا يمدون أذرعتهم للرومان. هل تتكلون على شجاعة نفوسكم وحكمة قوادكم؟ كلا، إنكم، فى الحقيقة، لا تقدرون إلا أن تعرفوا أن القرطاجنيين قد دُحِروا منا. لذلك لا يمكن أن يكون هناك شىء مؤكد سوى طبيعة الرومان الذين فى المقام الأول أعطوكم هذه الأرض لتمتلكوها[١٠١] وفى المقام الثانى، أقاموا عليكم ملوكا من أمتكم. وفى المقام الثالث، حافظوا لكم على شرائع آبائكم. وأخيرا سمحوا لكم بالحياة كما تُسرون بالنسبة لأنفسكم وللآخرين. وماهو معروفٌ بصفة رئيسية لنا هو أننا قد أعطيناكم تصريحا أن تُحَصِّلوا الجزية المدفوعة لله مع الهبات الأخرى المُكرِّسة له. ولم نستدعِ أولئك الذين يُقدِّمون عطاياهم لهذا السبب أو نمنعهم. حتى صرتم أخيرا أغنى منا نحن أنفسنا، حتى عندما كنتم أعداءنا وكنتم تُجهزون للحرب ضدنا بنقودنا. كلا، وبعد كل ذلك عندما كنتم تتمتعون بكل هذه المزايا حوَّلتم وفرتكم العظيمة إلى ضد أولئك الذين منحوكم إياها. وكمثل أفاعى بلا رحمة نفثتم سمومكم على أولئك الذين عاملوكم بطيبة. إننى أعتقد لذلك أنه ينبغى أن تزدروا بكسل نيرون. وكمثل أطراف الجسد المكسورة أو المُعوَقة، صرتم خاملين منتظرين لوقت آخر وإن كان، مع ذلك، بنية خبيثة. وعندما انتشر بينكم الوباء، أظهرتم أنفسكم، وبسطتم رغباتكم إلى أبعد ما تُمكنكم منه تطلعاتكم الهائلة غير الفطنة. لقد جاء أبى إلى هذا البلد لا بقصد عقابكم على ما فعلتموه مع سستيوس Cestius، ولكن لكى يحثكم. لأنه لو كان قد جاء

١٠٠ - الألمان حاليا.

١٠١- طبعا هذا فكر خاطىء من تيطس، فالله هو الذى أعطاهم هذه الأرض. ولكن عُذر تيطس هنا أنه يتكلم كغازى وكفاتح وكمستعمر وبلغته "كسيد" لمعظم أجزاء المعمورة المعروفة آنذاك.

لقلب أمتكم لكان قد ركض مباشرة إلى ينبوعكم الرئيسى، وخرَّب فى الحال هذه المدينة، ولكنه ذهب وغزا الجليل والأجزاء المجاورة. وبهذا أعطاكم وقتا للندم. والأمر الذى كان من انسانيته، ظننتموه أنتم ذريعة ضعف. وغذيتم صفاقتكم بلطفنا. عندما رحل نيرون عن العالم، فعلتم مثلما يفعل اشقى الأشرار وشجعتم أنفسكم ضدنا بسبب شقاقنا المدنى، وأسأتم استعمال ذلك الوقت الذى كان فيه كلٌ من أبى وأنا ذاهبون إلى مصر لتُجهزوا الاستعدادات لهذه الحرب، ولم تخجلوا من إثارة الاضطرابات ضدنا عندما صرنا أباطرة. وهذا بينما كنتم قد اختبرتم مدى لطفنا عندما لم نكن سوى جنرالات فى الجيش. بل عندما كانت السلطة تنتقل إلينا، وكان كل الناس الآخرون هادئين حتى أن الأمم الأجنبية أرسلت سفارات لتهنئتنا بالحصول على الحُكم، أظهرتم أنتم أيها اليهود مرة أخرى عداءكم لنا. فأرسلتم سفارات إلى أولئك الذين من أمتكم فيما وراء الفرات ليُساعدوكم على إثارة القلاقل، وكنتم تبنون أسوارًا جديدة حول مدينتكم، وتُثيرون الفتن، ويتنافس طاغية مع آخر، وحرب أهلية تندلع بينكم. مثل هذا، فى الحقيقة، لا يصير إلا لشعب شرير مثلكم. لذلك، أتيتُ إلى هذه المدينة مرسولا من أبى بدون إرادتى، وتلقَّيتُ أوامرا مشددة منه. وعندما علِمتُ أن الشعب يجنح إلى السلام، ابتهجتُ لذلك وأخذتُ أحضكم على الإقلاع عن هذه الأمور قبل أن أبدأ هذه الحرب. وكنتُ أُحافظُ عليكم حتى عندما كنتم تُحاربوننى لفترة طويلة، وأعطيتُ يمينى بالآمان للمارقين، وتقيدتُ بما وعدتُ به بإخلاص عندما فروا إلىَّ. وأشفقتُ على كثيرين ممن أخذتهم أسرى، وعذَّبتُ فقط أولئك الذين كانوا يتوقون إلى الحرب لكى أمنعهم. لقد كان بدون رغبتى إحضار الآلات ضد أسواركم، منعتُ دائما جنودى من قسوتهم عليكم عندما قاموا لقتلكم. وعقب كل انتصارٍ، كنت أناشدكم للسلام، كما ولو كنتُ أنا نفسى المهزوم. وعندما اقتربتُ من هيكلكم

تخليتُ مرة أخرى عن شرائع الحرب، وناشدتكم أن تدخروا أنفسكم وتصونوا بيتكم المُقَّدَس، وسمحت لكم بخروج هادىء منه، وبآمان لبقائكم. أو إذا أردتم القتال أذنتُ لكم أن يكون فى مكان آخر. ولكنكم كنتم تزدرون بكل اقتراح من عروضى، وأشعلتم النار بأياديكم فى بيتكم المُقَّدَس. والان، أيها الأشقياء الأشرار هل تريدون التعامل معى بكلام الفم لتُنقذوا هذا البناء كما كان، الذى دُمِّر الآن؟. أى بقاء يمكن أن يكون لكم الآن بعد خراب هيكلكم. ومع ذلك، ما زلتم حتى هذه اللحظة تقفون فى دروعكم، ولا يمكنكم أن تجعلوا نفوسكم تتظاهر بالتضرع حتى فى شدتكم القصوى ايها التعساء. ما هو هذا الذى تعتمدون عليه. ألم يمُت شعبكم؟. ألم يَضَع بيتكم المُقَّدَس؟. أليست مدينتكم تحت سلطانى؟. أليست حياتكم نفسها فى يدىَّ، أم ما زلتم تحسبونه أمرًا جليلا أن تموتوا بشدة؟. ومع ذلك فإننى لن أحاكى جنونكم، فإذا طرحتم أسلحتكم، وسلَّمتم أجسادكم لى فإننى أهب لكم حياتكم. وسأسلك مثل رب عائلة لطيف، ما لا يمكن شفاؤه يُعاقَب، والباقى سأصونه لإستعمالى الخاص".

(٣/٦/٦) فأجابوا على هذا العرض من تيطس أنهم لا يستطيعون قبوله لأنهم أقسموا ألا يفعلوا ذلك أبدا. ولكنهم يرغبون فى الحصول على تصريح بالخروج من السور الذى حولهم، هم وزوجاتهم وأطفالهم لأجل أن يذهبوا إلى الصحراء ويتركون المدينة له.

وعندئذ صار تيطس فى سخط شديد، ذلك لأن أناسًا قد أُخِذوا بالفعل أسرى، يُريدون أن يُملوا شروطهم عليه كما ولو كانوا هم الغالبون. لذلك أمر بإلقاء هذا البيان عليهم:

" لن يأتِ بعد الآن أى أحدٍ إليه كهارب. ولن يترجوا أىَّ آمان بعد ذلك، لأنه من الآن فصاعدا لن يُبقِ على أى أحدٍ، ولكن سيحاربهم بكل

الجيش. وعليهم أن يُنقذوا أنفسهم بقدر ما يستطيعون، لأنه من الآن فصاعدا سيُعاملهم وفقا لشرائع الحرب".

ولذلك أصدر أوامره إلى جنوده لحرق وسلب المدينة معا. وحقا لم يفعلوا شيئا فى ذلك اليوم، ولكنهم فى اليوم التالى أشعلوا النار فى الأروقة، وفى أكرا ودار الولاية، وفى مكان يُدعَى اوفلاس Ophlas. وعندئذ امتدت النيران بعيدا لغاية قصر الملكة هيلينا الذى كان فى وسط أكرا واحترقت الأزقة ببيوتها التى كانت مكدسة بجثث أولئك الذين هلكوا بالمجاعة.

(٤/٦/٦) وفى نفس ذلك اليوم اجتمع معا أبناء وإخوة الملك إزاتس Izates، مع كثيرين من عامة الشعب المعتبرين وتوسلوا إلى قيصر أن يُعطيهم يمين الأمان. وعندئذ، بالرغم من أنه كان فى غضب شديد على كل الباقين الآن، إلا أنه مع ذلك لم يُنحِ جانبا إعتداله القديم وقبِل أولئك الرجال. فى ذلك الوقت حفظهم جميعا حقا فى حبس، لكنه ربط أبناء الملك وأقاربه وقادهم معه فيما بعد إلى روما ليجعلهم رهائن لإخلاص بلادهم للرومان.

الكتاب السادس: الفصل السابع

[ما جرى بعد ذلك لمثيرى الفتن عندما فعلوا إساءة عظيمة، وعانوا من بلايا عديدة. وكيف صار قيصر سيدا للمدينة العليا]

(١/٧/٦) والان، اقتحم مثيرو الفتن القصر الملكى الذى وضع فيه كثيرون ممتلكاتهم لأنه كان قويا جدا، وطردوا الرومان منه، وقتلوا أيضا جميع الناس الذين احتشدوا فيه والذين بلغ عددهم نحو ثمانية آلاف وأربعمائة وسلبوهم مما كان معهم. وأسِروا اثنين من الرومان أحياء. واحد من المشاة والآخر من الفرسان. فقطعوا عندئذ رقبة جندى المشاة، وجروه فى الحال فى كل المدينة كإنتقام لأنفسهم من جميع الرومان بهذه الحالة الوحيدة. ولكن الفارس قال لهم أن لديه اقتراح لكى يصونوا أنفسهم. وفى الحال اُحضِر إلى سيمون. ولكنه إذ لم يكن لديه شىء ليقوله هناك، أسلمه عندئذ لأردلاس- واحد من قواده- ليُعاقبه. وهذا ربط يديه وراءه ووضع عصابة على عينيه، وأحضره قدام الرومان كأنه يقصد قطع رقبته. ولكن الرجل منع هذا الإجراء وركض نحو الرومان، وذلك بينما كان الذين سيعدمونه يجردونه من سيفه. وعندما هرب من الأعداء، لم يستطع تيطس أن يُفكر فى قتله، ولكن لأنه كان يحسبه غير مستحق أن يكون جنديا رومانيا فيما بعد بسبب أنه أُخِذ حيا بواسطة أعدائه، جرَّده من سلاحه وطرده من الفيلق الذى كان ينتمى إليه. الأمر الذى كان علامة عار وعقوبة أشد من الموت نفسه.

(٢/٧/٦) وفى اليوم التالى، طرد الرومان اللصوص خارج المدينة السفلية، وأضرموا النيران فيها إلى سلوام. وكان أولئك الجنود مسرورين حقا بتخريب المدينة، ولكنهم فقدوا السلب. ذلك أن مثيرى الفتن كانوا قد حملوا معهم كل ممتلكاتهم

واعتزلوا بالمدينة العليا لأنهم لم يندموا رغم كل ذلك على ما اقترفوه من اساءات لكنهم كانوا وقحين كما لو كانوا قد فعلوا حسنا. لأنهم ما أن رأوا المدينة تضطرم بالنيران حتى ظهروا مبتهجين وقالوا أنهم ينتظرون الموت بسرور وقد تركوا لا شىء للعدو. فالشعب قد قُتِل، والبيت المُقَّدَس قد احترق، والمدينة قد خُرِّبت

ومع ذلك لم يكل يوسفوس حتى فى هذه الضيقة القصوى عن أن يتوسل اليهم أن يُنقِذوا باقى المدينة. وتكلم كثيرا معهم عن عدم تقواهم وبربريتهم ونصحهم لكى يهربوا. على الرغم من أنه لم يجن منهم شيئا سوى السخرية. وإذ كانوا غير قادرين على تسليم أنفسهم بسبب القَسَم الذى أخذوه، ولم يكونوا أقوياءً بما فيه الكفاية لمحاربة الرومان بعد ذلك ميدانيا، إذ كانوا محاصرين من كل جانب وكانوا فى الواقع كمسجونين على نحو ما، وكانوا متعودين على قتل الناس، فإنهم لم يقدروا أن يُحجموا أياديهم عن فِعل ذلك بالتالى. لذلك فرَّقوا أنفسهم أمام المدينة، وكمنوا هناك بين الخرائب ليقبضوا على كل مَن يحاول الهرب إلى الرومان. وبالتالى فإن كثيرين ممن قُبِض عليهم قُتِلوا لأنهم كانوا ضعفاء جدا بسبب عوزهم إلى الطعام عن أن يهربوا منهم. وأُلقِيَّت جثثهم إلى الكلاب. لقد كان أى نوع آخر للموت أكثر احتمالا من المجاعة، لدرجة أنه على الرغم من يأس اليهود الآن فى الرحمة، إلا أنهم مع ذلك هربوا إلى الرومان، وأرادوا بنفْسٍ واحدة أن يقعوا حتى فى يد القتلة والعصاة أيضا. ولم يكن هناك أى مكان فى المدينة ليس به جثث موتى، بل كانت مغطاة بالكامل بجثث الذين قُتِلوا إما بالمجاعة وإما بالعصاة. كان كل شىء مملوء بجثث الذين هلكوا بالفتنة والمجاعة.

(٣/٧/٦) والآن، كان الأمل الأخير الذى يدعم الطغاة واللصوص الذين معهم هو الكهوف والمغائر التى تحت الأرض، حتى إذا ما هربوا إليها لا يتوقعون البحث عنهم. لذلك سعوا إليها بعد خراب المدينة، حتى يمكنهم عند انصراف الرومان

الخروج منها ثم الهرب منهم. ولم يكن هذا أكثر من حُلم بالنسبة لهم. لأنهم لم يكونوا غير قادرين على الإختباء، لا من الله ولا من الرومان. ومع ذلك، فقد اعتمدوا على هذه السراديب التحت أرضية، وأضرموا النيران فى أكثر الأماكن، أكثر من الرومان أنفسهم. وأولئك الذين هربوا من بيوتهم المحترقة هذه إلى الخنادق، كانوا يقتلونهم بدون رحمة ويسلبونهم أيضا. وإذا وجدوا معهم طعاما يخص أىَّ واحدٍ يقبضون عليهم ويبتلعونه بدمه أيضا. بل لقد بدأوا يقتلون بعضهم بعضا بشأن الأسلاب. ولا يمكننى إلا أن أظن أنه لو لم يكن هلاكهم قد حال دون ذلك، لأفضت بهم بربريتهم إلى تذوق طعم الجثث ذاتها.

الكتاب السادس: الفصل الثامن

[كيف أقام تيطس الصقالات حول المدينة العليا. وعندما كملت، أصدر أوامره بإحضار الآلات. استيلائه على كل المدينة بنفسه]

(١/٨/٦) وعندما أدرك تيطس أن المدينة العليا كانت شاهقة على نحو لا يمكنه أن يأخذها بدون إقامة صقالات أمامها، وزع الأجزاء المتعددة للعمل بين جيشه. وكان ذلك فى اليوم العشرين من شهر لوس [آب][١٠٢]

وكان جلب المواد عبء صعب جدا حيث أن جميع الشجر الذى كان حول المدينة داخل مسافة مائة غلوة كانت قد قُطِعَت بالفعل لإقامة الصقالات السابقة، كما قلت لكم من قبل. وكانت الاعمال المخصصة للفيالق الاربعة هو نصبها فى الجانب الغربى من المدينة فى مواجهة القصر الملكى. أما [نصيب] كل الفرق المساعِدة وباقى الجموع التى كانت معهم فكان [نصب صقالتهم] عند اكسستوس، ومن هناك يَصِلون إلى القنطرة وبرج سيمون الذى كان قد بناه لنفسه كقلعة له ضد يوحنا عندما كانا يحاربان بعضهما بعضا.

(٢/٨/٦) وكان فى ذلك الوقت أن قادة الإدوميين اجتمعوا معا على انفراد وتشاوروا فى تسليم أنفسهم للرومان. وبالتالى ارسلوا خمسة رجال إلى تيطس، وتوسلوا إليه أن يُعطيهم يمين الآمان. وهكذا ظن تيطس أن الطغاة سيستسلمون إذا تخلى عنهم الإدوميُون الذين يعتمدون عليهم فى الجزء الأكبر من الحرب. عندئذ بعد بعض التأخير والتمنع اتفق معهم ومنحهم الآمان لحياتهم، وأرجع الخمسة رجال. ولكن ما أن استعد الإدوميون للإنسحاب حتى أدرك سيمون ذلك، فقتل فى الحال

---

١٠٢ - ٦ سبتمبر سنة ٧٠م.

الخمسة رجال الذين ذهبوا إلى تيطس، وقبض على قادتهم وحبسهم فى سجن. وكان من بينهم يعقوب بن سوساس. ولكن بالنسبة لجمهور الإدوميين الذين لم يعرفوا على الإطلاق ماذا يفعلون وقد اُخِذ قوادهم منهم، فقد راقبهم، وأمَّن الأسوار بعددٍ أكبر من الحاميات. ولكن هذه الحاميات لم تستطع أن تُقاوم مع ذلك أولئك الذين كانوا يهربون. فعلى الرغم من أن عددا كبيرا منهم قد قُتِل، لكن الهاربين مع ذلك كانوا أكبر عددًا منهم. وأولئك جميعا اُستُقبِلوا بواسطة الرومان لأن تيطس نفسه بسبب انسانيته أهمل أوامره السابقة بقتلهم، وبسبب أن الجنود أنفسهم قد كلَّوا من قتلهم، ولأنهم آملوا فى الحصول على بعض النقود بالإبقاء على حياتهم. لأنهم تركوا فقط المواطنين وباعوا باقى الجموع مع زوجاتهم ونسائهم وكل واحد منهم بثمن بخس وذلك لأن الذين كانوا معروضين للبيع كان عددهم كبيرا جدا وكان المشترون قليلين. وعلى الرغم من أن تيطس كان قد أعلن سابقا بألا يأتى أحد من الهاربين وحده ولكن مع أسرته، لكنه استقبل أولئك وأولئك أيضا. ومع ذلك، ميز بينهم وبين مَن كان منهم يستحق العقاب. وحقا، كان عدد الذين بيعوا كبيرا جدا. ولكن من المواطنين اُنقِذ نحو اربعين ألف. أولئك اطلقهم قيصر ليمضوا إلى حيثما يُريدون.

(٣/٨/٦) ولكن فى ذلك الوقت، حدث أن واحدا من الكهنة، اسمه يشوع ابن ثيبوثوس Thebuthus، عندما نال الآمان بقسم قيصر على نجاته بشرط أن يُسَلِّمه الأشياء الثمينة المودعة فى الهيكل، خرج منه وسَلَّمه من سور البيت المُقَّدَس شمعدانيَن مثل اللذان كانا فى البيت المُقَّدَس، مع موائد وأوانى من الذهب الخالص وكانت ثقيلة جدا. وأيضا سلَّمه الستور والملابس والأحجار الكريمة وعدد كبير من الأوانى الثمينة التى تخص العبادة المقدسة.

وأيضا خازن الهيكل وكان اسمه فينحاس قُبِض عليه وأظهر أيضا لتيطس معاطف ومناطق الكهنة، مع كمية كبيرة من الأرجوان والقرمز كانت مودَعة هناك

لأغراض الستور. وكذلك كمية كبيرة من القرفة والسَّنا (كاسيا) مع كمية كبيرة أيضا من العِطارة التى كانت تُخلَط معا وتُقدَّم كبخورٍ إلى الله فى كل يوم. وسُلِّمت إليه أيضا خزائن أخرى كثيرة مع جواهر مقدسة للهيكل ليست بقليلة مقابل الحصول منه لهذا الرجل – (على الرغم من أنه كان قد أُسِر بالقوة)- على نفس العفو الذى كان قد سمح به لأولئك الهاربين من تلقاء ذواتهم.

(٤/٨/٦) ولمّا تمت إقامة الصقالات فى اليوم السابع من شهر جوربيوس Gorpieus [ايلول][١٠٣] فى مدة ثمانية عشر يوما، أحضر الرومان آلاتهم ضد السور. ولكن بالنسبة لمثيرى الفتن، فإن بعضا منهم وهم يائسون فى انقاذ المدينة، انسحبوا من السور إلى القلعة. وآخرون نزلوا إلى اسفل فى الشقوق الأرضية. وعلى الرغم من أن كثيرين منهم ظلوا يدافعون عن أنفسهم ضد أولئك الذين أحضروا آلات الضرب، إلا أن الرومان مع ذلك قهروهم بِعددهم وعتادهم. والشىء الرئيسى فى كل هذا كان إقدامهم على العمل بابتهاج، بينما كان اليهود قد أصبحوا ضعفاء وهزلين.

والان، بمجرد أن اندك جزء من السور، واستسلم جزء من الأبراج لضربات آلات الكبش الضاربة، لاذ أولئك الذين كانوا يقومون بالفرار وحلَّ ذعر شديد على الطغاة أعظم مما تسمح به الأمور. لأنه حتى قبل أن يصعد الأعداء إلى الصقالات كانوا قد صُعِقوا تماما، وولوا الإدبار فى الحال. وكان الانسان يرى أولئك الذين كانوا وقحين ومتعجرفين فى ممارساتهم الشريرة، مطروحين مرتعدين لدرجة تستدر شفقة قلب الانسان ليلاحظ التغير الذى حدث فى أولئك الأشرار. ومن ثم ركضوا بعنف شديد نحو سور الرومان الذى كان يُحدق بهم لكى يشقوا طريقا لهم بين حرسه، ولكى يجتازوه ويخرجون منه. ولكن عندما رأوهم أولئك الذين كانوا مخلصين لهم فى

١٠٣ - ٢٨ سبتمبر، ٧٠م.

السابق [هكذا] تخلوا عنهم. (وحقا، كانوا يهربون كلما كانت المحنة الشديدة تقنعهم بالهرب). كما أن أولئك الذين ركضوا قبلهم قالوا لهم أن السور الغربى قد انهار بالكامل. بينما قال آخرون أن الرومان قد دخلوا، وآخرون قالوا أنهم قد اقتربوا وأنهم يبحثون عنهم. واستطاع آخرون أن يروا الأعداء فوق الأبراج. وكل هذه الأمور كانت وقتئذ نتاج الخوف الذى سيطر عليهم، فتوهموا رؤية ذلك. عندئذ انطرحوا على وجوههم وأخذوا يندبون سلوكهم الجنونى. وانحلت أعصابهم بالكامل حتى أنهم لم يقدروا على الفرار.

وهنا فليتأمل الانسان فى قوة الله العاملة فى الحظ الطيب والردىء للرومان لأن أولئك الطغاة قد حَرَموا أنفسهم الآن من الآمان الذى كان فى سلطتهم، ونزلوا من أبراج ذواتهم من حيث لم يكن ممكنا أن يُؤخَذوا بالقوة، ولا بأى وسيلة أخرى ، فى الحقيقة، خلاف المجاعة. وهذا ما فعله الرومان عندما تحمَّلوا مشقات كثيرة مثل هذه بخصوص أضعف الأسوار. فحصلوا بالحظ الطيب على ما لم يكن فى إمكان آلاتهم أن تحصُل عليه. لأن ثلاثة من هذه الأبراج كانت قوية جدا ضد كل الآلات الميكانيكية مهما كانت والتى تكلمنا عنها فيما سبق.

(٥/٨/٦) وهكذا تركوا هذه الأبراج من أنفسهم، أو أنهم قد طُرِدوا من هناك بواسطة الله نفسه، وهربوا فى الحال إلى ذلك الوادى الذى كان تحت سلوام حيث شفوا أنفسهم هناك، لبعض الوقت، من الرعب الذى كانوا فيه. ثم ركضوا نحو جزء من السور الرومانى كان يقع فى ذلك الجانب. ولكن لمّاَ كانت شجاعتهم قد خارت كثيرا ليُشِنوا هجمات قوية كافية وكانت قوتهم قد تحطمت وقتذاك من الخوف والحزن فقد صدهم الحرس وتشتتوا عن بعضهم بعضا على مسافات، ونزلوا إلى السراديب التحت أرضية.

وهكذا، وقد صار الرومان الآن سادة الأسوار، وضعوا كلا من آلاتهم فوق الأبراج، وهللوا مبتهجين بالظفر الذى أحرزوه. وقد وجدوا نهاية الحرب أخف كثيرا من بدايتها. لأنهم عندما استولوا على السور الأخير بدون أى سفك دماء بالكاد استطاعوا أن يُصدِقوا أن هذا حقيقة. ولكنهم عندما لم يروا أى واحد يُقاوِمهم تشككوا فيما عسى أن يكون معنى هذا الهدوء. ولكن عندما دخلوا إلى أزقة المدينة فى أعداد وهم يُشهِرون سيوفهم، قتلوا كلّ مَن صادفهم بدون رحمة، وأحرقوا البيوت هناك وكل نفس فيها حيث هرب إليها اليهود. وأهلكوا الكثيرين منهم. وعندما كانوا يأتون إلى المنازل لينهبوها، كانوا يجدون فيها جثث اُسَر بأكملها، والغرف العليا مكدسة بجثث أولئك الذين ماتوا بالمجاعة. وكانوا يقفون مرتعبين أمام هذا المشهَد ويخرجون دون لمس أى شىء, ولكن على الرغم من أنهم كانوا يَرْثون لأولئك الذين هلكوا على هذا النحو، لكنهم لم يكونوا كذلك بالنسبة للذين كانوا ما زالوا أحياء، بل كان كل واحدٍ يجرى نحو مَن يلاقيه ويُعوقون الأزقة بجثثهم. وجعلوا المدينة تطفوا فى الدماء. إلى درجة أن دماء الرجال كانت تُطفىء حقا حريق كثير من البيوت.

وفى الحقيقة، على الرغم من أن المقاتلين قد كفوا فى المساء، لكن النار ظلت سائدة طوال الليل. وكان كل شىء ما زال يحترق عندما لاح اليوم الثامن من شهر جوربيوس[ايلول][١٠٤] على اورشليم. تلك المدينة التى قاست بلايا هذا مقدارها خلال هذا الحصار، والتى كانت تتمتع بسعادة كبيرة منذ تأسيسها الأول، وكانت بالتأكيد موضع حسد العالَم أجمع. ولم تكن بسبب ذلك لتستحق كل أنواع المصائب هذه إلا لإنجابها جيلا من البشر كان سبب انقلابها هذا.

---

١٠٤ - ٢٦ سبتمبر

الكتاب السادس: الفصل التاسع

[التعليمات التى أصدرها قيصر عندما دخل المدينة. عدد الأسرى، وأولئك الذين هلكوا فى الحصار. أولئك الذين هربوا إلى المغائر التحت ارضية، ومن بينهم الطغاة يوحنا وسيمون أنفسهما.]

(١/٩/٦) والآن، عندما دخل تيطس إلى هذه المدينة [العليا]، اُعجِب ليس فقط ببعض الأماكن الأخرى القوية فيها، ولكن بصفة خاصة بهذه الأبراج المنيعة التى شيَّدها الطغاة فى جنونهم. لأنه عندما رأى ارتفاعها الشاهِق وكِبر حجارتها المتعددة، ودقة وصلاتها وضخامة عرضها، واتساع طولها، عبَّر عن نفسه على النحو الآتى:

"بالتأكيد كان الله هو عوننا فى هذه الحرب. فليس آخر إلا الله هو الذى طرد اليهود من هذه التحصينات لأنه ماذا يمكن لأيدى البشر أو الآلات أن تفعل إزاء هذه الأبراج؟". وفى نفس الوقت كان يقول مثل هذا الكلام لأصدقائه. وأطلق أيضا الذين كانوا مقيدين بواسطة الطغاة ومتروكين فى السجون. وأخيرا، دمر باقى المدينة بالكامل، ونقض أسوارها. إلا أنه ترك أبراجها لتكون نُصبا تذكاريا لحظه الطيب الذى أثبتَ أنه كان مواتيا له، وأنه مَكَّنه من أن يأخذ ما كان لا يمكنه أن يأخذه بنحو آخر.

(٢/٩/٦) ولما كان الجنود قد كلّوا من القتل، وكان هناك جمهور غفير من الأحياء ما زال باقيا، فقد أصدر قيصر أوامره بعدم قتل أى أحدٍ إلا أولئك المسلحين فقط، والذين يقاومونهم، وأن يأخذوا الباقى أحياء. ولكنهم قتلوا مع الذين أمر بقتلهم، أيضا المسنين والمرضى. أما الذين كانوا فى زهرة شبابهم الذين يكونون نافعين لهم، فساقوهم جميعا إلى الهيكل وحبسوهم فى دار النساء. وأقام عليهم

قيصر واحدا من عبيده المعتوقين وأيضا فرونتو أحد أصدقائه. وهذا الأخير كان يُحدِّد مصير كل واحد تبعا لاستحقاقه. وهكذا قتل فرونتو هذا كل مثيرى الفتن واللصوص الذين كانوا يدلون على بعضهم بعضا. ولكنه اختار من بين الشباب أطولهم وأكثرهم رشاقة وأبقاهم لموكب الظفر. أما بالنسبة لباقى الجمهور الذين كانت اعمارهم نحو السبعة عشر سنة فقيدهم وأرسلهم إلى المناجم المصرية. وأرسل تيطس عددا كبيرا إلى المحافظين كهدايا لهم، لكى يهلكون على المسارح بالسيف أو بالحيوانات المفترسة. ولكن أولئك الذين كانوا تحت سن السبعة عشر سنة فقد بيعوا كرقيق. وخلال الأيام التى كان فرونتو يفرز فيها أولئك الرجال، هلك إحدى عشر ألفا بسبب الحاجة إلى طعام. بعضهم لم يذق أى طعام بسبب كراهية الحرس لهم. وبعضهم لم يشأ أن يأخذ شيئا عندما كانوا يُعطونهم. وكانت الجموع غفيرة جدا لدرجة أنهم كانوا فى عوز إلى الكفاف.

(٣/٩/٦) والآن، قُدِّر عدد الذين أُخِذوا أسرى خلال كل هذه الحرب بنحو ٩٧ ألف. كما كان عدد الذين هلكوا خلال فترة الحصار بأكملها إحدى عشر مائة ألف[١٠٥]. وكان الجزء الأكبر منهم، فى الحقيقة، من نفس الأمة[مع مواطنى أوررشليم] ولكن لا ينتمون إلى المدينة ذاتها[١٠٦] لأنهم كانوا قد صعدوا من سائر أرجاء الريف للإحتفال بعيد الفطير، وعندئذ اندلعت الحرب فجأة التى كانت فى البداية ضِيقة شديدة لهم، ثم صارت هلاكا لهم، ثم بعد ذلك تلك المجاعة التى أهلكتهم أسرع. وكون أن هذه المدينة استطاعت أن تضم كثيرين جدا من الشعب فيها، فهذا واضح من عددهم الذى أخذه سيستيوس Cestius الذى كان يتوق لإعلام نيرون بقوة المدينة، ولولا ذلك لمَا عدَّها وكان قد ازدرى بهذه الأمة. لذلك

---

١٠٥ - أى (١١٠٠٠٠٠) نسمة، ويُعبَّر عنها أيضا بـ ١١ ربوة.
١٠٦ - أى ليسوا من اورشليم.

كلف رئيس الكهنة بإحصاء جمهورهم كله إذا كان ذلك ممكنا. وهكذا، قام رؤساء الكهنة عند مجيء ذلك العيد الذى ندعوه "الفصح" – عندما يذبحون ذبائحهم من الساعة التاسعة إلى الحادية عشر، حيث كان كل جماعة لا تقل عن عشرة تخصها ذبيحة واحدة (لأنه ليس شرعا الاحتفال فرادى بأنفسهم)، وكثيرون منا كان عددهم عشرين فى مجموعهم. فوجدوا أن عدد الذبائح كانت ٢٥٦ ألف وخمسمائة التى على أساس ليس أكثر من عشرة اشخاص يحتفلون معا تكون مليونان وسبعمائة ألف شخص الذين كانوا أتقياء ومُقدسين. لأنه بالنسبة لأولئك البُرص أو ذوى السيلان أو النساء اللواتى فى عادتهن الشهرية، أو الدنسين بوسيلة أو بأخرى فأولئك لا يجوز لهم شرعيا أن يشتركوا فى هذه الذبيحة. وبالمثل أى أجنبى جاء إلى هناك للعبادة.

(٤/٩/٦) والآن، هذا الجمع الغفير قد تجمع من الأماكن النائية. ولكن الأمة بأكملها كان قد اُغلِق عليها بقدرها كما فى سجن، وطَوَّق الجيش الرومانى المدينة عندما كانت مكتظة بالسكان، وبالتالى فإن الجموع التى هلكت فيها فاقت كل هلاك جلبه الانسان أو الله على العالَم طرا. بل لنتكلم فقط عما هو معروفٌ علنا: لقد قتل الرومان بعضهم، وأسِروا بعضهم، وفتشوا عن الآخرين تحت الارض وعندما كانوا يجدونهم حيثما يجدونهم كانوا يشقون الارض ويقتلون كل من يصادفونه. وقد وُجِد أيضا قتلى يربو عددهم على ألفى شخص بعضهم ماتوا بعد يوم وآخرون قتلوا بعضهم بعضا. ولكنهم بصفة رئيسية هلكوا بالمجاعة. وكانت الرائحة النتنة للجثث خانقة جدا لأولئك الذين كانوا يحملونهم لدرجة أن بعضهم اضطر إلى الانصراف فى الحال بينما كان آخرون شرهين للمكسب حتى انهم مضوا بين الجثث التى كانت فى أكوام ووطأوها لأن قدرا كبيرا من الكنوز كانت توجد هناك فى هذه المغائر وأفضى الأمل فى المكسب إلى جعل كل وسيلة للحصول عليها شرعية. أيضا، كثيرون ممن وُضِعوا فى الحبس بواسطة أولئك الطغاة أُعتُقوا. ولأنهم [أى الطغاة][٤٢] لم يُقلِعوا

عن اعمالهم البربرية وقسوتهم حتى فى آخر لحظة، فإن الله انتقم لنفسه منهما معا على نحو عادل ومقبول. فبالنسبة ليوحنا فقد اعتاز هو وإخوته إلى الطعام فى هذه المغائر، وتوسل إلى الرومان أن يعطونه يمين الآمان له، ذلك الذى كان يرفضه بكبرياء من قبل. أما سيمون فقد صارع مع المحنة التى كان فيها إلى أن أُجبِر على تسليم نفسه. كما سنرى ذلك فيما بعد. وهكذا كان محفوظا لموكب الظفر، ولأن يُقتَل فيما بعد. كما حُكِم على يوحنا بالسجن المؤبد. والآن أحرق الرومان أطراف المدينة ونقضوها وهدموا أسوارها بالكامل.

الكتاب السادس: الفضل العاشر

[مدينة اورشليم تُؤخَذ خمس مرات من قبل. وهذه هى المرة الثانية لخرابها.

بيان مختصر لتاريخها]

(١/١٠/٦) وهكذا، اخِذت اورشليم فى السنة الثانية لحُكم فسبسيان فى اليوم الخامس من شهر جوربيوس [ايلول][١٠٧]. ولقد اُخِذت خمس مرات من قبل. على الرغم من أن هذه كانت هى المرة الثانية لخرابها لأن شيشق ملك مصر، ومن بعده انطيوخس ثم بومبى ثم سوسيوس فهيرودس استولوا على المدينة ولكنهم حافظوا عليها. ولكن قبل ذلك غزاها ملك بابل وخربها وذلك بعد بنائها بألف وأربعمائة وثمانية وستين سنة وستة أشهر (١٤٦٨) ولكن الذى بناها أولا كان رجلا قويا بين الكنعانيين ويُدعًى فى لغتنا "ملكى صادق" أى ملك البر. لأنه كان حقيقة هكذا. وبسبب ذلك كان أول كاهن لله وأول مَن بنى هيكلا [هناك]. ودعى المدينة التى كانت تُسمى قبلا ساليم، مدينة اورشليم. ومع ذلك، فإن داوود ملك اليهود طرد الكنعانيين ووطن شعبه هناك. وقد دمرها البابليون بالكامل بعده بـ ٤٧٧ سنة وستة أشهر. ومن الملك داوود الذى كان أول ملك من اليهود يحكم فيها، إلى هذا الخراب فى عهد تيطس كان ١١٧٩ سنة. ولكن من بنائها الأول إلى هذا الخراب الأخير ٢١٧٧ سنة. ومع ذلك، لم تكن آثارها العظيمة، وثراءها العريض، وروعتها فى كل المسكونة والتوقير الكبير المُقدَّم لها دينيا بكاف لحفظها من الخراب.

وبهذا انتهى حصار اورشليم.

---

١٠٧ - ٢٦ سبتمبر.

الكتاب السابع

الكتاب السابع: الفصل الأول

(١/١/٧) وإذ لم يَعُد الجيش يجد مَن يقتله من الشعب أو ينهبه لأن أحدا من الباقين لم يعُد هناك مَن يكون موضع حنقهم، (لأنهم ما كانوا ليُبقوا على شخص ما لم يكن قد بقى اعمال أخرى ليعملوها)، حتى أعطاهم قيصر أوامر بنقض المدينة والهيكل بالكامل، وألا يتركوا سوى عددا من الأبراج قائمة لتظهر روعتها العُظمى وهى: فاسيلس Phasaelus، وهيبيكس، وماريمنا Mariamne. والجزء من السور القريب من المدينة فى الجانب الغربى. وهذا السور فقط لكى يوفر معسكرا للحامية التى ستمكث هناك مثلما حُفظت الأبراج ولكى تُظهِر رخاء ونوع تلك المدينة وتحصيناتها تلك التى دحرها الرومان وقهروها. ولكن بالنسبة لكل باقى السور، فقد سُوِّى بالارض تماما، وذلك بأن حفروا أساساته ولم يتركوا شيئا منه، حتى أن الذى يأتى إلى هناك لا يُصدِّق أبدا أنها كانت مسكونة.

هذه كانت النهاية التى آلت إليها اورشليم بسبب جنون أولئك الذين ابتكروها: مدينة ذات روعة عظيمة وشهرة جبارة بين سائر البشر.

الكتاب السابع: الفصل الثانى

[كيف استعرض تيطس فى قيصرية فيليبى كل أنواع الاستعراضات. وكيف أُسِر سيمون الطاغية، وحُفِظ لموكب النصر]

..... وزحف تيطس من قيصرية التى تقع على شاطىء البحر وأتى إلى قيصرية فيلبى، ومكث هناك ردحا من الزمان، وشاهد هناك كل أنواع العروض. وهناك، اُهلِك عددٌ كبير من الأَسرى، بعضهم بواسطة الوحوش المفترسة، وبعضهم أُجبِروا على منازلة بعضهم بعضا كأعداء حتى الموت.

وهناك أعلَموا تيطس بالقبض على سيمون ابن جيوراس Gioras الذى تم على النحو الآتى:

كان سيمون هذا، خلال فترة حصار اورشليم، [يقيم] بالمدينة العليا، ولكن عندما اقتحم الجيش الرومانى الأسوار وخرَّب المدينة، أخذ عندئذ من أصدقائه الأكثر وفاءً له، ومن بينهم قاطع أحجار بأدواته الحديدية الخاصة بالمهنة، وكمية كبيرة من المؤن تكفى لزمن مديد، ونزلوا إلى سراديب مخفية تحت الأرض وغير ظاهرة من فوقها. وهناك، استمروا فى حفرها إلى أن صادفوا أرضا صلدة فحفروا منجما تحت الأرض على أمل التقدم إلى أبعد ما يمكن على نحو يمكن الصعود منه إلى أرضٍ آمنة وبذلك يلوذون بالفرار[١٠٨]. ولكنهم بالتجربة انقطع رجائهم حيث لم يتمكن المنجمون[١٠٩] سوى إحراز قليل من التقدم وبمشقة أيضا، حتى أن مؤونتهم

---

١٠٨ - واضح أن فكرة الأنفاق التى لجأت إليها الحركة المُسماة "حماس" فى أيامنا هذه فى فلسطين، هى فكرة أملتها طبيعة الأرض فى هذه البلاد التى تُمكِّنهم من عمل ذلك. وهكذا كما كان هكذا يكون.

١٠٩ - "المنجمون" هنا ليسوا أولئك الذين يتكهنون بالغيب، ولكن أولئك الذين يحفرون المناجم.

بالرغم من اقتصادهم فى استخدامها بدأت تنفد. وعندئذ ظهر سيمون فوق الأرض عند الموضع الذى كان فيه الهيكل من قبل، وهو يرتدى ثوبا أبيض وفوقه عباءة من الأرجوان[١١٠] ظانا أنه سيُدهش الرومان ويخدعهم.

وفى الحقيقة، فى البداية اندهش بشدة أولئك الذين رأوه وتسمروا فى أماكنهم. ولكنهم بعد ذلك اقتربوا منه وسألوه مَن يكون؟. وعندئذ لم يشأ سيمون أن يُخبرهم وأمرهم بإستدعاء قبطانهم. وعندما هرعوا إلى ترنتيوس روفوس Terentius Rufus الذى كان قائد الجيش هناك، أتى إلى سيمون وعرِف منه الحقيقة بالكامل. فوضعه فى الأصفاد، وأخطر تيطس بالقبض عليه.

وهكذا، أحضر الله هذا الرجل ليُعاقَب على طغيانه الوحشى المرير الذى مارسه ضد بنى وطنه، على يدى أولئك الذين كانوا ألد أعدائه. وسلَّم نفسه لهم دون قهر له، بل طواعية[١١١] ليُعاقَب. ولأنه اتهم باطلا يهودا كثيرين بمحاولة الهروب إلى الرومان وقتلهم ببربرية. لأن الأعمال الشريرة لا تفلت من الغضب الإلهى. ولا العدالة الإجتماعية أضعف من أن تُعاقِب الذين يتركونها...

وقد أدرك سيمون هذا عندما خضع لنقمة الرومان. وأُحضِر سيمون إلى قيصر مصفدا بالأغلال عندما كان راجعا إلى قيصرية التى على شاطىء البحر[١١٢]، فأمر بحفظه لموكب النصر[١١٣] بروما الذى سيتم بهذه المناسبة.

+ + +

---

١١٠ - طبعا ليُوهِم البسطاء بأنه "المسيح". وقد سبق أن قال معلمنا مار بولس الرسول "سيظهر بينكم "مسحاء كذبة" كثيرون.

١١١ - طبعا أراد سيمون بظهوره "المنفرد" أن يَظهر أمام البسطاء أنه فدى رجاله، بتسليم نفسه هو وحده. وأن "الله" سينجيه بوصفه "مسيح الرب". وهكذا، الانسان فى كل زمان ومكان، وعلى اختلاف الأديان، يرى أن كل أعماله صوابٌ تام، حتى لو كانت شريرة فى نظر الناس وطبقا لوصايا الله نفسه. وأن تدخل "الله" لابد أن يكون بمثابة "ختم تصديق" عليها.!!

١١٢ - أى قيصرية فلسطين، التى على البحر المتوسط.

١١٣ - وهو "موكب انتصارى" يُعلن به القادة العسكريون عندما يرجعون من حملاتهم العسكرية، أمام قيصر انتصارهم فى حملتهم، ويعرضون أمامه الأسرى والأسلاب والغنائم.

[وبعد ان يعرض يوسفوس فى الفصل الخامس من كتابه السابع من عمله المُسَمَّى "الحرب اليهودية" وصفا لموكب الظفر، وللغنائم التى كانت تتدفق فيه كنهر، وللأسرى، ورؤوساء المدن التى دُحِرَت]. يقول:

"أما ما أُخِذ من اورشليم فكان يفوق كل شىء فى العرض. [فهو] المائدة الذهبية التى تزن وزنات عديدة. والشمعدانات الذهبية على الرغم من أن بعضا منها قد أُنتزع، وعددها سبعة وتمثل كرامة السبت عند اليهود.

وأخيرا كان نهاية هذا الموكب فى معبد جوبيتر كابيتولس حيث توقف الموكب كما جرت العادة لبعض الوقت إلى حين قدوم شخص ما يزف نبأ مقتل قائد الأعداء. وكان هذا القائد هو سيمون ابن جيوراس الذى كان قد أُقتيد بين الأسرى فى موكب الظفر هذا حيث وُضِع حبل حول عنقه وتم جره إلى موضع ملائم وهو يُعذَّب من الذى يجرونه، ثم قتلوه.. وهناك هلل الحاضرون ابتهاجا

ولكن هل تاب اليهود ورجعوا إلى الرب؟ وهل صدقوا السيد المسيح بعد تمام كلامه حرفيا؟.

كلا. ففى السنة الثامنة عشر من حُكم تراجان قام اليهود بثورة أخرى، هلك منهم فى أثنائها عدد غفير.

وأخيرا أمر هادريان بإجلاء جميع اليهود الذين بقوا حتى الفقراء والمُعدمين عن اورشليم. وأُخلِيَّت المدينة تقريبا من الشعب اليهودى. وبُنِيَّت فى موضعها مدينة أخرى بإسم رومانى هو "إيليا". وشُيِّد معبدٌ لجوبيتر فوق موقع الهيكل اليهودى القديم. وهو كما نعرف ذلك الذى هدمته فيما بعد الملكة هيلانة أم الامبراطور قنسطنطين وهى تبحث عن صليب المُخَلِّص.

[تعليق على خطاب يوسفوس لليهود (للمعرب)]

رأينا فى(٣/٩/٥) و (٤/٩/٥) كيف وقف يوسفوس امام السور الثالث والقديم، يخاطب من هناك بنى أمته ويُوجه إليهم خطابا مستفيضا، يشرح لهم فيه مواقف شعب اسرائيل عبر التاريخ القديم ومواقفهم المتباينة من الله، وكيف كانوا يجلبون بعصيانهم وتمردهم غضب الله عليهم، ثم بتوبتهم ورجوعهم إلى الله وطاعتهم وخضوعهم لمشيئته كانوا يستدرون مرة أخرى مراحم الله الغافرة لهم. وكيف أن نصرتهم على أعدائهم كانت دائما تتحقق عبر تاريخهم كله عندما يبسطون إليه آياديهم. وناشدهم أن يكفوا عن الاعتماد على ذواتهم وعلى آلاتهم العديمة الجدوى وأن يُصغوا إلى عرض تيطس ويوافقوا على إنهاء الحرب سلميا. لاسيما وأن شروط تيطس كانت مشرفة وغير مجحفة.

وفى الحقيقة، خطاب يوسفوس هذا يمكن أن يُعَد - على الصعيد السياسى - إثباط للهِمم وإضعاف للروح الوطنية ولمعنويات الشعب على نحو يجعله موضع إتهام بالخيانة العظمى وقت الحرب ومن ثم يكون مستوجبا للإعدام.

ولكن يوسفوس هنا لم يكن فى واقع الأمر يتكلم كرجل سياسى ولا كوطنى خائن لوطنه وشعبه وديانته، فقد جاهد عسكريا إلى أن أُسِر[١١٤]، بل كان - فى استغراقه الشديد بالشعور والفعل والاحاسيس والواقع الملموس اليومى على الأرض

١١٤ - أنظر تاريخ حياته بالمقدمة.

لمحنة شعبه ووطنه وبنى جلدته - يتكلم بروح العالِم والدارس والمؤرخ. أى أنه كان يتكهن على نحو ما يُعرف اليوم بالتكهن العلمى بالأحداث المتوقع حدوثها ترتيبا على المُسَلَّمات والمُعطيات القائمة فعلا على الأرض أمامه، ومن استقرائه لمجريات الأمور عبر التاريخ. وكأنه كان يستخدِم هنا ما يُعرف فى أيامنا هذه بإصطلاح "التقدم نحو الخلف" أو إعادة انتشار للتعبير عن الانسحاب حقنا لدماء المدنيين الأبرياء ومنعا للإنتحار الجماعى. ولعل ما يؤيد رأيى هذا أنَّ كلا من تيطس ويوسفوس قد ناشد صراحة ومرارا مثيرى الفتن والمقاتلين والمسلحين من اليهود أنهم إن أرادوا الحرب فليخرجوا خارج الاسوار، ويعتزلوا المدنيين حرصا على سلامة الابرياء، أو أن يدَعوا المدنيين ينزحون عن المدينة. أى ناشدهم بتعبيرنا اليوم بفصل المدنيين عن المقاتلين. ولكن واضح تماما، وأيضا بتعبيرنا اليوم، أنهم عن عمد وسبق إصرار أجبروا المدنيين على أن يكونوا دروعا بشرية لهم. ليس هذا فحسب، بل كما نرى اليوم من قيام الجماعات الإرهابية باستخدام المعابد كمخابىء مستترة للسلاح، بل واستخدام المعبد ذاته للضرب منه، هكذا استخدم مثيرو الفتن اليهود فى القرن الأول الميلادى هيكل اورشليم الذى كان فى ذلك الزمان بالنسبة لليهود كالكعبة بالنسبة للمسلمين، هذا استخدموه كما رأينا ليس فقط كساحة للقتال بل وكمقبرة عامة للآهالى والأجانب. وبينما كان تيطس الوثنى الأممى بتعبير اليهود يستخدم القواعد الشريفة للحرب والقتال، وهى ان تكون الحرب مع العسكريين وليس مع المدنيين، ويسعى مرارًا إلى الحفاظ على سلامة المدنيين كاظما فرط غيظ قواده.. كان مثيرو الفتن اليهود القارئين للتوراة يرفضون سائر العروض السلمية ويقتلون كل مَن يُفكر فى السِلم او يحاول النزوح عن المدينة من المدنيين.

وإننى أرى من جانب آخر أن يوسفوس كان هنا مثل بلعام بن بغور يتكلم رغما عنه بقضاء الله القادم على شعب اسرائيل بعين مفتوحة ترى وتقرأ ما سطرته يد القدير كمصير لهذه الأمة الشقية.

على أية حال ستظل التفرقة بين التنبؤ بما هو عتيد أن يكون وبين ما يندرج تحت باب الخيانة الوطنية قضية خالدة منذ ما حدث لارميا النبى وإلى انقضاء الدهر، من العسير حلها قبل تمام الحدث. ووقتها يكون الحدث ذاته قد صار تاريخا مرويا، ولو تكرر ما يُشبهه لحدث كما حدث قبلا.

الفهرس